

نظارة المعارف العمومية

# كتاب

# المطالعة العربية

لمدارس البنات

تأليف

نبويه موسى

المدرسة بمدرسة عباس

(قسم البنات)

وقد عني بتصحيحه حضرة الأستاذ أحمد إبراهيم

المدرس بمدرسة القضاء الشرعي

قررت نظارة المعارف طبع هذا الكتاب على نفقتها واستعماله بمدارس البنات

(حقوق الطبع محفوظة للنظارة)

(الطبعة الثانية)

وقد صحح بمعرفة طبعية الأستاذ الشيخ حمزة فتح الله حفش أول اللغة العربية بالنظارة

بالطبعة الأسبوعية بمصر

١٣٣٩ هـ ١٩٢١ م

P36119

M85

174

صفحة	
٥	خطبة الكتاب
٧	من لم ترعه النصيلة وضعته الرذيلة
٨	الصدق
٩	المظاهرة بالفتاة
١٠	الامانة
١٠	التغير الامين
١١	الاجتهاد والتقوى أصل سعادة المداين
١٢	الزائر المتعجب
١٣	وفاء امرأة بوعدها
١٤	التربية المنزلية
١٦	السارق والجمل
١٧	السعة
١٨	حاتم وضيافته
١٩	مكانة الفتاة
٢٢	الفتاة والدجاج
٢٤	جمال الفتاة انبها
٢٤	ملكة تخدم نفسها
٢٥	المعلم والمتعلم
٢٦	الكسائي عند الرشيد
٢٧	اصلاح العلم في أمريكا
٢٨	وفاء السمومل
٢٩	الدين المعاملة

de 940 903

صفحة	
٣١	عبد الله بن الزبير ومعاوية رضي الله عنهما .....
٣٢	بلاد مصر .....
٣٢	التبيل في مصر .....
٣٣	متنوع الآثار .....
٣٤	وصف حالة المعيشة في مصر .....
٣٨	المرورية وحرتها .....
٤٠	اللغة العربية .....
٤١	بعض الشاعرات - الخنساء .....
٤٢	ليل الاخيلية .....
٤٣	بعض عادات المصريين .....
٤٥	الصدقتان .....
٤٧	الصبر يخفف المصائب ويدني الآمال .....
٤٨	صبر الخنساء .....
٤٩	عبد الله بن أبي طالب كرم الله وجهه .....
٥٠	لا اصلاح بغير علم .....
٥٤	حلم معن بن زائدة .....
٥٥	مراعاة الصحة والنظافة .....
٥٧	عندو عائل خير من صديق جاهل .....
٥٨	العقل في الثرية وطن والجهل في الوطن غربة .....
٥٩	وصف نزول المطر في قرى مصر .....
٦١	من سره زمن ساءت ازماني .....

(تم الفهرس)



## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين ( وبعد ) فان الأطفال يتعلمون اللغات بمجرد تعودهم سماعها فلذا تعودوا سماع الكلام الصحيح ثبت ذلك في أذهانهم وبعد عليهم التعلق بالخطأ وان لم يتعلموا شيئا من القواعد لما في طبيعتهم من قوة الاستعداد للتقليد . ولما كان الغرض من تعليم اللغة العربية أو غيرها من اللغات انما هو تعليم الطفل كيف يعبر عن مكونات صدره بعبارة صحيحة فصيحة ويجب أن نورد عليه العبارات الراقية الجيدة المعنى والاسلوب خالية من الحشو والتطويل يخللها الآراء الصائبة فتكون قد خططنا للطفل طريقا ينجها في سيره ومددناه بأفكار يعمل قريحته في فهمها والوقوف على حقيقتها ثم اخارها في ذاكرته حتى اذا بلغ أشده عبر عن حاجته بما اعتاده من جودة الانشاء وسداد الرأي ( وكل امرئ جار على ما تعودا ) . هذا ولا أرى بما يستعمل بعض التثبيبات القريبة فانها وان عجز الطفل عن الاتيان بمثلا تمثل له الشيء المنوي يمثل محسوس يمكنه تصوره وهي مع ذلك تنمى تخيله وتنبه الى الاشياء المتشابهة ولا بد له من قراءة بعض موضوعات في الوصف ليتعلم كيف يصف لسانه ما يراه عيانه . وانى لا أرى بأيدي التلميذات الآن كتباً حتى بهذا الغرض مع لفتنهن الى ما يجب عليهن من محاسن الآداب ومكارم الاخلاق ولما كنت فتاة أشعر بما تشعربه الفتيات

وأعترف من أين يتأثرني وما يحرك عواطفهن ألفت هذا الكتاب لتلميذات السنين الثالثة والرابعة من المدارس الابتدائية ليهيات وجعلته حائنا على الآداب في أسلوب لا يظهر فيه أمر ولا نهى لأن الإنسان إذا أمر بشئ فربما تقل عليه عمله أو نهى عن شئ ناقص عنه إليه كما قيل (وأحب شئ إلى الإنسان ما نهى) . لذلك شرحت الأمر الحسن ومدحته وبيّنت الشئ القبيح وذمته وتركزت العناية تختار لنفسها ما شامت وعصفت آرائي ببعض حكايات تاريخية فيها شئ من أخلاق العرب وآدابهم وأشعارهم حتى تحف التلميذة على شئ من عاداتهم الحمودة فتحترمهم وتحم لغتهم وتنظر إليها بعين غير التي ينظر بها بعض التلاميذ الآن . ولم أقصد فيه إلى النصائح المشهورة التي يسهل على كل أحد الإعتناء بها مثل ( لتجلس التلميذة أمام معلمها أو والدها بنهاية الأدب ) . بل رأيت أن التلميذة متى انتهت إلى السنة الثالثة عرفت آداب الجلوس والشئ ونظافة الأيدي وغير ذلك من الآداب الظاهرة التي لا تتعدى باب المدرسة أو حضرة أيها لكنها يعوزها أن تحل نفسها بالفضيلة فتسعى ورادها وتعلم أن لها في العالم أهمية عظيمة وأن عليها عملا جليلا يجب اتقانه فتعرف قدرها وترفع عن كل ما ينقصها أو يمس شرفها

وقد وصفت أرض مصر وقارتها بالبلاد الأخرى وأظهرت فضلها وجودة تربتها وغير ذلك مما يجعل التلميذة تنحصر ببلادها فتحبها وتعرف أنها نعمة فتحرص عليها

وقد عرضت كثيرا من موضوعاته على تلميذات السنة الثالثة فوجدتها تناسب مداركهن .  
نبوية موسى

من لم ترفعه الفضيلة وضاعته الرذيلة

ان الفضائل أخلاق كريمة يحمد المرء على الاتصاف بها مثل الاحتماد  
والعلم والوفاء والصدق والامانة والعدل والتواضع والصبر والحزم وكتيان  
السر والقناعة والاقدام على فصل الخير وضد ذلك الرذائل والنفاثس  
مثل الكسل والجهل والعدو والكذب والحياة والنظم والكبر والجورع  
والطيش واقشاء السر والشرة والاصحام عن فعل الخير

وعلى قدر فضل الانسان يكون حفظه في الحياة الدنيا والآخرة فإذا  
انصف بالفضائل كان جديرا أن يرتفع بعد الضعة ويسعد بعد الشقاء  
ويعنى بعد الفقر والا وضعت الرذيلة ولو ارتفعت أجداده وجماعته سبة  
عليهم ووصحة في تاريخهم

ومن نظر في التاريخ علم كيف ترفع المرء فضيلته . هؤلاء اطلقوا  
الراشدون رضى الله تعالى عنهم ارتقوا بالفضائل فعاشوا مستورين وقاتوا  
مأسوا عليهم بعد أن خلقوا من الامم الحميد مازين كتب التاريخ أسسوا  
الملك على دعائم العدل والحكمة فأصلحوا الفاسد ومنعوا الجور وأدوا  
أعمالهم بالحزم والنشاط فأصابوا حاجتهم وسادوا معاصريهم من ملوك  
البلاد وكانوا قدوة حسنة لمن بعدهم

ولا فرق في التحلي بالفضل بين الرجل والمرأة إذ أن كلا منهما يحتاج  
الى الفضل احتياج العيون الى الضوء وتكاد المرأة تكون أشد احتياجا  
الى ذلك من الرجل لما تقوم به من تعهد الاطفال ومخاطبتهم من ابتداء  
نشأتهم وما يتعدونه من طباعها في تلك الغالطة وقد تكون هذه الطباع  
عادة لهم اذا كبروا وتحكمتها من فوسهم الطفلية

وما من عصر خلا الا واشتهرت فيه النساء بما اشتهر به الرجال  
 فقد اشتهرت نساء العرب بالوفاء والشجاعة والصحافة كما اشتهر ذلك  
 عن رجالهن ومنهن الخنساء فقد اشتهرت بالشعر حتى فاقت الرجال  
 فيه والجيداء قد اشتهرت بالفروسية وقوة الساعد والسيدة عائشة بنت  
 ابي بكر رضی الله تعالى عنهما فقد كانت أحب أزواج النبي اليه لما  
 ائصفت به من الفضل وكمال الادب وكانت الرجال تصدعها بعد وفاة  
 النبي صلى الله عليه وسلم لتسألها في العلم فتفتيهم فيه من وراء حجاب  
 وكان لها فوق جهيل في انتقاد الشعر والكلام العربي وكانت ذات حزم  
 وثبات وصبر لاتبوها المصائب

ويحكى أنها قامت على قبر أبيها يوم وفاته تخطبت وبيدت حسن  
 أفعالها وطاعته لله سبحانه وتعالى ولم يبد عليها جزع بل كانت صابرة  
 على ما ابتليت به وكانت مع ذلك على جانب عظيم من الشجاعة  
 والاقدام فقد حضرت وقعة الجمل بنفسها ولذلك اشتهرت أكثر  
 من سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وخلد ذكرها في كتب التاريخ

### الصدق

الصدق اظهار الامور على حقيقتها بالقول والعمل فهو يفيد الانسان  
 علما صحيحا بالاشياء المعينة به ونعمت الفائدة فلذا اعطاه الانسان  
 الصدق عرف به فكانت الناس بصدقه واستغاد منهم لاعتمادهم عليه  
 في القول والعمل ونعيمه عنه سمة الكذب المهينة  
 وان عرف الانسان بالكذب لم يكد ه يصدق في شيء وان كان صادقا



هذا فضلا عن ارتكاب الكذوب الآثام لتقوله على الناس مالم يقولوا وظلمه لم فيما عساه أن يصيبهم بسبب كذبه وهو مع ذلك يخسر حسن سمعته بين الناس ويضطرب اذا ظهر كذبه ويتعب نفسه في اختلاقي الافاويل ليستر عيب كذبه بكذبه ولو صدق لكفى الناس شره وأراح نفسه

### المنظاهرة بالقناعة

يحكى أن فتاة كانت تتظاهر بالقناعة والرضا بالتقليل وعدم الاكثرت بالماكل وكانت مع ذلك تدخل مخزن الاكل سرا فتبحث فيه عما يطيب لها من الماكل وتأكل جهده استطاعتها حتى اذا شعرت والدتها بتناقض الاشياء وسألها عن ذلك أنكرته كلى الانكار . فلم يكن لوالدها بد لئذ فاك الاتهام للخدم ولومهم وأخذ بعض أجورهم والتمتة مع كل ذلك مطمئنة القلب لايعنها ضميرها على سوء فعلها ولا تحرك في قلبها عاطفة الرحمة على هؤلاء المساكين البرآة فصيرت والدتها في أمرها وأرادت أن تنف على الحقيقة فأحضرت اذاجبلا من أوان المرابي محكم الغطاء ووضعت فيه نحلًا وغطته ووضعتها بدل المراب فلما جاءت الفتاة على عادتها عمدت الى هذا النحل فوقع بصرها على الاناء فانجبتها شكله وأرادت أن تعرف ما فيه فأخذته وانفتحت ناحية ونفذته فخرجت عليها النحل تلسعها فصاحت واستغاثت وجمعت والدتها والخدم وهي على تلك الحال فلم يرث لها أحد بل قالت والدتها قد كنت تهربين من انطيانة الى الكذب وكلاهما شر وقد نصبت هذا الشرك لأوقع فيه ابنتي فكنت أنت الواقعة وقد

ظهرت خيانتك ولم يعد يتبعك كذبتك ولا يقر الناس بريأتك ولقد  
صدق من قال

توب الزمان يشف عما نحتبه « فإذا اكتسبت به فأنك عارى  
تفجرت الفتاة وأظهرت الأسف وعزمت على التوبة وفرح الخدم  
بوقوع المسيء في شر أعماله

### الامانة

الامانة محافظة المرء على حقوق غيره كما يحافظ على حقوق نفسه بل  
اشد فهي قوام العدل وأصل التقوى ودليل على كرم النفس وعدم حب  
الذات الذي هو أصل كل شر وفساد فلولا ما استأثر الغني بماله دون  
الفقير ولا قتل الفقير الغني طمعا في ماله ولا كان الناس الا كالخوة يساعد  
بعضهم بعضا فتصفو قلوبهم وتيسر أمورهم وتنجح مساعيهم

والصدق والامانة خلتان اذا كانتا في واحد وثى به الناس وأمنوه  
على أموالهم وأسرارهم وأرواحهم فيكثر رزقه وتحسن حاله ويكسب  
الشرف وحسن الثناء

### التقير الامين

يحكى أن أحد الفضلاء غدر به الدهر واستحالت حاله واقتصر بعد الغنى  
فقطعت به الأسباب واضطر الى بيع ملابسه لضيق ذات يده فأنطى  
أحد الدالين ثوبا وقال له بهد وبين لشترى هذا العيب الذي فيه وأراه  
خوقا في الثوب فبصى الدلال وجاء في آخر النهار فدفع الى الرجل ثمن الثوب  
وقال بعته لرجل أحمى غريب بهذه الدثار قال الرجل وهل أرىته العيب

قال لا واني نسيت قل لاجراك القمخيرا فقد غششت المشفري وأخذت الدناير ظلما فامض معي اليه فذهبها وقصدنا مكان الأعجمي فلم يجدناه وسألا عنه فقيل لهما انه رحل الى مكة مع قافلة الحجاج فلم تعلمين نفس صاحب الثوب يأخذ هذا المال ظلما مع ما به من القافة بل عرف صفة الأعجمي من الدلال واكثرى دابة ولحق القافة وسأل عن الأعجمي فذله الناس عليه فقال له ان الثوب الذي اشتريته من الدلال فلان بكنا وكذا فيه عيب فهاهنا وخذ ذهبك فقام الأعجمي وأخرج الثوب وطاق على الغيب حتى وجده فلما رآه عجب من أمانة الرجل وصدقه وشرف نفسه مع ما به من القافة وقال يا هذا أخرج ذهبي حتى أراه وكان الذهب مفشوشا ولم يعلم ذلك البائع لانه لم ينظر اليه ولم يتفقه فلما أخرج الذهب أخذه الأعجمي ورى به الى الارض وقال انى قد كنت غششتك واشتريت منك هذا الثوب بذهب زائف طمعا منى فى المال أما الآن وقد ظهرت أمانتك وأبنت بعطك عن فضلك فقد اشتريت منك هذا الثوب على عيبه بمثل هذا الذهب وأعطاه بمقدار الذهب المفشوش ذهبها جيدا فأخذته الرجل ورجع ظافرا بالمسأل والشرف

### الاجتهاد والتقوى أصل سعادة الدارين

ان سعادة الآخرة مرتبطة بأعمال الانسان فى هذه الحياة الدنيا فانما سعى فى اصلاح دينه وهو يحشى الله سبحانه وتعالى صلحت بذلك آخره واكتسب مالا يستعين به على طاعة الله فالترى العاقل اذا احسن التصرف قام بما يقر به من الله سبحانه وتعالى فإعان الضعيف وأعلى المعوز وبنى المساجد والمسشفيات والملاجئ

أما الفقير فيقوم الفقير بينه وبين ما يريد من عمل الخيرات التي تتوقف  
على المال كما قال الشاعر

لما لله دهرًا خصني بخصاصة ۞ فاقعدني عما سعى فيه أمثال  
توب صدقي ثابثات زمانه ۞ فتمنني من ربه قلة المال  
فوا أسفا من مكزمات أرومها ۞ فينهضني عزبي ويقعدني حال

هذا إذا كان الفقير ورعا ثميا شريف النفس والآ دفعته الحاجة إلى  
ارتكاب الماثم فليسوء آخرته بسواد دنياه

فعل العاقل أن يسعى وراء المشعة جهد استطاعته طالبًا إصلاح دنياه  
طلب الخلة فيها الأمن من زوالها وهو مع ذلك يخشى الله سبحانه وتعالى  
ويعمل بما يرضيه عمل الخائف من عقابه المقرب قرب لقائه حتى  
لا يسئ التصرف فيما أصاب من نعم الدنيا فيطغى فيها ويكون حفظه منها  
الحرمان من رحمة ربه والعياذ بالله بل يقوم بواجب دنياه وآخرته  
فيعيش سعيدًا محمودًا ويفوز في الآخرة برضا الله سبحانه وتعالى

### الزائر المتعجب

زار أحد الفضلاء غيا من أغنياء أميركا فرآه في قصر منيف قد  
أحاطت به حديقة غناء فيها من الأزهار والثمار ما يأخذ بالابصار وعلى  
القصر من الأبهة والرواء ما يجعل الإنسان يظنه لأحد الملوك فأخذ الزائر  
المتعجب من اتساع ثروة الرجل وكثرة خدمه وحشمه وما في قصره من  
الثالث وجعل يتحدثان إلى أن اتيا إلى وسط القصر وإذا هما بكوخ  
صغير يظهر عليه الفقر وسوء الطال فبهت الزائر عند رؤيته وظهرت عليه

علامات التعجب فالتفت اليه رب المنزل مبتهيا وقال له لعلك قد راعيتك رؤية مثل هذا الكوخ وسط قصرى قال نعم قد حيرنى ذلك قال لانعجب فان هذا الكوخ هو منبع هذه الثروة العظيمة التى أدهشتك فهو المنزل الذى ولد فيه جدى وهو مؤسس هذه الثروة ورافع هذه الأسرة بعد الضعة ولد فى هذا الكوخ وترعرع فيه ولكنه حد وأعمل الفكرة وساعده الحظ والاستقامة فلما ماتى ولم يبقا أن يبنى منشاها فبنى قصره حول هذا الكوخ وجعل يزوره كلما استطاع ذلك حتى لا يضى حاله القديمة ولا يترك الاجتهاد والاستقامة اللذين كانا سببا فى اصلاح حاله فيحمد الله سبحانه وتعالى الذى هداه الى سواء السبيل ويشكره ذلك بطاعته لأوامره وانى أحفظ هذا الكوخ أثرا حيدا لهذا المجتهد الذى حتى لا أترك خطئته ولا أسلك غير سبيله فانى أخشى أن مالا جمعه العلم والحزم يبدده الجهل والطمش فعجب الزائر وتمثل بقول القائل

العلم يرفع بيتا لا عماده ، والجهل يفض بيت العز والشرف

### وفاء امرأة بوعدا

لما تولى الخلافة المأمون بن هرون الرشيد خرج عليه عمه ابراهيم ابن المهدي ليلته المأمون جيشا فهر به ابراهيم فتر مستخفيا وجعل المأمون لمن دله عليه ألف دينار فبينما ابراهيم سائر ذات يوم اذ بصربه جندى يعرفه فنادى هذا والله طلبة أمير المؤمنين وتعلق بأثوابه تخلف ابراهيم على نفسه ودفع الجندى دفعة قوية ألقته عن ظهر جواده فشح رأسه وتركه ملقى على الارض وقد اهتم الناس بأمره وأسرع فى سيره حتى دخل زقاقا فوجد فى صدره دارا مفتوحة فدخلها مسرعا

وإذا هو بامرأة بلوح عليها الوفاة والسكينة فقالت ما حاجتك قل أنى  
امرؤ حائف على دمي وقد بلغت اليك وأسعجرت بك قالت على  
الرحب والسعة ادخل فالتت آمن ثم أدخلته في مقصورة وأغلقت  
عليه الباب

ولم يكدهدا روعه حتى سمع صيحة بالباب فنظر فإذا الجندى قد دخل  
الدار ومعه جم غفير من الناس وهو لا يقوى على المشى لشدة ما أصابه  
وقد عصب رأسه بعصابة فاستلقى على فراشه وكان إبراهيم يجيت برامه  
ولا يرويه فأيقن بالهلاك وقال لاحول ولا قوة الا بالله لقد سألني حتى  
الى هذه الدار فلا مفر من أمر الله

فلما نرج الناس الى حال سبيلهم جعل الجندى يتأوه ويقول لقد  
بصرت بالنفى ثم أقلت منى فأخذت المرأة بلاطفه وتخفف مصابه  
حتى نام ثم قامت الى ابراهيم وقالت أظنك صاحب القصة قل نعم  
أنا هو قالت لا بأس عليك فقد أبرتك ولا سبيل الى نقض العهد  
فأج الآن بنفسك تخرج من عندها وهو يعجب من عقلها ووقاها  
وعدم طمعها في المال مع ما علمت من وعد أمير المؤمنين

فلما انكشف أمره للمؤمن وعنا عنه قال له أخبرني بما رأيت أيام  
استخفافك فحدثه حديث المرأة فأعجب المؤمن وفاقها وأمر باحضارها  
وكافئها على احسانها

### التربية المنزلية

ان الانسان في سن طفولته كفنصن كرم لين يميل حيث وجهته  
وتلغف فروعه على ما يجده هناك من الاشجار أو الأعمدة القريبة

منه ويصعب بعد ذلك تخلصه مما علق به وربما تلف أن حاول صاحبه ذلك

فإذا نشأ الإنسان في أسرة كريمة تعودته التحلي بمكارم الاخلاق ومحاسن الآداب وتقوم بربيته مربية قاضية تسلك به سبيل السداد وتجعل مسيره على صراط الدين التويم وتقوم ما اعوج من أخلاقه وتصلح ما قصد من طبعه شب وهو يرتاح للتضحية لما آتته منها وينفر عن الرذيلة لعدم تعوده اياها وصادفت تلك التربية نفساً خالية فتحتت فيها وصحيفة بيضاء فارقت طيها وتمذر بعد ذلك نحوها فهو ينشأ على ما تعودته صفوا وتصير الفضائل طبعه لا تكلف فيها حتى اذا تخرج وذهب الى المدرسة لم يكن للعلمين هم الا تعليمه وكان طوع بناتهم فيها يرشدونه اليه من الخير فلا يلبث أن يصير انساناً كاملاً يتبع نفسه وغيره والفضل في ذلك للتربية المنزلية

أما اذا نشأ في أسرة سيئة الأخلاق فلا يلبث أن تسرى في نفسه الخالية تلك الاخلاق فتتمكن منها ويصعب عليه تركها فيشق على المعلمين ارشاده الى الخير أو تعليمه ما أرادوا فيكبر على الجهد والشر ويحرم نعم الدنيا والآخرة

فلا غرو أن عظم شأن هؤلاء الامهات في نظر البصير ووجب الالتفات الى تهذيب وتعليمهن لما يترتب على أهمالهن وأخلاقهن من صلاح مستقبل أولادهن أو فساد لسبقهن المعلمين الى غرس العادات في نفوس الاطفال وقد قبل

قد ينفع الادب الاطفال في صغرهم . وليس ينفع عند الشيبة الادب  
ان النصوص اذا قومتها اعتدلت . ولن تلين ولو قومتها الخشب

وقال آخر

عود بريك اعتناق الفضل في الصغر . كما تفرهم عينك في الكبر  
فانما مثل الآداب تجمعها . في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر  
هي الكتوز التي تنمو ذخايرها ، ولا يخاف عليها حادث القبر

### السارق والحبل

يحكى أن لصا سرق بعيرا وأراد الهرب به ليلا فشر به صاحب البعير  
وتبعه في جماعة من قومه فلما رأى السارق أن القوم كانوا يدركونه أراد  
أن يخفيهم عنه فاطلق فيهم سهما من مكانه فاصاب صاحب البعير  
فسقط ميتا وأسرع القوم الى النص فادركوه وقيضوا عليه وأرسلوه  
الى الحاكم فوج به في السجن مكبلا بالحديد ثم صدر الامر باعدامه  
حتى اذا كان يوم الاعدام طلب النص أن يرى والدته ليني بعض  
مالها عليه من الشكر فأجيب الى ما طلب ولما حضرت قال لها ان لي  
عندك حاجة أرجو قضاءها قالت كل حاجة لك عندي مقضية قال  
اتخذ لي أن أقبل لسانك قلت وما يعجيك في ذلك قال أردت أن  
أقبل لسانا طالبا أسمى الخبير فأخرجت المرأة لسانها فقال عليه بعمدة  
أسنانه فقطعه فلامه من حضر وقالوا أجنباية وعقوبا بحق الوالدة  
قال الرجل لو تعلمون الحقيقة لعذرتوني قالوا وما ذلك



قال كنت طفلا آوى إليها فاعتدت منها سوء الخلق والكذب  
وحب الباطل والطمع في أموال الناس حتى إذا بلغت السادسة من  
عمري سرقت بيضة من بيت جارنا وأتيت بها والدي فسرت بذلك  
وهشت له وقيلني بين عيني فشجعتني على السرقة بفعلها هذا وما زالت  
سرقني تكبر كلما ترعرعت حتى صارت بحملا ووقعت بسببها في هذه  
الخطيئة ولو زجرني عند سرقة البيضة لما اعتدت السرقة صغيرا ولا  
شقيت بها كبيرا فوالدي سبب وجودي في هذه الحياة الدنيا وهي  
أيضا سبب شقائي فيها وخروجي منها جانبا كما نزل أساق إلى النار  
وليس المصير

قال الحاضرون صدق الرجل فيما قال فإن أنا هذه حالها تسوق بينها  
إلى الهلاك وهم لا يشعرون

### السُّمعة

ينشأ الإنسان ونفسه مطوية على غرائز خلقت فيه أو ورثها عن  
آبائه وطباع اكتسبها إما بالتعليم أو بالافتداء عن خالطهم في سن  
طفولته حتى إذا بلغ أشده ثبتت تلك الطباع في نفسه فهو يعمل بما  
يميل إليه من خير أو شر فإذا كان مجتبا في عمله قائما بالنسبة شريف  
النفس عاين الحق بعيد النظر حازم الرأي صادق في أقواله وأعماله مجابا  
لإصلاح الناس حريصا على نفعهم أمين على أموالهم وأسرارهم مقداما  
في الشدائد اشتهر بذلك عند الناس فوجهت إليه أنظارهم ونطقت  
بمدحه ألسنتهم وحسنت به قلوبهم فيلقون إليه بمفائيد الأمور واتقون  
بصدقته وأمانته وحسن تصرفه فإن كان تاجرا راجت تجارته أو صانعا

القبل الناس على عمله أو موطئا قلده رؤساؤه أهم الاعمال فينسب اليه  
كل خير ويقره عن كل شر فنعلم رأس المال السمعة الحسنة  
أما انا اتصف المرء بالذائل فلا يلبث أن يشتهر بها عند الناس  
ومهما تكن عند امرئ من خليقة ، وإن خالها تخفى على الناس تعلم  
فيتمدون عنه ابتعاد الصحيح عن ذمى آفة فلا يلتفتون اليه ولا  
يعاملونه فتكسد سوق تجارته وتتعطل أعماله ويسوء مآله  
لذلك يجب أن نهذب أخلاق الاطفال منذ نشأهم حتى لا تسوء  
سمعتهم فيتحاماهم الناس وتضيق أرزاقهم وتناق في وجوههم أبواب  
المطالب

### حاتم وضيافته

اشتهر حاتم الطائي أحد سادات العرب بالجلود والكرم حتى قيل انه  
ربما كلف يطعم الضيوف جميع زاده مع كثرته ويبيت على الطوى  
مسرورا بما فصل من الاحسان فشاع ذكره بين العرب وضربوا  
بجوده المثل

ويحكى أن أعرابيا ضافه ليلة فلم يخرج اليه ولم يكرمه بل أرسل  
اليه بعض عبيده بقليل من الطعام فبات الأعرابي متكثرا وفي الغد  
ركب دابته وخرج من الخيل مفضيا فلقم حاتم وتبع الأعرابي  
واسوقه وقال له أين كنت الليلة يا أعرابي قال كنت ضيف حاتم  
طبي قال فكيف كان مبيتك قال على أحسن حال لقد نحرتي بعيرا  
وحياي وأكرمتي كل الاكرام فابتسم حاتم وقال يا هذا أنا حاتم فما

ملك على الكذب قال شهرتك بالهود بين العرب فقد خفت ان قلت  
غير هذا أن أكذب فيه قلت ماقلت خشية أن ينسب الى الكذب  
فضحك حاتم ورثه الى الخباء ونحر له بعيرا وأكرم مشواه وقال ماقلت  
ذلك أمس الا مزاحا

### مكانة الفتاة

#### وكيفية تربيتها تربية صحيحة نافعة

قد فرض الله سبحانه وتعالى على العتاة من العبادات وغيرها مثل  
ما فرض على الفتي ولم يكلفه بأكثر منها الا قليلا وهذا مما يدل على أن  
لها نصيبا واقرا من العمل في هذه الحياة الدنيا وان لها عقلا وذكاه  
ولولا ذلك ماشرفها الله بتوجيهه وأمره وتواهبه اليها فصالح  
العالم انما يتوقف على سعي الرجل والمرأة فلو فسدت أخلاق أحدهما  
فسدت بسببها أمور كثيرة وانما يختص كل منهما بعمل حتى لا يكون  
هناك اختلال في أداء الاعمال وهكذا أمر الله في جميع الاشياء  
الآخرى فقد جعل لكل عضو من الجسم عملا مخصوصا به لا يؤذيه  
غيره ولا يمكننا أن نفضل القلب على الرئتين مثلا لاحتياج الانسان  
الى كل منهما ولو تلف أحدهما لتعطلت أعمال الآخر ومات الانسان  
كذلك الرجل والمرأة لا يصلح أحدهما الا بصالح الآخر

ولما كان الاطفال الصغار يلجئون الى الأم لتعطيهم بها واحتياجهم  
اليها يجب أن تقوم هي بتربيتهم وتعهدهم المنزل ويقوم الرجل بالسعي  
وراء اكتساب الرزق وكلا العاملين لاغنى عنه فيجب أن تهذب  
أخلاقهما وتطهر أنفسهما حتى يستقيم أمرهما ولا سبيل الى ذلك الا

بالدين الذي يبحث على التفضيلة وينهى عن الرذيلة فلذا تحسك كل منها  
بدينه كتبت أخلاقه وقلم بأعماله حتى القيام

وكذا أن الفتى يتعلم العلوم لتتربى مداركه ويكتسب بها عقلا يرشده  
الى تحسين أعماله واختراع أسهل الطرق وأعمها في تأديتها كذلك الفتاة  
يجب أن تتعلم حتى يقوى تصورها وتتهدى الى تحسين حالها فان عملها  
يحتاج الى الحكمة والرؤية فلها تكون رئيسة منزل تدبر حركته فلا بد  
لها أن تعرف كيف توزع الاعمال على خدماها وترشدهن الى اتقان  
أعمالهن وتحسن التصرف فيما لديها وهي مشغولة عن صحة الاطفال  
وأخلاقهم فلا بد أن تعرف طبائعهم وحالة أجسامهم لتتبع على علم  
ماينفع صحتهم ويؤثر في طبائعهم والا أضرت بهم من حيث أرادت  
أن تفهم

ومنها يطلب حفظ الأشياء والاقتصاد فيها فلا بد لها أن تعرف  
طبيعة هذه الأشياء وتأثير الأجواء فيها ومقدار قائمتها للغذاء حتى تجيد  
ادخارها سالمة وتحسن الاتعاب فيما ادخرت

ويلزمها ابداء رأيها فيما يصلح أحوال المنزل وبيان مايفشأ عن ذلك  
من المنافع فلذا يجب أن تتعلم الانشاء وحسن الطلوة حتى تقدر أن  
تعبر عما في نفسها بعبارة ترضى السامع وتمنعه فكثيرا مايفشأ الشقاق  
عن سوء التفاهم بين المتحاطبين أو عدم دراية المتكلم بمواقع كلامه من  
القلوب وجهله بأداب المعادثة وكثيرا مايجتدل الانسان آخر عن اعتقاده  
بكلام حسن لين فلا يشعر السامع أن المتكلم يعارضه في الرأي فيميل  
اليه بازتياع نام وبذلك يسود الوتام في الأسرة

فالتفاد في كل ذلك تحتاج الى تعلم علوم كثيرة هذا فضلا عن شدة احتياجها الى درس التربية والأخلاق درسا تاما ولا يمكنها كل هذا الا اذا تمكنت من لغتها وعرفت معانيها وأساليبها حتى تحف على مادونها من هذه العلوم ويفهمه فهما جيدا وتعمل فكرتها في الاستفاد بما علمت منه

وبالحقيقة فكل علم اشتملت به الفتاة أفادها فان لم يرتبط بعملها مباشرة فهو يقوى ادراكها ويستند رأيا ويعتقدا لاصلاح أعمالها وان لم تستر وليكن نصب عينيها في كل ذلك العناية بتدبير المنزل فهو أول واجباتها المعاشية

ولا يمكنها كل علمها من حفض جناح الذل لمن فضلهم الله عليها ولتحترس من تقليد الرجال في خشونة الألفاظ أو تكون عديمة الحياء أو قليلة طنا أنها تبلغ بذلك كجالات الرجال عبر طرفة أنب الشئ انما يحسن في محله وأن العراب اذا حسد الليل على حسن صوته وتغنى ليضاهيه كره الناس سماعه ورجوه بالحجارة ليكفى عنهم وأن الفتاة لا يتم كمالها الا بالتجمل بصفات النساء المدوحة مثل الحياء ونقض الطرف وحسن الألفاظ وابن الجاناب

هذا ولا يحسن أن تقتصر الفتاة على ما يؤهلها لإدارة المنزل فقط بل يلزم أن يكون لها المام تام ببعض الصنوف التي يسجل على السيدات القيام بها ومشاركة الرجال فيها مثل علم الطب والتعليم والخياطة فربما احتاجت في المستقبل الى اكتساب ما تقتضيات به

« والدهر نودول بالناس ينتقل » فالعلم جمال مادامت غنية عنه وحفظ من الثألة ان احتاجت اليه هذا فضلا عن أن اشتغال الفتاة بهذه الشؤون يفيد غيرها من السيدات فائدة أدبية عظيمة وخير الناس أكثرهم نفعاً

### الفتاة والنجاح

يحكى أن رجلاً أرسل ابنته الى المدرسة ولم تكن تعرف مبادئ القراءة والكتابة حتى أخرجها منها واكتفى بما تعلمت فلما أنها بلغت من العلوم درجة يتمكنها معها أعمال التفكير فيما ينفعها

أما الفتاة فلما رأت أنها تعرف ما لا تعرفه والتمتها الجاهلة من قراءة وكتابة الرسائل أعجبت بنفسها وظنت أنها بلغت من العلوم شأواً بعيداً لا تتأزل معه الى النظر في تدبير المنزل وظلت في معزل عن ذلك تألف أن ينسب اليها معرفة شيء منه كأن العلم بذلك نادر ونقيصة ولبت على ذلك سنين حتى توفيت والتمتها وصارت هي رئيسة المنزل فاستعملت النظافة وسوء الخلق مع خدمها حتى اضطرتهم الى ترك منزلها وطلب الرزق من غيره

واضح أن زار والدها بعض أصدقائه ولم يكن في المنزل الا الفتاة وخدمة لها صغيرة لاتحسن صنع شيء من الأطعمة فضايق الرجل ذرفاً بذلك وقال لابنته لو أمكنك أن تصنعي لنا ولو طعاماً بسيطاً لا يحتاج الى التاني لكفانا ذلك شرّ الاحياج الى التآكل المصنوعة في السوق مع عدم تقنا بنظافة صانعيها وانقلابهم أحسن الأشياء لصنعها وقد

احضرت لك بعض دجاجات فا عليك الا أن تنظفها جيدا وتصنع لنا بحرقها ثريدا قالت الفتاة لا بأس بذلك وسأريك نشاطي في العمل كما رأيته في العلم فسرت الرجل بذلك وقامت الفتاة لصنع الطعام

حتى اذا كان وقت العشاء ووضعت المائدة قبال الرجل لضيوفه لا يخفى عليكم أن ابنتي صرفت كل زمنها في العلم ولم تلتفت الى تدبير المنزل لعدم اذقيتها به وقد تركت الخدمات منزلا حديثا وأملى أن أحضر غيرهن . لذلك اضطررت أن تصنع لكم ثريدا وهو طعام سهل الهضم مفيد مع تقنا بنظافته لما أعدهه في ابنتي من النشاط واليقظ قال الضيوف نعم الطعام صنعتم ولم يستقموا حديثهم حتى أحضر الخادم الطعام فابتدروا يأكلون ومد صاحب المنزل يده الى دجاجة وقطعها ليقدمها لضيوفه وما كاد يفعل ذلك حتى فاحت رائحة كريهة وتبين للخاصرين أن الفتاة لم تخرج أمعاء الدجاج قبل طبخه فاشتكرت هموسهم ونعموا على تناول بعض لقيات من الثريد

قال أحدهم وكان فطنا لييا قد زعمت بأصاحي أن فئاتك قد صرفت كل وقتها في العلوم وأراها جاهلة حتى بالاشياء البديهية ولو عملت التذكرة لعلمت أنه لا بد للدجاجة من أمعاء تحتوي على فضلات غذائها والا فإن يذهب غذاء الدجاجة ففانطه فئاتك غلظة جاهلة لا تدري شيئا حتى ولا في تكوين جسمها وهو أقرب اليها من مضيق جبل طارق وغيره ولو تعلمت العلم الصحيح واستضاء عقلها بالمعارف لأفاحت في كل ماقامت به من الاعمال ولعرفت أنفع الاشياء اليها فاهتمت به فالعلم نور يهدي صاحبه الى معرفة الحقائق وهو جمال أيضا كان فلا تنسب

إليه ما ولعت فيه ابنتك من خيبة الجهل وأتمت تعليمها فربما ترى منها ما يسرك فإن ما تعلمته مبادئ أولية لا يراد منها إلا وصول الإنسان إلى غاية محمودة أما أنت فقد جعلت ذلك نهايتها فأخرجتها من العلم والعمل فلا هي تعلمت فاستفادت كيف تستنتج من الأمر الواحد أمورا ولا هي بقيت في المنزل فتعلمت ما عرفته والدنيا بالتجربة والتقليد من أسلافها

فجعل الرجل وأصرف الضيوف بلعون الجهل وغافبه

### جمال الفتاة أديها

إن الفتاة تبدي حالة الصغر • كزهرة أينعت بسهولة النضج  
فإن تغذت بماء العلم نجتها • أهدت إلى الكون طيب العنبر المعطر  
وزيقت روضة الآداب ياقعة • وأخرجت ثمرا من أحسن الثمر  
وإن يفتها التحل وهي في صغر • بالعلم ذاقته عذاب الجهل في الكبر  
فلا يفر فتاة حسن مظهرها • ليس التفاضل بين الناس بالصور  
ما المفضل إلا لمن طابت شمائلها • وألهمت في صباها دقة النظر  
فقلدت بعلى العلم لبثها • ونقلت لأظريها فيه بالسهر  
وزانها حسن المفاظ إذا شئت • على ترائبها أيمن من الدرد  
وظل يرشدها العلم الذي علمت • فكل أعمى ما نعم بلا ضرر

### ملكة محمد نفسها

اعتصمت الخاديمات في قصر ملك إسبانيا فأضربن عن العمل وتركن  
القصر فاهتم الملك لذلك أما الملكة فلم يهلهما ما رأته بل قالت لا يهم



الملك يمثل هذا ويعلم أن عملا تقوم به جماعة من الجاهلات لا يصعب على مثل القيام به ثم قامت بفهرت طعاما كان على قلب الملك أنهن من كل طعام غيره لا لأن الملكة صنعته ولكن لانها صنعته ولذا طعمه فان الملكة لم يجتهدا كل ما تعلمت من العلوم الراقية من تعلم تدبير المنزل فأعملت فكرتها فيه وساعدها اتساع عقلها بالمعارف على اتقان ما أرادت منه فالت العلم والعمل

ولما رأيت الخادمات أن الملكة قد استغنت عنهن بمعرفتها عرفن قدرها وعدن صافرات خاضعت لأمرها وكمن ذلك اليوم يجتهدن في تحسين ما يصنعن واتقانه علما منهن أن سيدتهن لها تدوية تامة بكل ما يصنعن فهي تعرف هفواتهن فيه وتثقلها فكأن على حذر من ذلك

### المعلم والمتعلم

ان الاطفال يحتاجون الى تربية فوسهم احتياجهم الى تربية عقولهم اذ بدون التربية لا يقوم الانسان بما يجب عليه ولا يكون لامهاله نظام يعرف

وان المعلم خير مثال يقتدى بآعماله وأخلاقه المتعلمون فضلا عن تربيتهم عقولهم بما يلقى من العلوم النافعة فاذا تحلى بحسن الاداب وانصف بالكآل فقد سار بتلاميذه في سبيل السداد ونهج بهم منهج النجاح بأمرهم بالتفضيلة ونبهاهم عن الرذيلة فينشون أناسا عقلاء أفاضل يكونون العسك ويسرون الصديق

لذلك وجبت طاعته واحترامه على المتعلمين فيتقنون له ويسعون اليه حتى اذا أشكل عليهم الامر ولم يمكنهم فهم ما يلقى تعلقوا

في السؤال عما أرادوا غير معاندين ولا مسلمين فكان عبادهم محمود لعمته  
وعند مروية إذ أن المعاند يأتي بكلمة فاسفة يحاول بها ستر الحقيقة وهو  
يعلم بطلانها فهو مخادع كاذب أما المسلم فهو أمان جبان لا يقوى على  
المجاهرة بما لديه وأما نهي لا يلزم عليهم ما يلزم عليه فهو يتبع آراء المعلم على  
غير علم بها

هذا ويجب أن يعرف المتعلم لعلنه حق ماله عليه من الفضل  
فيخضع له جناح الذل ويخضع لسلطانه ولا يقاوم غضبه وإن كان  
محقا في جداله لأن من المروية معرفة الفضل لأهله ووقوف المرء عند  
حده فلا يتكبر على من هو أرفع منه قدرا بل يعظمه ويحترمه لا سيما  
من له الفضل عليه مثل الوالدين والمعالمين هذا فضلا عن أن خضوع  
التلميذ لاساتذته يقربه منه ويستميله إليه فينزل له مكنون صدره  
وتخصه بذخائر علمه فيرتقي سلم الجاه وتخص له الآمال

### الكسائي عند الرشيد

كان الكسائي يؤدب الامين والمأمون ابني هرون الرشيد فأراد يوما  
التبوض من عندهما فابتدرا الى نعله ليقدماهما له فتنازعا أيهما يقدمها له  
ثم اصطالحا على أن يقدم كل واحد منهما فردا منها فلما رفع الخبر الى  
الرشيد وجه الى الكسائي فلما دخل عليه قال له من أعز الناس قال  
لا أعلم أعز من أمير المؤمنين قال لي إن أعز الناس من إذا نهضت فقاتل  
على تقديم نعله له وليأعهد المسلمين حتى يرضى كل منهما أن يقدم له فردا  
منها فآخذ الكسائي يعتذر حاسبا أنه أخطأ

فقال الرشيد لومعتكما عن ذلك لا وجعتك او ما وعتبا ولا اؤمتك ذنبا  
وما وضع ما فعلا من شرفهما بل رفع من قدرهما وبين عن جوهرهما  
ولقد نهنت عناية القراصة بفعلهما فليس يكبر المرء وان كان كبيرا عن  
ثلاث تواضعه لسلطانه واولاديه وامامه ثم قال وقد عرضتكما مما فعلا  
عشرين الف دينار ولك عشرة آلاف درهم على حسن اذبك لها

### اصلاح العلم في أمريكا

كان يسكن أمريكا في الزمن الغابر الجنس الاحمر وهم قوم متوحشون  
كانوا يكرهون الى الجبال والغابات وياكلون من الحشائش البرية أو من  
لحوم الحيوانات التي كانوا يفتسونها ثم يستقرون بجلودها فكانوا عرضة  
لهجوم الوحوش عليهم ونهبها فتوسمهم وكانوا لا يستغفرون في نومهم  
لشدة تخوفهم من تلك الوحوش حتى كانت آذانهم تتحرك ولحبه جهة  
الصوت لكثرة تتبعهم الاصوات حذرا من وثوب السباع عليهم وقد  
أعماهم الجهل عن التمتع بخيرات بلادهم مع ما كان فيها من المعادن  
الثمينة كالذهب والفضة وغيرها

حتى اذا دخل الاسبانيون أرضهم بعد اكتشافها وجدوا بها من  
الكنوز والذخائر ما يهرم وكانوا يستعملون الامريكيين في نقلها الى  
سفنهم كما تستعمل الحيوانات في حمل الاثقال ذلك لجهل الامريكيين  
واساع عقول الاسبانيين بالعلوم والمعارف

ومن ثم دخل العلم أمريكا فما زالت تترقى حتى اصبحت من احسن  
البلاد عمارة وبجارة وحضارة وأصبح نساؤها من أفضل النساء علما

ونشاطاً في الصلح حتى شارك في كثير من الاعمال وأحسن القيام بها فنهى الكتابات البارعات والمهندسات والعاميات وغير ذلك ويحكى أن المهندس الذي شرع في عمل قنطرة بين نيويورك وبركلين مات قبل تخيم عمله فطلت محله امرأته وأتمت عمله على أحسن ما يرام من الامتحان فعمد القدر العلم به بتقديم المنحة وسود الوضيع وتنازل الامال وتصلح الاحوال

### وفاء السموئل

اشتهر العرب بكثير من الفضائل من ذلك الشجاعة والحلم والجرود والوفاء بالمهد وحفظ الجوار فكانوا يذلون كل قبيس في سبيل الوفاء بما عاهدوا الناس عليه ويقون جوارهم بمواالم وأنفسهم ويفتخرون بذلك ويعيرون من نكث عهده أو خذل جاره

ومن اشتهر منهم بالوفاء السموئل وكان يسكن حصناً منيعاً فوق جبل لا يستطيع العدو الهجوم عليه فكان هذا الحصن مأوى الخائفين فلما قتل أبو امرئ القيس وطرده امرؤ القيس الشاعر المشهور من ملك أبيه أخذ معه مائة درع وسلاحاً وأودعها السموئل وعاهده على أن لا يسلمها لأحد غيره

فسمع عدو امرئ القيس بها وجاء ليأخذها منه فأبى السموئل ومحضن بحصنه وكان له ابن خالرج الحصن فمأخذة العدو وناداه اما أن تسلم لي الادراع واما قتلت ابني فأبى السموئل أن يسلم الادراع وقال انك ان قتلت ابني فعندي من يخلفه ولا عار في قتله فقد عاش كريمة ومات كريمة أما نقض العهد فلا سبيل اليه لما يعقبه من العار

فضرب العدو وسط الفلام بالسيف قطعته وأبوه يراه وانصرف  
ومع السموت الأذراع إلى أن مات فضرب به المثل في الوفاء بالعهد  
ومن كلام السموت في الفخر قوله

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه • فكلي رداء يرتديه جميل  
وإن هو لم يحمل على النفس ضيحا • فلوس إلى حسن الشاء سبيل  
تعبيرا أنا قليل عديدا • نقلت لها إن الكرام قليل  
وما قل من كانت بغايا مثلنا • شباب تسمى للعلا وكهول  
وما ضربنا أنا قليل وجارنا • عزيز وجار الأكثرين قليل  
إننا سيد منا خلا قام سيد • فزول لنا قال الكرام قصول  
وما أحدث نارنا دون طارق • ولا نعمنا في التازلين نزل

### الدين المعاملة

إن الإنسان في جميع أطواره لا مندوحة له من مخالطة أناس يأنس  
بهم في وقت فراغه ويستعين بأرائهم في بعض أعماله لذلك وجب أن  
يحب المرء معاشريه ويخلص لهم ويحسن معاملتهم لبعض مسرحة  
البال لا يعوقه عن إصلاح أمره الاشتغال بالشقاق والمنازعة فإن حسن  
الأخلاق لا يكفئه شيئا بل يكفه أشياء لأنه يستميل قلوب الناس إليه  
ويدعوهم إلى مساعدته ويكفيه شر العرض لهم وإيائهم بحدة لسانه  
فقد يفعل اللسان من الضرر ما لا يفعله الحسام فيضق الناس على معاداة  
صاحبه وينضب عليه الله سبحانه وتعالى

فتم عون المرء حسن أخلاقه فهو وصف جميل يدعو الى الاتحاد والتعاقد وهو ضروري لاسيما للفتاة التي ربما أصبحت بين أسرة لم تعرف من بها من السيدات من قبل ولا ماعاداتهن التي نشأت عليها فان لم تعرف كيف تعامل الاهل بل الناس جميعا كانت سبب تفرق الأسرة واختلاف كلمتها فتضخف رابطتها وتفرق آحادها ويستظهر عليها المدق وتعجز عن اصلاح شؤونها والقوة في الاتحاد كما قال أكثم ابن صفيى

تأبى القدامح اذا اجتمعن تكسرا ۞ واذا افرقتن تكسرت احلاما

لذلك ينبغي أن تعود الفتاة حسن الاخلاق منذ نشأتها فتعلم طفلة كيف تحسن معاملة اخوتها أو من معها في المنزل من الاطفال فلا تؤثر ضحا عليهم ولا تتسبب في كدرهم حتى اذا تعرضت وذهبت الى المدرسة تعلمت كيف تحسن معاملة التلميذات وترضيهن جميعا على اختلاف مشاربهن فتستميلهن اليها وتأنس بهن وتستفيد من رأيهن وعلمهن حتى اذا بلغت أشدها كان ذلك عادة لها فتكون سرور الأسرة التي توجد فيها بها يأنسون ومن آرائها يستمدون فترحمهم من مطاعب النزاع وتقوى رابطة اتحادهم فيتفرغون للاصلاح والتعاون عليه ويساعدون اتحادهم على الاقتصاد في النفقات

فان الاخوة مثلا اذا جمعهم منزل واحد ومائدة واحدة ينفقون في امر غذائهم ومسكنهم أقل مما ينفقون لو كانوا متفرقين فيسبقون من الدراهم ما يستعينون به على اصلاح شؤونهم وحسن تربية ابنائهم وتكسب هي ثناء الناس عليها ورضا الله سبحانه وتعالى عنها

عبد الله بن الزبير ومعاوية رضي الله عنهما

كان لعبد الله بن الزبير أرض له فيها عبيد يعملون وإلى جانبها أرض  
لأمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان وفيها أيضا عبيد يعملون له فدخل  
عبيد معاوية في أرض عبد الله فكتب كتابا إلى معاوية يقول فيه

أما بعد يا معاوية فإن عبيدك قد دخلوا في أرضي فأنهم عن ذلك  
والإكثار لي ولك شكان والسلام

فلما وقف معاوية على كتابه رماه إلى ولده يزيد فلما قرأه قال له  
معاوية يا بني ما ترى قال أرى أن تبعث إليه جيشا يكون أقره عنده  
وأقره عندهك يا توك برأسه قال بل غير ذلك خير منه يا بني ثم أخذ  
ورقة وكتب فيها إلى عبد الله يقول

أما بعد فقد وقتت على كتاب ولد حوارى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وسأفني ما ساءه والدنيا بأسرها هيئة عندي في جانب رضاء وقد  
تركت عن أرضي لك فضعها إلى أرضك بما فيها من العبيد والأموال  
والسلام

فلما وقف عبد الله على كتابه كتب إليه

قد وقتت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه الرأي  
الذي أحله من قريش هذا الفعل والسلام

ولما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه إلى ابنه يزيد فلما قرأه  
تهال وجهه وأسفر قفاله له أبوه يا بني من عفا ساء ومن حلم عظم  
ومن تجاوز استقال إليه القلوب فإذا ابتليت بشئ من هذه الأدواء فدأوه  
بمثل هذا الدواء

## بلاد مصر

ان مصر بلاد عريقة الحضارة قد اشتهر قدماءها بالصناعة وشهد لهم بذلك ما خلقوه من غريب الآثار ومن أعظمها الاهرام التي ابلت الدهر وهي في عقولان النباب حتى اتفق الناس على أنها أشهر الآثار القديمة . ذلك لانها صنعتها وعتاة بنائها وعظيم منظرها الطائل الذي يأخذ بالقلوب قبل الألبصار ومن جميل آثار مصر قصر أنس الوجود وأعمدة رمسيس ومعبد الكرك وقبور بنى حسن وقبور المعجل أبيس

وهي مع ذلك بلاد معتدلة الجو رائقة السماء قد مرّ فيها النيل فأكسب أرضها خصبا وحسن تربتها فكانت بلادا زراعية كثيرة الثمرات فأهلها يجمعون بما منحهم الله سبحانه وتعالى من تلك الحبة الجليلة التي طالما حسدهم عليها جميع الامم ولو أحسنوا التصرف لكانوا من أسعد الناس حظا لكثرة مزرعتهم واتساع ثروتهم ووفرة أموالهم

## النيل في مصر

انما ما النيل حظ بنا الرحالا • وفاض على شواطئه وسالا  
وأهدى مصر جلبابا موثى • يفضته فألبسها جمالا  
أرادت أن تباريه فنطقت • بسندس نبتها تلك الرمالا  
وأبدت نزهةا المكنون حتى • يطيب الضيف في الأحياء حلالا  
وعاس الفصن من طرب وأوما • بشكر النيل اذ بذل الزلالا  
فنخرج من بطون الارض نورا • وتأكّل طيبا حسنا حلالا



ولا تخشى من الايام قحطا • ولا عصرا يكلفنا السؤالا  
ولا يرد يضر المرء فيها • ولا حرقا ما الطل زالا  
فتم الارض ما أحسنت فيها • ولم تطع الفؤابة والضلالا

### متبوع الآثار

أراد أحد المصريين السفر الى باريس يتبع الطرف بما فيها من  
الآثار والمناظر قصاصد في طريقه فرنسيا عالما من مصر الى بلده  
فأتى كل منهما بصاحبه وأخذا يتحدثان فقال الفرنسي أين ذهب  
قال الى باريس قال ألك حاجة هناك قال لا ولكنى أردت أن أرى  
ما فيها من الآثار وقد علمت أن هذا يزيد الانسان علما بتاريخ هذه  
البلاد وما كان عليه أهلها من الحضارة والعلوم  
قال الفرنسي وقد أعجب بقول المصرى وأقبل عليه لقد صدقت  
ولهذا الغرض كنت في مصر وانها لعوق ما سمعت من وصفها وقد  
تحدثت بكثير من مناظرها الجميلة وأعجبتى متحف الآثار العربية  
ولكنى أسفت لعدم معرفة اللغة العربية وقراءة شيء مما كتب على  
بعض هذه الآثار لعل تحفظ شيئا من ذلك قال المصرى انى لم أر  
هذا المتحف

فظهرت علامات التعجب على وجه الفرنسي ولكنه تمالك عنه  
ودخل في الحديث ثانية وأخذ يطيب في مدح مصر ومعانيها من الآثار  
ويذكر مشاهدته لكثير منها الى أن ساقه الحديث الى ذكر الاهرام  
يفعل يعجب من صنعها وعظيم مشهدها ويسأل المصرى عما يرى  
في ذلك فاضطرب المصرى ولم يكن يحال أن يكون لأرضه هذا التأثير

في الفروس ثم قل أني لم أر الأهرام لعدم اعتياني بها ولكنك عظمت ذلك في نفسي وسأزورها بعد عودتي

فضحك الفرنسي منهكاً به وصرف وجهه عنه قائلاً أنك لا تكدرى شيئاً من آثار بلادك وأراك توغل في البلاد الأخرى لتعرف من آثارها ما لم تعرفه جدودك فإنا يكون حالك أن سألك أهل باريس أن تصف بعض الآثار الشهيرة في بلادك وما مثلك إلا كمن يترك الدر تحت أقدامه لا يعبأ به ويذهب في طلب الصدف جهلاً منه بقيمة كل

أذهب إليها المفرود فأعرف آثار بلادك ثم اطلب معرفة غيرها نعم إن الإنسان لا تكمل أخلاقه وآدابه وتحسن تجربته إلا إذا خالط أجناس الناس على اختلاف أحوالهم ومشاريعهم فيكتسب منهم علماً وتجربة ولكنه إذا أراد أن يعرف آثارهم وعاداتهم ليستفيد منها فليبدأ بمعرفة آثار بلاده وعاداتها ليقارن بين هذا وذاك والأكلت سياحته مجرد أسفار لا يهيم فيها إلا حسن المناظر وتمييق الألوان وهو في معزل عما تشير إليه هذه المناظر من الأسرار الغامضة

تفجّل المصري وكر راجعاً إلى بلاده معقلاً أن يدرس أحوالها  
درماً جيداً

### وصف حالة المعيشة في مصر

يقسم المصريون إلى قسمين متباينين في المعيشة أهل القرى والمدنيين أما القرويون فإن منبع ثروتهم الزراعة وهم في الغالب مستقيموا الأحوال وللسانهم من العمل تصوب وانفر وكل الأشياء متوفرة لهم

من خيرات أرضهم حتى ان الحازم منهم الذي لم يقته بشرار المدنين في أحواله ولم يترك سنة آباءه لا يحتاج الى شراء شئ من غير متحصلات أرضه الا خشب البناء وبعض أثاث المنزل كالفرش والاولاق وربما كان أغلب اولاق الثقراء من الفخار المصنوع من طين أرضهم

فيزرع الفلاح في أرضه ما يحتاج اليه من الغذاء والكسوة كالقمح والذرة والقول والقطن والكتان والنبيل ويهتم باقتناء المواشى وبعض الطيور فيعيش من لحومها وألبانها ويلبس من صوفها وبعد فراغه من زرع أرضه يشغل بحراستها وينزل القطن أو الصوف لعمل ملايبه أما المرأة فتقوم بأعمال منزلياً أحسن قيام فتحسن التدبير وتساعد الرجل في بعض الاعمال وتستخرج السمن واللبن وفي الغالب أنها تأتي بالماء من الترع على رأسها وتمشي به معتدلة مسرعة في خطواتها يظهر عليها النشاط والاستقامة وتشغل في أوقات الفراغ بغزل الكتان لفسح ملايبها الا أنها لجهلها لا تحسن تمهد الاطفال والاعتناء بنظافتهم فهي تعرضهم لمرض خصوصاً مرض العيون ولكنها تجتهد في عمل ما تقدر عليه فلا يضطر الفلاح الى شراء شئ الا ما تدر وهو مع ذلك يبيع القطن والحبوب الزائدة عن حاجته

أما فقراؤهم فلا يعرفون من العمر الا اسمه لانهم يشغلون أيام الزرع والحصاد عند أصحاب الأراضي ويأخذون أجوراً كافية لسد عوزهم طول السنة زيادة عن أكلامهم وأخذ ما أرادوا من الخضر وغيرها من الاشياء التي لا قيمة لها عند الفلاح لكثرتها وعند القراع من الاعمال لا يجرمهم الاغنياء من أخذ ما تيسر من الخضر والقول للطبخ

ولا يتمتعهم أحد من تسريح ماشيتهم التي يعيشون منها على الجسور  
ورعيها الكلاب

وبالجسلة فإن فلاحي المصريين في رفد عيش وظل ظليل ما أحسنوا  
التصرف واجتنبوا تقليد المدينين التقليد الأعمى . وهم مع ذلك في منح  
مطلق ليس لأحد عليهم سيطرة في جميع أحوالهم المباحة . وفيهم من  
مكارم الأخلاق حب المساواة بين الناس غيبيهم وقيدهم وترك الخلق  
حتى أن الفقير يدعو النبي باسمه لا يزيد عليه كما يدعو النبي ولا يهتمون  
بجس الزبي وزيحرفة الملابس وبمقتوت المسرف ولا يتظاهرون الا  
بالتفضائل محترمين التجور وأهله كيف كانت حالهم . ولم حرص شديد  
على انعاد كلمة الأسرة وعدم تشتت شملها وربما ساعدتهم ذلك على  
تحسين حالهم والاقتصاد في نفقاتهم . ولتأتهم من الاستقامة والتصبر  
على مكابدة المشاق والقدرة على مساعدة الرجال والقناعة بما لديهم  
ما هو جدير بحسن الثناء

هذه حالهم على العموم ولا شك أن بعضهم قد تبع خطوات الاشرار  
فأنتق ماله سدى وسامت حاله

أما المدينون فتحختلف أحوال معيشتهم باختلاف منابع رزقهم فتم  
التجار والموظفون والصناع والعملة وأغلب أسيانهم تأتي من الخارج  
حتى أن الفقراء منهم يستبدلون المشراء الدقيق الآتي من البلاد الأجنبية  
بمشراء القمح لقلة ثمنه

(١) أي يأخذون الدقيق الآتي من البلاد الأجنبية بدل القمح المصري . وهذا هو  
الاستعمال الصحيح لاستبدال الكلمات . فلهذا هو الذي دخلت عليه الماء . قال تعالى  
استبدلون الذي هو أشرف بالذي هو خير . وقال ومن يتبدل الكفر بالإيمان . وقال عن  
ابن ابيس . وبدل سوما بالذي كنت أعمل . والشواهد على ذلك كثيرة . أحمد ابراهيم

أما أفتياتهم فأغلبهم يفضل شراء الأشياء المصنوعة كالملابس  
ولحبرها على صنعها في المنزل حتى أنهم فضلوا شراء الخبز من الخباز على  
تجهيزه في المنزل . وهذا لكسل النساء وتركهن أعمال المنازل في أيدي  
الخدمات يتصرفن فيها ماشئن ولذلك كان شراء الخبز على علامته أقل  
نقطة من التسع لعدم تمكني الخدمات من سرقة الخبز كما يسرقن التسع  
والدقيق لأن الخبز يأتي كل يوم على قدر الحاجة

وقد اعتادت نسائهم الكسل ونحن على فواش الراحة فلم يهمنن الا  
تحسين زينتهن والتخالي في الثوب حتى فضلن زيبتهن على جميع ماعداها  
فأيسى الرجل في جمعه تجتهد المرأة في تستهته وانفاقه على مطالبها  
العافية فيضطر الرجل اذ ذاك الى كثرة الكد والصب وتزداد هي من  
التبرج والزينة غير مبالية بما يقاسيه الرجل من المشاق فتترك منزلها  
في أيدي الخدمات يبدن الأشياء وتفنن أخلاق الأبناء لكثرة الخالطة  
وتخرج في زيارتها من منزل الى آخر

هذا ولا أنكر أن بعضهن يعتنين ببناتهن والقيام بنظافة الاطفال  
وحسن تربيتهم وهن مع ذلك يساعدن الرجال في التدبير ويدعون بعض  
المال لتعليم أبنائهن ويستبقين بعضه أمانا من الفقر حتى اذا مات الرجل  
أو أصابه أمر وجد الاطفال من المال مايسد عوزهم ويقوم بتربيتهم  
ولولا سوء التصرف لكان المصريون من أسعد سكان المعمورة  
حالا لثور أسباب المعيشة واعتدال الجو الذي يساعد الانسان على  
قضاء حاجاته فيمكن الفقير أن يعيش في مصر سعيدا لا يعرف الجوع  
الماء ورتق شر البرد بقليل من الملابس كما تنيه الاشجار حر الشمس فلا

يحتاج الى كثرة الثلجة كغيره من سكان البلاد الباردة كالروسيا وغيرها  
الذين ربما ماتوا من البرد والجوع وهو مع ذلك مستريح من شدة حر  
الشمس الذي يمنع الانسان من العمل ويضطره الى الراحة والكل  
كما يقاسي تلك سكان المنطقة الحارة فهو في هناه ويرغد عيش

### القروية وجرتها

أرادت فتاة مدنية من أهل القروية أن تستريض فتعدت بأفسس حللها  
وترفت بحلها ونجحت فخطر في جماعة من خدمها وقصدوا قرية قريبة  
منهم حتى اذا وصلوها وقمت الفتاة على شاطئ نهر تم النظر في جمال  
ماصنعه القدرة الالهية وقد أعجبها الحدار سيالك الماء المنضية بين تلك  
المروج الزرجدية وراقها اهتزاز الفصون ونمايل الاشجار التي كانت  
كانها تشرب بكف أوراقها الخضراء قائلة لمن أضر بهم الاعياء

الى ان تستريحوا من العنا « فظلي من حرالسياءظليل

وتحت غصوني يكسني الجسم صحة « لأن نيسي رق فهو عليل

وبينا هي تسرح الطرف بين تلك الطقول والقنودان اذ بصرت بفناء  
قروية تملأ جرتها من النهر وقد زان جمالها الطبيعي بشاتة وجهها  
واعتدال صحتها فأخذت الفتاة ترقد الطرف في عحاسنها ونود لو تكلمها  
لتعرف بعض عاداتها وما زالت كذلك الى أن ملأت القروية جرتها  
والضمت يمينا وشمالا لترى أحدا تسعين به على حمل البكرة فلم تجد  
بفتت على ركبتها ورفعت البكرة على رأسها وقامت بها تحشى معدلة  
القائمة مسرعة الخطوات

فدنت منها المدنية وحيثما كانت كيف استطاعت أن تحمل تلك الحجرة مع ثقلها ولم تستعن على ذلك بأحد قالت القروية قد اعتدت ذلك فسهل على عمه فلبدت المدنية أسفها على حالة النساء وقالت أظن أن أبك فقير يضطرك إلى هذا قالت القروية كلا ياسيدتي فإن أبي متوسط الثروة وعتدنا خير كثير قالت المدنية هذا واقع هو الظلم كيف يكون والدك غنيا وأنت تقومين بمثل هذا العمل الشاق

فابتسمت القروية وقالت لا ظلم في ذلك يا صاحبتى فإن لكل أعماله عملا في هذه الحياة الدنيا وإن لأبي نفسه أعمالا كثيرة فكيف يتركني بلا عمل أوليس لك عمل تقومين به قالت حاشا لله فإني عندما من الخدم ما يكفيني شر هذا قالت القروية أوليس لأبيك عمل أو صناعة قالت بل إنه رئيس قلم في بعض الدوائر قالت وهل يتحمل في ذلك مشقة قالت نعم فقد يسهر أحيانا إلى جزء من الليل في تجميع عمله

فصاحت القروية هذا واقع هو الظلم لا ذاك أي قوم والدك بمثل ذلك العمل الشاق وتركيه بلا عمل ولو زهدا تظهرين به مقدار شكرك له وعنايته بك وقيامه بشؤونك قالت المدنية تلك سنتنا ولا بأس بها وإنني أسف على سوء حالكن أيها القرويات قالت القروية لو تعلمين الحقيقة لا سفت على حالكن أكثر مما تأسفين علينا لأننا عندما أنفستنا من جلس الإنسان فشاركنا الرجال في العمل ولم تكن عالة على غيرنا فضعفنا مرهناح لعلمنا أننا نقوم بأعمال نسحق عليها ما ينالنا من مال أهلنا وقد اعتدنا لعمل المشاق والصبر عليها والرضا بما لدينا ومساعدة الرجال في الاقتصاد في المعيشة

أما أنت فقد تركت العمل فكنتن عالمة على الرجال يتومون بشؤونكن بلا مقابل منكن على ذلكن وبهذا وضعن أنفسكن موضع الحيوانات التي تفضي للزينة وقد تعالين في زينة أجسامكن الى حد صرتم معه تماثيل تصحين في سبيل ذلكن الكمال والصحة حتى أصبح الانسان ينظر اليكن فيعجب ويسمع عنكن فيأسف ففقدوا مائة وأفكار باهية أجسام حالية وعقول عاطلة فأنتن أصل الفساد تبدين الاموال وتهلكن الرجال قد جبلت فتوسكن على الطمع وحب الاستئثار بالمناجع دون غيركن ممن تخالطن فليستن تباينن بما يبالغن بسبب تفاليكن في الترف وبئست الخصال واني على ما أقاسيه من هذا العمل لأسعدك حالا وأهم بالا وقد كلفتن هذه الملابس البسيطة شر ما تجدينه من ملائسك المزخرفة من الضيق فليست أجده منها ما تجدين من هذا الدرع (الكوسه) الذي ضغط على أضلاعك فألك ويحولون وجهك وهذه الأحذية الضيقة التي فضلا عن ضغطها على الاقدام قد ارتفعت من الخلف فدفعتك الى الامام حتى تكادى تسقطين في مشيتك وناهيك بتأثير ذلك في صحتك وامانتك في هذه الملابس الطويلة التي تحز ورايك فتلقط من الاقدار ما شامت مع فراقك من العمل الاكثل طأووس يريه الانسان ليسر بمنظره فان بئى كان نسبية وان فقد فلا حاجة اليه

فجملت المدنية وانصرفت عنها وقد خفف ذلك من كبريائها

### اللغة العربية

اللغة العربية أفقر اللغات مادة وأجودها معنى وأحسنها أسلوبا وأرقها عبارة وأشدها تأميرا في النفوس وأكثرها فائدة وأقلها لغوا قد



اعتنى أهلها بتزيينها وتفتيحها فكانوا يقدون لذلك الأسواق فيها يقول كل خطيب أو شاعر ما خطر بباله وينشد كلامه الحاضرون من أهل الخبرة والدراية حتى إذا استحسنوا قوله أشوا عليه وحفظوا شيئاً مما قال فسير ذكره بين قبائل العرب ويفتخرون به ويقوله

لذلك اجتهدوا في لغتهم وأودعوا فيها من الحكم والتشبيهات ما شهدت لهم به كتب التاريخ حتى قال بعض نباء الغربيين إن جز بلاد العرب الرائق واتساع سهولهم ساعدتهم على تصور ما لا يتصوره غيرهم من الناس وقد تقدمت العرب في الصدر الأول من الإسلام في كثير من العلوم ودفنوها بلغتهم وانتشروا في البلاد الأخرى حتى دخلوا اسبانيا فأسسوا بها دور العلم وعلمهم أخذ الغربيون كثيراً من العلوم الحديثة مثل علم الكيمياء والطبعة والجبر والارقام الحسابية وغيرها

### بعض الشاعرات - الخفاء

قد اشتهر كثير من نساء العرب بالشعر وحدة الخاطر ومهين الخفاء وقد كانت من أعظم شعراء الجاهلية وكانت تحضر أسواق العرب وتشد شعرها كثيراً من الرجال فاشتهرت بين العرب واستحسن الناس شعرها وفضلوها على كثير من شعراء عصرها ومن ذلك قولها

كل ابن أختي بريب الدهر مرجوم • وكل بيت طويل العمد مهذوم  
لا سوقة منهم يسقى ولا ملك • ممن تحلكه الأعراب والزوم

وقد حضرت الإسلام وحنن إسلامها ويحكى أنها عرضت شيئاً من شعرها على الباغية الديباني رئيس الموسم فقال لها لولا سبقك هذا

الاصمى (يعنى الاعشى) لتضطك على شعراء هذا الموسم وكان الى جانبه  
 حسان بن ثابت الانصارى رضى الله تعالى عنه فغضب لذلك وقال  
 انا أشعر منك ومنها فالتفت اليها النابغة وقال أجيبه ياخذاء  
 فأجابته فأسكتته

### ليلي الاخيلية

اشتهرت ليلي الاخيلية بالشعر وحنانة انطاط في عهد بني أمية فكان  
 يعظمها الملوك والحكام اذا دخلت عليهم ومن شعرها قولها  
 لعمر كعاقب الموت فار على الفنى • اذ لم تصبه في الحياة المعابر  
 وكل شباب أو جديد الى ليل • وكل امرئ يوما الى الله صائر  
 ودخلت يوما على الحجاج أمير الكوفة فأكثفته قوطها  
 اذا نزل الحجاج أرضا مريضة • تتبع أقصى دائها فشقها  
 شفاها من الداء العضال الذي بها • غلام اذا هز القناء سقاها  
 سقاها دماء المسرفين وعلها • اذا سمحت يوما وخيف أذها  
 فقال الحجاج والله ما وصفتني شاعر بأحسن من هذا ثم قال يا غلام  
 خذها فاقطع لسانها واكفنا شرها نخرج بها الغلام وأراد قطع لسانها  
 قالت ويحك إنما أريد أن تقطع لسان بالصلة فردن اليه فأغداها اليه  
 فضحك الحجاج وأعجبه ذكائها وأمر لها بصلة جريئة

### عائشة تيمور

اعتنت عائشة هاتم التيمورية باللغة العربية حتى نبخت فيها ولم  
 يبقدها غناها عن الكد في جمع دررها فاشتهرت بين المصريين بالشعر  
 والأدب ومن ذلك قولها

بيد العفاف أصون عن هجاي ٥ وبصحتي أحمو على أترابي  
 وبفكرة تقانة وقريحة ٥ وقادة قد حكمت أنابي  
 ولقد نظمت الشعر شيمة معشر ٥ قبلي فولات الخلد والأحاب  
 وجعلت مرآتي جبين دفاتري ٥ وجعلت من نقش المداد خضاي  
 ماخرني أدبي وحسن تعلني ٥ إلا يكون زهرة الألباب  
 ما عاقني هجلى عن العليا ولا ٥ سدل الحمار بلدى ونقاي

### بعض عادات المصريين

ان لكل أمة عرافات وعادات مذمومة نشأت فيها زمن جهالتها  
 ثم بقيت لاصفة بها بعد ذلك وتكون غالباً في جهالاتها فمن عادات  
 المصريين المذمومة النواح والصباح في المآثم فيلطمن وجوههم ويولون  
 ويلبسن الحداد مع أن هذا مخالف للأدب وكل دين سماوى وهن مع  
 ذلك يتغالين فيه حتى يكاد الانسان يظن أنهم قد أصيب في عقولهم  
 ولا أدري ما قائله هذا الشعب والجزع وهو لا يبعث ميتهم بل يزيدهم  
 هما وألثا ويشغلون عن اصلاح حالهم فربما يشغل احدهم البكاء  
 وشدة الجزع عن النظر في شؤون أطفالها أو من يجب عليها ملاحظتهم  
 فتتلف صحتهم وأخلاقهم وهي لاهية عنهم بما تجديه من الحزن والجزع  
 وهذا دليل على عدم نظرها في العواقب وجهلها بالامور لانها يبكتها  
 على من مضى تهلك من بقى معها ولو علمت الحقيقة لتسكت عن الحزن  
 بالحد والعمل والسعى وراء ما يصلح أحوالها

ومن العجيب أن المصريين يعمن صاحبة المصاب على كثرة الحزن  
 والجزع ويهولن لها ان يطلب حتى ان احدهم ربحادخلت من باب المنزل

صارخة مولولة كأنها هي المصابة فتشير أحزان أقارب الميت وتريدهن  
جزنا وهما وكان الأولى بها أن تحضف مصابيح وقد كرهن بمن معنى  
من البشر ومن أصعب من الناس ليسهل عليهن الأمر ويتمكن الحزن  
واننا نأمل أن يضع التعليم بالفتيات فيقتدين بالرجال في الصبر ومصادمة  
التوايب بقلب ساكن وجمان ثابت وهن ينظرون أن كثيرا من الرجال  
قد يفقدون أعز الناس عليهم فلا يسدون جزنا ولا تملأوا بل لا يزالون  
ساكني الجفاس صابرين في السراء والضراء

ومن عادات المصريات التغالى في زخرفة الملابس وتطريزها واتقاب  
الالوان الزاهية التي تتحول بمجرد ملامستها للبدن أو تعرضها للهواء حتى  
إذا زالت هذه الالوان اضطربون الى ترك الملابس وصنع غيرها مع كثرة  
ثمنها وقصر أجلها فهن يصرفن في ذلك مالا طائلا كان الأولى صرفه  
فيما يضع كتعليم أبنائهن أو اصلاح مستقبليهن

ولا يؤخذ من ذلك أن تهمل الفتاة في نظام ملابسها أو تلبس من  
التياب مالا يليق بقامها ويحفظ احترامها بل يراد به أن تتحجب  
المسوجات المثينة والالوان الثابتة مع بساطتها وحسن شكلها فتظهر  
للناس حسن اتقائها وسداد رأيها

ومن عادات بعضهن كثرة الخروج والتبرج وترك المنزل في أيدي  
الخادومات يبعثن ماشين يبدن الاشياء ويتلفن أخلاق الابناء لكثرة  
المخالطة وروبة المنزل لاهية في زيارتها من بيت الى آخر وهذا يعد خيانة  
وعدم وفاء لان الفتاة التي ترى أن الرجل يصرف نفوس أوقاته في جمع

السأل لراحتها كيف لا تبذل هي الجهد في حفظه وصرقه فيما يقبده  
الأسرة وهو لا يكتفها كبير تعب ولا مشقة

ومن أفتح عادات المصريات غير المتعلمات الزار وهو دليل على  
جهل من تعتقده وميلها للاوهام والخرافات لأنها تعتقد دائما  
أن فتاة تدخل في جسمها العفاريات فتتحرك بحركات لا تقصدها وتتكلم  
باصوات شتى زاعمة أن لكل صوت منها عفرتها مخصوصا وكيف  
يحترم الانسان فتاة قد استهوتها الشياطين وهن مع ذلك يتحرن به  
ويصرفن فيه أموالهن وكل عاقل يعلم أن من ادعته كاذبة في دعواها  
ناقصة الادراك

وقديكون الزار حجر عثرة في شفاء كثير من هؤلاء المدعيات لابتعادهن  
عن طلب الطبيب زعما أن صاحبهن الجنى ينضبه شرب الادوية  
أو التكال على أنه ينظهن بلا دواء فيشدهن مرضهن ويتعذر شفاؤهن  
ويجتن قبيلات جهلن وسوء تصرفهن

### الصدقة

أرادت احدي المصريات أن تذهب الى ولاية الزار فقابلت في طريقها  
صديقة لها من الغربيات كانت تلميذة معها في المدرسة فترحت الغربية  
بمقابلتها ومالت اليها وكانت ممن تزين في مصر وتتكل من اللغة العربية  
وعرفن عادات المصريات فتذكرت الفتاتان أيام الطفولية وما صرفتا  
معا من لذيذ الاوقات وأخذتا يتحدثان وكانت المصرية لابسبة ثيابا  
رفيعة لاأستر من جسمها الا القليل وقد تردت فوقها بلامرجميلة تشف

عما تحتها حتى لم تستر منه شيئا وعلى وجهها نقاب رفى حتى كاد يخفى  
 فقالت الغربية ميتسمة وددت يا صديقتي أن أعرف ما فائدة هذه الملائة  
 وهذا النقاب قالت بذلك أميرة المين قالت الغربية في أي آية أمرك  
 الله بلبس هذه الملائة وقد جاء في القرآن الكريم في حق المؤمنات  
 ( ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها ) أما أنت فقد أبديت كل زينتك  
 وأنت على ملائكتك هذه من الزينة ما هو جدير بيجذب الاظار اليك  
 فإني ككاتب اتبعت قالت المصرية وقد أتجملها ذلك دعينا من هذا فلك  
 عادة قد نشأنا عليها ولتدخل في حديث غيره قالت الغربية فأين تعجبين  
 قالت أذهب الى ولية ازار قالت الغربية أو تعتقدين ذلك قالت نعم  
 ولقد صرت من أهله قالت الغربية أمك صاحب من ابلن قالت نعم  
 فصاحت الغربية بلس الغربية لقد ذهبت تريحك المدرسية أدراج  
 الرياح وركت الى أوهام والذئب فبئس ما علمتك أمك قالت المصرية  
 أو عندك ريب في ذلك قالت كيف لا وهو لا يطابق العقل السليم لقمن  
 أي باب تدخل ابلن أجسامك فتتحركك بتلك الحركات المضحكة  
 وكيف تستولى على السلك فتسكلن بما لم ترين ولم لاستولى الشياطين  
 علينا معانير الغريبات ألسنا نساء مثلكن أم هل تخشأ ابلن قالت  
 المصرية ان ابلن لا تخشأ كن ولكنها لا تصحب الا الاجسام الطاهرة  
 أما أنت فلا طهارة لكن فضحكت الغربية وقالت لا خير في طهارة  
 يتبعها جنون وهل تظنين أن كل ابلن طاهرون يميون الطاهر اليس  
 فيهم خبيث بحسب التجسس ويستوى عقولنا كما استهوى طاهرهم عقولكن  
 وانى لا تف أن أكون صديقة لمتك مطلقا قد استهوتها الشياطين فصارت  
 اضمحكة بين الناس

ولقد سمعت آدابك فاخترعتن الطرق في صرف الاموال واعتدنت  
الكذب وهو اقبح الخصال ولولاه لما زعمت هذا الزم الباطل وقد  
استولت على عقولكن زعيمة الازار جعلت محسن لكن القبيح وثرىكن  
ان الين قد اعجبها جمالكن وظالمكن فسالت اليكن وهذا مما يترك  
عقولكن الصغيرة فتستسلمن لها وتبدلن المال في مرضاتها فهي تأخذه  
مسرورة متهاكة بضعف عقولكن الصغيرة فيألفها من خيبة عظيمة  
وضياع مال في اكساب عار

ولقد نرجعت عن حدود دينكن في تلك الولايم فقد جاء في قرآنكن  
الكريم ( حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ) وأتيت مع ذلك تفسرين  
الدماء زعما أن صاحبكن الينى بفعله فكيف تهملن حتى في أمر الدين  
ومن لادين لها فلا صوت لها ولا عناق

فاطرقت المصرية الى الارض لحظة لم قالت لقد صدقت وقد فاني  
هذا كله مع تمسكي بأمر الدين ولكن الجهل أهم بصيرى وساطع عن  
خطئى هذه وأصلع من شأنى ان شاء الله تعالى ليكون للعلم شع في النفوس

### الصبر يخفف المصائب ويدنى الآمال

الصبر كف النفس عن التعلق والشكوى عند حلول مكروه وهو من  
أهم الفضائل اذ يجعل الانسان ثابتا لا يتامل فوسليه عن المم ويخفف ألم  
مصيبته ويدنى منه بعيد الأمل كما قيل

لاتيأسن وان طالت مطالبة • اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا  
أخلق بنى الصبر أن يحظى بحاجته • ومدن القرع للابواب أن يلجا

والصبر من أحسن صفات النساء لان الفناء اذا كانت صابرة لا يجزع  
خفت مصاب من معها وشجعتهم على العمل وترك الحزن  
أما اذا انفصلت بالجزع كما هي عادة غير المتربات فانها تضاعف هم  
من معها وتذكرهم بالحزن كلما تسلوا عنه فتكون منبع الحزن والكدر  
اذا عزت أنسا زادته حسرة بيكاتها وتبولها المصائب وان أصيبت  
أقلقت راحة معاشريها يجزعها وكثرة شكواها فيسأم الانسان مجالستها  
ويؤد بعدها وهي مع ذلك تعلم بنيا الخوف واليأس وتضعب عليهم  
الامر السهل فان حاولوا فرأوها طلبا للقائلة وسعياء وراء الطير قامت لحول  
بينهم وبين ما أرادوا باكية شاكية تمتد لهم المصائب والأهوال الوهمية  
مما لا يجزم المرء بوقوعه فتخط من همهم وتحبب آلامهم غير عالة أنه  
لا يبلغ العدم من لم يركب الخطرا = ولا ينال العلا من قدم الحذرا  
ومن أراد العلا غصوا بلا تعب = قضى ولم يقض من أيامه الوطرا  
وكانت نساء اليونان أيام سطوتهم من أحسن النساء صبورا وجدا فكن  
يشجعن الرجال اذا خرجوا للهرب حتى كانت الأم تقول لولدها اخرج  
ولا ترجع الا حاملا بجنبك هذا أو محمولا عليه أى لا ترجع الا ظافرا حاملا  
سلاحك أو قتيلا محمولا فكان رجالهم شجعانا لا تهولم المصائب ولذلك  
سادت الأمة اليونانية في عصرهم

### صبر الخنساء

يحكى أن الخنساء الشاعرة المشهورة والصحابية الجليلة حضرت الحرب  
ومعها أولادها الأربعة فبانت تسجهم وتحضهم على الأقدام في ساحة  
القتال والخوض وسط المعركة ابتغاء وجه الله في جهاد العدو حتى اذا



بدا الصباح شيعتهم بصبر وثبات وقدامتلوا أمرها فقاتلوا قتال الأبطال  
والموا بلاء حسنا حتى قتلوا جميعا وجامعا الخبر حمدت الله سبحانه  
وتعالى وسأله أن يهزم خيرا في الآخرة ولم تجزع مع عظم المصاب  
وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بذلك وكان الخليفة وقتئذ  
فأجرى عليها أرزاق أولادها الأربعة إلى أن ماتت رحمة الله ورضي عنها  
والخلفاء هذه اشتهرت أيام الجاهلية بشدة الجزع على أخويها صفير  
ومعاوية وكثرة بكائها عليهما ورثاتها لها ومن ذلك قولها

ألا يا صفير أبكيت عيني ٥ فقد أضحكني زما طويلا  
بكيتك في نساء معولات ٥ وكنت أحق من أبدى العويلا  
دفعت بك الخطوب وأنت حتى ٥ فن فادفع الخطب الجليلا  
إذا قبح اليكاه على قبيل ٥ رأيت بكائك الحسن الجميلا  
فلما جاء الإسلام وتكاثرت بآدابه عزوت نفسها الصبر والثبات  
وما النفس الا حيث يجعلها التقى ٥ فان أطعت نأقت والا نسلت

### عدل على بن أبي طالب كرم الله وجهه

كان في بيت مال على بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين رضوان  
الله عليهم أجمعين عقد لؤلؤ قد أصابه يوم البصرة فسمعت به ابنته  
فكرست إلى خازن أبيها وكتابه على بن أبي رافع وسأله أن يعيرها هذا  
العقد لتجمل به يوم الاضحى فاشترط عليها أن تأخذه على أنه عارية  
مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام قبلت منه ذلك وأخذت العقد  
فقرضت به وراها ابوها فصرف العقد وقال لها من أين لك هذا قالت

استعمرته من ابن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين لآخرين به في العيد ثم أردّه فبعث الى ابن أبي رافع من وقته فلما مثل بين يديه قال له أنخون المسلمين يا ابن أبي رافع قال معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أخون المسلمين قل كيف أعرت ابنتي العقد الذي في بيت مال المسلمين بغير اذنك ورضاهم قل انطازن يا أمير المؤمنين انها ابنتك وسكنتي أن أعيرها العقد تعزير به فأعمرتها إياه عارية مضمونة مردودة قال رده من يومك وإياك أن تعود لمثل هذا العمل فتناك عقوبتي ثم قال ويل لايتي لو كانت أخذت العقد على أنه ليس عارية مردودة لكنت أول هاشمية قطعت يدها في سرقة فأخذ انطازن العقد وبلغت مقابلة على أبيه فقالت له يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وقلدة كبدك فمن أحق بليس هذا العقد مني فقال لها يا ابنة ابن أبي طالب لا تخفي بفسك عن الحق أكل نساء المهاجرين والانصار يقرين في مثل هذا العيد بمثل هذا العقد

### لا اصلاح بغير علم

دخلت أختان في إحدى المدارس وما زالتا بها الى أن نقلتا الى السنة الرابعة وكانت الكبيرة مجتهدة في حفظ دروسها ملتفتة اليها أما الصغيرة فكانت غير مكترمة بالعلوم وما زال كسلها يزداد الى أن تركت حفظ الدروس بالكلية ونبتت العلم ظهريا وصرفت كل ذكائها في اللعب واختراع المضحكات فساء ذلك أختها وأرادت أن تصححها فطلعت ترقب لذلك الفرص

و بينا الفتاة الصغيرة مشغولة باللعب ذات يوم اذ اقتربت منها أختها وقالت لها ان علينا اليوم أن نحفظ أبواب الفعل الثلاث فهل لك أن

تحفظى معى قالت الصغيرة لا تعنى وأبيك أبواب الفعل ولا نوافذ  
فاتركينى ونسى فقلت أهلك من أى باب آتى

وان تكسرى للفعل عيناً فانى . كسرت ذراع الفعل فهرا وأنه  
وان كان معطلا فليست طيبة . دعيه عسى أن يلتقى اليوم حظه

قالت الكبيرة لملك أردت أن تذاكرى الحساب قالت اى أعرف  
أن أحصى ما أنصرفة ولا حاجة لى بغيره ولا يعنى شئ إذا ربح التاجر  
عمسة فى المائة أو خسر عشرة وليست أمل أن أكون تاجرة ما جهت  
فلا حاجة لى بما لا يعنى قالت الكبيرة انا فلنفا كرتقوم البلدان  
فهو علم جميل مثل قالت وهل يعنى ذلك وما ضررى أن صب النيل  
فى البحر الابيض أو الاسود وما يعنى ان رحمت البحر المتوسط  
أو التطرف وليس من عملى التوغل فى البلاد قالت الكبيرة لملك تريدن  
التاريخ فهو علم سهل مثل قالت الصغيرة لقد علمت أنى لأحب سماع  
المدروس فلا تصدعى آذانى بسماع شئ منها قالت فما رأيتك اذا قالت  
انى فضاة لا يطلب منى الا البقاء فى المنزل وتدير شؤونه فقلت أحب  
نفسى فيما لا يتعلق بعملى هذا

قالت الكبيرة عن غيظ وقالت ان من يسمع كلامك هنا لأول  
مرة يظنك محفة فيه حتى اذا ترقى ودقق البحث علم أنك مخطقة فان  
كل علم تدرسه من هذه العلوم يقوى ادراكك ويسد رأيتك فيؤهلك  
لاداء عمالك وان لم يتعلق به مباشرة فانك تصيرين ربة منزل تكبرين  
شؤونه وتتوقف عليك وليرة ثروته وحفظ صحته من به وهو عمل جميل  
يحتاج الى الحكمة والرؤية والمعرفة تحتاجين فيه الى قراءة بعض الكتب

والجملات النافعة التي تساعدك على أداء أعمالك فإن لم تتعلم اللغات وتواعدها وأساليبها فربما فهمت من تلك الكتب غير المقصود فأخطت المرى وأسكت من حيث أردت أن تحسن لاسيما ان درس اللغة العربية والشعر بمرامة أساليبها الرقيقة يقويان ذكائك ويهديان أذاذك فتحسن محاضرتك ويطيب الحديث معك

أما درس الحساب فهو يقوى تصوورك ويساعدك على معرفة الصفات والاقتصاد فيها ان دعت الحاجة الى ذلك ولا يخفى عليك أن الانسان مهما تقدم في هذا العلم فهو عرضة للخطأ فيه فيلزم الانتباه اليه بوجه خاص وهو مع ذلك يعدوك التيقظ والاحتراس في أعمالك لما يقرب على الخفوة الصغيرة فيه من كبير التعب وهو أيضا يقوى تصوورك ويسدد رأيك لما يستلزمه من عمال الفكر

أما تعلم البلدان فهو يعرفك اختلاف الأجواء وتأثيرها في النفوس والاشياء فتستعين بذلك على اصلاح مفلك وكيفية ادخار الاشياء فيه حتى لا تتلف هذا فضلا عن أنه يساعدك على فهم ما تقرينه من الحوادث وتصور حصولها

وتعرفين من التاريخ أخبار الامم السابقة وما تركوه من الآثار وأسباب تخلف بعض الناس والتخاطب الآخرين فتعلمين من ذلك عواقب الامور وتبين ما ينفعك وتجتنب ما يضرك على علم منك بعاقبته ويعلمك الرسم تحسين المنظر وحسن الترتيب وهو أليق بك لما تخومين به من ترتيب أثاث المنزل

هذا فضلا عن أن اشتغالك بهذه العلوم يحو صدأ الجهل عن عقلك  
 فتعرفين النافع من الضار وهو يكفيك شربياح الوقت سدى في اللب  
 أو فيها عساه أن يتلف أخلاقك . ونجاحك في العلم يدل على ذكائك  
 واستحقاقك للقيام بعملك الجليل وهو أمان لك من الفاقة إن احتجت  
 إليه وإن استغنت عنه فهو حلية لك وبهاء به تهنب ألسنتك وتحسن  
 بهجاستك ولو كان كل إنسان إنما يتعلم ما يتعلق بعمله مباشرة لترك التلاميذ  
 كثيرا من دروسهم لعدم تعلقها بعملهم

هؤلاء أطباء أرضنا كانوا تلاميذ يدرسون ما تدرس الآن من علوم  
 اللغات وتقوم البلدان والتاريخ وغير ذلك فهل كان يرجو التلميذ منهم  
 أن يرى مريضاً بما يحفظه من أسماء الجبل والبحار أو يصرف أمانه  
 فعلا فيخف الله أو يكلمه بلغة أجنبية فيثوب إليه رشده كلا إنما يتعلم  
 التلميذ تلك العلوم ليتسع نطاق عقله ويمكثه القيام بعمله حتى إذا نال  
 شهادة الدراسة الابتدائية دخل المدارس الثانوية ليزداد علماً بما يتعلق  
 بعمله وما لا يرتبط به مباشرة من نحو وصرف وانشاء وآداب اللغة العربية  
 وحفظ كلام الشعراء الماضين وسيرهم وغير ذلك مما لا يمكن لنا علاقة  
 تلك بعم الطب وهل كان ذلك إلا لتقوى مدارك الطلبة وتمكنهم فهم  
 دروسهم ثم قيام الطالب بأعماله قيام رجل استدار عقله بالمعارف وعرف  
 في صفه ما لم تعرفه الشيوخ بالتجارب وكذلك الهندى وغيره من مواطنى  
 الحكومات لا يقتصرون على ما يتعلق بأعمالهم

فأتى أن اقتصرنا على ما تعرفين وهي مبادئ أولية لم تكمل تثبت  
 في ذهنك فلا تثبت أن تذهب وتصيرين جاهلة كغيرك ممن لم يدخلن

المعارس ولم تعلمن شيئا فيس المنزل منزل تخوم بشؤونه جعلته مثلك  
فهي تسب نحرابه من حيث لا تشعر قالت الصغيرة لقد علمت من  
كلامك ضدا ما كنت اعتقد وعرفت خطي فيه فهل لك أن تساعدني  
على لئلا أكون لأتلافى ما كاد يفسد الطيش قالت كيف لأبذل في ذلك  
النفس والنفيس وإنما جعل الانسان في هذه الحياة الدنيا ليفيد بني  
جنسه ويستفيد منهم وأنت أقرب الناس الى أولاهم بمساعدتك لك

### حلم معن ابن زائدة

لما تولى معن بن زائدة امانة العراق وكان قد اشتهر بالحلم والكرم  
أتاه اعرابي فحبر حلمه فدخل عليه دون أن يؤذن له فلما مثل بين  
يديه قال له

أذكر اذا لحاك جلد شاة • واذا لعلك من جلد البعير

قال معن نعم أذكر ذلك ولا أنساه قال الاعرابي

فبجان الذي أعطاك ملكا • وعلمك البطوس على السرير

قال معن سبحانه على كل حال قال الاعرابي

قلت مسلما ما عشت دهرا • على معن يتسلم الامير

قال معن ان السلام سنة يا أخا العرب تأتي به كيف شئت قال

الاعرابي

سارحل عن بلاد أنت فيها • ولو جار الزمان على التفسير

قال معن انألمت فينا فرحيا بكوان رحلت عنا فصحبوب بالسلامة

قال الاعرابي

بلدلى يا ابن ناقصة بشئ ، فاني قد عزمت على المسير  
قال من يا غلام أعطه ألف دينار فأخذها الاعرابى وقال  
قليل ما أتيت به واني ، لا طمع منك بالمال الكثير  
قال من يا غلام أعطه ألف دينار أخرى فأخذها الاعرابى وقال  
سألت الله أن يثيبك ذنرا ، فألك في ابرة من نظير  
قال من لعلامه أعطه ألف دينار أخرى فأخذها الاعرابى وقال  
ايا الامير انما جئت مخبرا حالك لما بلغتني عنه فقد جمع الله فيك  
من الحلم ما لو قسم على أهل الارض لكفاهم قال من يا غلام كم  
اعطيته على نظمه قال ثلاثة آلاف دينار قال أعطه على ثمة مثلها  
فأخذها الاعرابى وذهب في طريقه شاكرا

### مراعاة الصحة والنظافة

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان وجعل لكل عضو من أعضائه  
عملا يقوم بآدائه فانما تلف أى عضو منها يجز الانسان عن اتمام عمله  
وأصبح يعطل النفس بالأمل يرقيا بقلب مشغوف بها وابع قصير عن  
ادراكها لا سيما اذا كان العضو المصاب مما له التأثير في غيره كالعدة  
التي اذا اعطت مرض لها الجسم كله وأصبح الانسان منغصا بأنواع  
السمام غارقا في بحار الالوهام وربما حرم بذلك لذة التمتع بالشكر الذي  
شرفه الله به على مسائر المخلوقات لأن الأعصاب كلها مرتبطة بعضها  
ببعض فتنى اعطت القوى الجسمية تبعها بعض الاعتلال في القوى  
العقلية ويظهر ذلك جليا فبعض اشهد مرض أجسامهم فقدتوا عقولهم  
أو كانوا والغالب أن العقل الحكيم في الجسم السليم

لذلك وجب أن يهتم الانسان بصحته التي هي من أهم الاسباب في تحمته بالحياة الدنيا فينظم أوقات عمله ورياضته فلا يترك قواه في العمل بلا رياضة ولا يضيع زمنه كله في اللعب والبطالة بل يتوسط في أمره ويكون كما قال الشاعر

ولهذه أوقات وللهمزل مثلها = ولكن أوقاتى الى الجذ أقرب

ولما كان الغذاء من أهم الانشياء لحياة الانسان وجب أن يهتم الانسان بممر غذائه ويجعله في أوقات معلومة حتى تتعاد المعدة هضم الاغذية في تلك الاوقات فلا يتأخر ميعاد الغذاء فيفقد تشهي الأكل ولا يقرب بين مواعيد الغذاء لئلا تتراكم المواد على المعدة وتعجز عن هضمها

هذا وان أغلب الامراض انما تنشأ عن عدم النظافة ولذلك كان من أهم أسباب الصحة الاعتناء بنظافة المأكل والمشرب والملبس والسكنى

وإذا كان كل انسان يلقى الى مقبله لمستريح من عناء العمل ويخرج النفس من سجن الفكر الى رياض الراحة وجب أن يكون المنزل نظيفاً نقي الهواء مرتب الأثاث حتى يسر المرء بتسريح النظر بين أوجانه ويصح جسده باستنشاق هوائه الطليل فيقوى على العمل فلو بدلت ربة المنزل الجهد في تنظيفه وتنظيمه مراعية صحة من به وراحتهم غير متكللة على أحد في ذلك لوجد رب المنزل لذة في البقاء فيه وشغفه حسه عن الخروج الى الخارج وصرف دراهمه سدى وشبه الاطفال أقوياء على العمل يقومون بواجب دنياهم ودينهم



لذلك كان من الحزم أن يجتهد الفتاة في معرفة ما يساعدها على مراعاة صحة الاطفال وتدير المنزل مثل قراءة المجلات الطبية وبعض الكتب في تدير المنزل تاركة كل ما يشغلها عن اتمام عملها من كثرة الخروج والتفاني في الزينة وتغيير لون وجهها الطبيعي بأشياء تصرف فيها دراهمها وتضيع في صنعها عيس وقتها وهي مع ذلك لا تلبث أن تنذهب وينتشر الناس أمرها وميلها للكذب حتى في تغيير خلقتها الطبيعية

### عذو عاقل خير من صديق جاهل

ان الانسان يصادق الاخوان ليكوثوا ايتاجا عند الفراغ وعضدا في الاعمال وعونا على المصائب فاذا صاحب انسانا عقلاء فقد أصاب حاجته من طيب حديثهم وسداد آرائهم وحسن وفائهم وان أخطأ المرء وملح وقه صديقا جاهلا فقد سرح آماله (بواد غير ذي زرع) ولم يكنسب من صداقته غير الكدر وسوء المعاملة لأن هذا الصديق يضره من حيث أراد أن ينفعه فيمضي العمر بين عتاب ملل وخطأ مستمر و غضب ورضا فتكون العداوة خيرا من هذه الصداقة الناسفة التي أقل ضررها ضياع الوقت سدى في عداوة عز جاهل لا يفقه حديثا ومحاورة غيبي بلبد لا يدري مواقع كلامه من قلوب سامعيه هذا فضلا عن أنه ربما تسرى فيه أخلاق صديقه فيكتسب من صداقته الحق والدناءة وينسب إليه البهبل لمصاحبه ويعزى له سوء فعله وان كان بريئا منه (والمرء مضروب الى القرن)

فصل الانسان أن ينخب أصدقاءه من عقلاء الناس وفضلائهم ليكسوه الفخر ويملوه الفضل والا كالت عدمهم خيرا من وجودهم

وربما أصاب الصديق من شرهم أكثر مما يصيبه من شر أعدائه لأن المرء واتى بأصدقائه لا يداخله ريب منهم ولا يهتد سطوتهم فهو غرض لسهام خطتهم وربما هم عليه صديقه يبالغ جهله فأصاب مفتسه وهو لاء عنه غير مستعد لخربه فيشقى بصحبته أما الأعداء فهو على بظنة من عدوهم فلا يمكنهم اغتياله بضرة وهو مع ذلك يكتسب من عدائهم التيقظ ومعرفة عيوبه فيتحلى عن كثير من الرذائل إذا كان باقلا ويضلل بالفضائل ليسلم من ملامهم فتظهر فضيلته وتسد شوكرته وتحمي حجه كما قال الشاعر

عداى لم فصل على ومنة • فلا أذهب الرحمن عنى الأعدايا  
هم يحشوا عن زائى فأجتنبها • وهم تأسونى فأكتسب المعاليا  
وإذا اختار المرء أصدقاء عقلاء فضلاء دل ذلك على حسن اختياره  
وقضله لأن المرء يميل الى مماثلا (وشبهه الشيء منجذب اليه) ويجب  
عليه إذا أن يحرص على مودتهم ويفض النظر عن هفواتهم  
ومن يتبع جاهلدا كل عقرة • يهدا ولا يسلم له الدهر صاحب

### العقل في الغربه وطن والجهل في الوطن غربه

ان العاقل اذا حل بأرض اخبير أهلها وعرف أهواهم وأخلاقهم  
وبجاري رزقهم فيعرف خرائن خبيرا ويطلبها من وجوهها ويجارى القوم  
في أعمالهم ويتعلق ببعض أخلاقهم فيميل الى ما يميل اليه يحوسم ويتعد  
عما يتفرون منه فيقبلون عليه ويرطبون في معاملته وبذلك يمكنه التمتع  
بجيرات بلادهم ومزاحمتهم عليها بحسن تعلقه ودعائه فهو اذا ذاك كأنه

في بلاده لقربه من نفوس القوم وتتمتع بجيرات البلاد التي وبها حرم  
منها بعض أهلها بلهتهم وسوء تصرفهم

هؤلاء العرب في الصدر الاوّل من الاسلام دخلوا بلاد الاندلس  
وهي قاحلة بطولها جنة بحسبهم وسددها وأبهم فانتفعوا من خيراتها  
بما عجز عن استخراجها أهلها وأسسوا دعائم الملك وأقاموا معالم العلم  
في جميع أنحائها فقامت غامرة بحكمة ملوكها وهزمهم حتى اذا استولى  
عليهم التروير وحب الترف وتركوا الأخذ بالحزم وغلب عليهم الجهل  
اضحكت قوتهم ونهب ملكهم كأن لم يكن فهذه مملكة أسسها العقل  
والحزم وهدمها الجهل والعجز

أما الجاهل فهو في وطنه بعيد عن آراء أهله وأخلاقهم وأهوائهم  
جاهل بمناج رزقهم مهروم من خيرات بلاده ذليل بين قومه خامل  
لا يعرفه الا التليل فهو كالفرب لمدام انتفاعه بجيرات البلاد وبعده  
عن أحوال أهلها ولو كان عاقلا لوجد في الغربة عزا وغنى بأعمال المكره فيما  
يقبده وبلغ آماله فيس النداء الجهل وتم الدواء العقل

### وصف نزول المطر في قرى مصر

ان نزول المطر في القاهرة مما يشوه جمال منظرها ويجعل الانسان  
يكره الخروج من بيته ولذلك كنت أحسب المطر من الاشياء المحقونة  
وأعجب من اهتمام العرب به وتغاليهم في مدحه حتى تسبها به النوال  
ولم أقدر هذه النعمة حتى قدرها حتى نظرت نزول المطر في القرى فإذا  
هو من أجمل المناظر وأحسنها فأخذ منظره ليجمع قلبي ورائحتي نضرت

ومالت إليه نفسى التي لم يكن يحبها شيء من زخارف هذه الحياة فكان  
هذا اليوم عندي من أفضل الأيام

زلنا من القطار وقد تمدت يدر السماء من دراهم السماء فاقطع نزول  
المطر بعد أن كما الأرض وناه كالغوريا وفضل الأشجار من القرب  
فظهرت حلتها الزرجدية في أبهى مناظرها فأخذت الفصون تميل طربا  
بمسنها وكانها تشير إلى السماء شكرا لها على ما أعدته لها من كتوزها  
الفهيسة وعمت السكينة جميع الأضواء وسكن التيار واخضت الطيور  
في أوكارها فصرتنا لانسع الانحرار الميساء واهتزاز الفصون ووقع حوافر  
مطايانا التي كانت تدير من عبر تلك الأرض ماقد تعطر بماء السماء فما  
أبهى تقابل النبات على هذا الثرى الذي ابتل بالمطر فصار كالغوريا أصفر  
وتجمعت عليه الأزهار من شذاها فحاق المسك وبها فكان الأرض  
بساط سجاجيد مزركشة بأنواع الجواهر من زبرجد الفصون وياقوت  
الأزهار ودرها وقد خيم الضباب واخذني كوكب السماء فرفعت نجوم  
الأرض رهوبها لآراء من تحت السحاب

وما زالت تسير بنا الركاب بين رياض وغدران كأن مامعا سياتك  
الفضة حتى انتهت إلى حيث قصدنا وبوقدى لو زاد طول الطريق  
أضاعف ما كان عليه حتى أمتنع برأى تلك المناظر الطبيعية التي تعجز  
عنها يدالصناعة وتشهد خلقتها بالثفرد والقدرة على جميع ما أراد وقد كرت  
إذ ذلك حال العرب وفرط ولوعهم بهذا المطر بل الرحمة التي أنزلها الله  
سبحانه وتعالى على خلقه فعلمت أنهم لم يفوا بحق مدحها مع بلاغتهم  
وحسن بيانهم

### من سره زمن ساعته أزمان

كان لاحد الانغيا ابنة واحدة قد ربها على الترف واللذال فكانت مخيرة في جميع اعمالها ليس لاحد عليها سيطرة لذلك شبت لا تعرف شيئا الا الانفاس في الملاهي حتى اذا بلغت الثامنة عشرة من العمر حلت بابها بعض مصائب ذهبت باكثر ماله فلبت حزنا وأسفا على اثر ذلك ولم تلبث والمنتها ان تبعته وتركت الفتاة فرودة في الدنيا ليس لها من يرشدها سواء السبيل

فما زالت لاهية عن الزمان مشغولة بالنهر واللعب غير شاعرة بعاقبة اسرافها وتغافيا في الغرور تلبس من الملابس اغلاها وتاكل من الماكل اشهاها حتى نفذ مايق معها من مال أبيها واحتاجت الى اكتساب ماينقصها به ولما كانت لا تعرف حرفة تعيش بها اضطرت الى خدمة الناس

واضح أن احدي جارئات القرية عملت وظيفة عظيمة حضر اليها كثير من الفتيات وحضرت هذه الفتاة الوجيهة لمساعدة انقدم حتى اذا انتهى عملها جلست ناحية تنظر الى من حضر من القرية ويزخرقة ملابسهن المختلفة فتذكرت اذ ذاك حالتها القديمة وأطرفت الى الارض برهة تفكر فيها آل اليه أمرها فالتحدت الدموع من آفاقها وجعلت تلوم نفسها على ماضيته من نفوس وقتها فيما لايفيد وبينما هي كذلك اذ دخلت سيده يحيط بها كثير من الخدم وعليها من الحلل والحلل مايلل على الساع ثروتها وعظيم شأنها فقامت لاستقبالها الحاضرات

وأجلسنا في محل يليق بنقامها الزرع ونظرت الفتاة الى القادمة واذا هي فتاة كانت تلميذة معها في المدرسة وكان أبوها من قراء البيعة لا يمتلك شيئا الا رداءه وصندوق بضاعته الحقيرة فعجبت من ذلك وأخذت تردّد طرفها فيها للتحقّق من معرفتها ولاحت من السيدة الفتاة فرأت الفتاة وعرفتّها ولكنها تجاهلت حتى استغلت عنها الحاضرات بشيء آخر

ثم قامت مظهرية أنها قد سمّت البلّوس وتودّ أن تخشى قليلا ومنت من الفتاة وقالت لها أنت فتاة ابنة ذلك الرجل الغني قالت لي أنا هي قالت ما فعل بك الدهر قالت فعل ما تزين فقد غدري فلم يترك لي أعلا ولا مالا قالت هكذا الدهر يخلص ويرفع وطلما نصحتك فلم تسمعي تصبّحنى وكنت تسخرين منى ومن اجتهادى في العلوم وطلما أكرهت النفس على ما لا تحب حتى بلغت الآن ما أهوى أما أنت فقد تبعمت هرى النفس حتى وقعت فيا تكريهين قالت الفقيرة انك تسعين بي على أنى وإن كنت في تلك الحال فقد علم الناس أنى أرفع منك بيتا ولى من الصخر بأجدادى ما توس لك

قالت الغنية وقد انصحت عليها ورفت لها لم أقصد بك شمانة أيتها الصديقة ولكنى أردت أن أنصحك أما قواك انك أفضل منى عنصرا فلا ظرك في ذلك لان المرء أقرب الى نفسه منه الى أجداده فان ظفرت على بما أسسه أجدادك من التجد فيلى أن أنظر بما أسسه أنا ولتعلمى أنك هدمت ملبناه جنودك أما أنا فقد بنيت لى من العبد

والشرف ما عجز أبى عن الوصول إليه وهناك بون بعيد بين الخادم والياني  
فن أحق منا بالمعشر

فأطرقت الفتاة الى الارض ساعة ثم قالت نعم قد هدمت بجمل  
مباها أبى وجدى فيس انطلق أنا وقد جازانى المهر على سوء فعلى  
وكفى بفعله تأديبا فأزكى ونفى يارك الله وانصرفت عنها وقد  
انفروقت عيناها بالدموع فاستوقفتها الفتية قائلة طالم لانحين البقاء معى  
لعلك تظنين أن سينالك منى ما نالنى منك أيام قفوى من الاهاة والسخرية  
وحاشانه أن أفعل ذلك بعد ما شرقتى به الله سبحانه وتعالى من العلم  
ومستجدين فى صدقة حبيبة تساعدك على مصائب الدهر لارىك  
الفرق بين الجاهل والمتعلم وربما قدرت أن أعيد اليك بعض مجدك  
الذائف فدهشت الفتاة لذلك وقالت أو فاعلة أنت ما تقولين فقد والله  
سمعت النذمة ولم أعتد ذلك من قبل قالت نعم سأخذك معى ترأسين  
مزلى أن شئت فشكرت الفتاة لملك المحسة عظيم احسانها وقبلت  
منها ذلك وأنشدت تقول فى مدحها

لك الفخر فاجنى فى سرور وغيطة • ثم لاجتهاد آن وقت جناها  
حملت على النفس الابية ضيما • فالت على بعد المرام ماها  
سلكت سبيل المكرمات وأومات • يملك تهدي من أراد هداها  
ولقدت زمام الغايات الى العلا • كفى النفس غمرا بالكل كفاها

$$\left(1 - \frac{1}{p}\right)^{p-1} \left(1 - \frac{1}{p}\right)^{p-1} \left(1 - \frac{1}{p}\right)^{p-1} \left(1 - \frac{1}{p}\right)^{p-1}$$



# مِشْجَرُ الْأَدَبِ

وضعة

أبي القاسم  
عبد الرحمن بن محمد

علموا اولادكم فانهم  
علموا الزمان غير زمانكم  
• الامام علي •

قررت نظارة المعارف استعمال هذا الكتاب  
في المدارس الابتدائية والثانوية

الكتاب الأول  
في الأخلاق والاجتماع

• طبعة رابعة •

مطبعة المعارف بشارع ابن خلدون بمصر

١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م

4  
.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على جميع أنبيائه وأصفياه

## مقدمة

أساس السعادة نظام الحياة ؛ وأساس هذا النظام التعليم .  
ولكن التعليم ، بلا تربية توصل أمره الى أعمق القلوب الرطبة ،  
كحراث الأرض على محق غير كافر ؛ اذا أنبتت زرعها ، خرج بين  
أعشاب خارئة بنموه او جياته .

طالما رأينا التعليم المجرد عن تهذيب النفوس ، وترويق المشاعر ،  
معوّلاً من معاول تقويض النظام الاجتماعي .

شغلني هذه الفكرة ايّاماً ، فأجبت النظر في كتب الأدب العربية ؛  
فلم أجد فيها مع وفرتها ، ما سد طلبني ، كما أراه عند الأفرنج من تعدد  
الكتب الخاصة بتربية الأحداث ، المعروفة عندهم باسم :

Morale et Instruction Civique

فوضعت هذا الكتاب في أوقات فراغي ، بمساعدة الناقلين :

الشيخ محمد شلبي المتش بالعارف ، ومرسى شامر أقدى المدرس  
بمدرسة بنها الابتدائية ، موقفاً انه يمثل هذه الكتب ، بنيت الطفل  
نباتاً طلياً ؛ حتى اذا ما بلغ أشده ، أصبح واسع الامراك ، ذكي  
الغواد ، مثقف الشعور .

هذا وليذكر المعلمون ، ان ما جاء في هذا الكتاب ، ليس الأ  
مسائل مجازة . والاساذ انما يحدث الصغير في أرقى الموضوعات بأبسط  
ال عبارات . فليهم — كذلك عند المطالعة — واجب البيان والتبيين ،  
باكثر مما جاء به أساذ الكتاب ؛ بتكرير الشواهد ، وضرب الامثال ؛  
كي ترسخ هذه الحقائق في أذهان الأطفال ، وتنش في مخيلتهم  
مبنة كالتش في الحجر . وهنا حقاً ، تتفاوت قوى المعلمين . فليس  
المستور في الكتب الأ طرقاً للإرشاد ؛ وقدرة المعلم هي سر النجاح ،  
والاقتادة ، والله الموفق لما فيه خير عياده .

محمد أمين واصف

# الجزء الأول

## الباب الأول

### في الأدب

الفصل الأول - في الحرية

« ١ - النواميس الطبيعية »

المعلم - ما الذي خطر ببالك أمس حينما شاهدت الشمس جانحة  
للمغرب ، والظلام مقبلاً ؟

التلميذ - خطر ببالى ان الشمس لن تعود ، وان هذا الظلام باق  
لا يتحوّل .

المعلم - وما الذي جال بخاطرك حينما شاهدت النجوم ساطعة  
في السماء ؟

التلميذ - ظننت ان هذا المنظر سيدوم ، وان هذه الكواكب  
ستظلّ ساطعة .

المعلم - وحينما طادت الشمس وبعثت أشعتها في الأفق ، واستمرت  
على هذه الحال ، تغيب ليلاً وتظهر نهاراً ؟

التليذ - أيفنت انى مخطئ فبا تحيلت .

المعلم - ما الذى نستنتج من هذه المشاهدات ؟

التليذ - استنتج ، ان الاجرام السماوية تجري على قوانين ثابتة لا تتغير .

المعلم - هل الاجرام السماوية وحدها ، هي التى تجري على قوانين ثابتة ؟

التليذ - اظن ذلك .

المعلم - كلا . . . يابني ؛ ان الاجرام السماوية وغيرها من الكائنات ، ( الحيوان والنبات والجماد ) تجري كلها على قوانين ثابتة ، ونواميس لا تتغير « سنة الله وان تجد لسنة الله تبديلاً »

( ١ ) فلحجر المقذوف في الهواء ، لا بد ان يسقط على الأرض ؛

( ٢ ) والشجرة لا بد ان تنمو ، ما لم يمنعها عن النمو طائف ؛

( ٣ ) والحصان مثلاً ، ينفق كسائر الحيوان ؛

( ٤ ) والنتائج المتشابهة بالاجمل ، لا بد ان تكون اسبابها متشابهة .

وهي قاعدة من القواعد الكلية التى تمثلها جميع الكائنات .

يابني ! ليس المراد من القانون هنا القواعد الوضعية التى تضعها

الحكومات ، في التشريع والادارة ونحوها ؛ بل المراد بالقانون النظام

الإلهي ، الذى تجرى على مقتضاه الكائنات السماوية والأرضية :

( ١ ) كجذب الاجسام بعضها بعضاً ، حتى الاجرام السماوية ؛

- (٢) وجذب الكبيرة منها الصغيرة ( فالجبر المقذوف الى أعلى ، لا بد من سقوطه على الأرض بقوة الجذب ) ؛  
(٣) والتصاق الأشياء الثقيلة بالأرض بقوة الجذب العام ( وهذا هو الحافظ لنظام ما على وجهها أثناء دورتها ) ؛  
(٤) وطفو الأشياء الخفيفة على سطح الماء ، لاختلاف الثقل النوعي بينها ؛

(٥) ومثابة نتائج الحيوان والنبات لأماتهما في الجنس . ألا ترى ان بيضة الحمام ، لا تفرخ إلا حماماً ؛ والنصن المتخذ من شجرة الخوخ ، لا يثمر بعد غرسه إلا خوخاً ؛ وغير ذلك من القوانين التي تصحتها المشاهدة والعيان ، وان لم تدرك أسرارها . وما عدا ذلك — مما يخالف هذه القوانين الطبيعية الثابتة ونحوها — إنما يجري بمقتضى المصادفة ، والاتفاق الذي لا تتناوله الأرقام .

## « ٢ — النفس والإرادة البشرية »

المعلم — ماذا تفعل مساءً ، بعد خروجك من المدرسة ؟  
التلميذ — سألعب مع رفاقي قبل الذهاب الى المنزل .  
المعلم — اذا كان ذلك في ذهنك ؛ هل تتخيل ان هناك باعناً من القوانين الثابتة التي أشرنا اليها سيصرفك عن قصد المنزل الى مراقبة أصحابك ؛ كما تدحرج الكرة التي تصادف منحرفاً ؟

التليذ - لا لأن الكرة التي تصادف منحرفاً ، لا بد أن تندرج . أما أنا ، فني امكاني أن أروض مع رفقائي ساعة ، وأذهب بعد الى المنزل ؛ وفي امكاني ان أذهب الى المنزل مباشرة ، أو الى أى مكان آخر ؛ كما ان رفقائي في امكانهم ان يصلوا ما يوافق رغائبهم المعلم - اذن ، أنت مغاير لسائر الكائنات التي تتبع قوانين الطبيعة الانية .

التليذ - نعم .

المعلم - نعم . . . يا بني ؛ انك مصيب فيما تصورت . لأن الحجر يتدحرج كقفيه ، والشجرة تثبت كغيرها . ولكن كل فرد من أفراد النوع الانساني ، يخالف الآخرين في أشكالهم وميولهم ، حتى ان التوأمين لا يتشابهان في الصورة والاستعداد .

ذلك لأن الحجر مجموع ذرات متائلة في عناصرها ، لا ارادة لها ، ولا حرية . أما الانسان ، فإنه ليس عبارة عن مجموع أعضاء ؛ وإنما هو شيء آخر خفي (وهو النفس) التي تحس اذا لابس عضواً من أعضاء الجسم ألم من الآلام ، كما انها هي التي تحرك هذه الاعضاء ، وتستخدمها فيما تشاء .

فانفرق اذن بين الانسان وسائر الكائنات ، ان للانسان ارادة تدفعه الى الأقوال والافعال ؛ وهي داع من دواعي التفاضل بين الرجال . أما سائر الكائنات ، فلهي مجردة من تلك الإرادة - ألا ترى ان البخار لا يعمل وحده ، وكذلك الماء ، والنار ، وغيرها ؛ فالارادة البشرية أثر من أكثر القوة ، ودليل من أدلة الحياة



« ٣ - الحرية »

المعلم - يا بني ؛ صرحت بانك تذهب الى القرب مع رفاقك  
بإرادتك ، وانك لم تكن مجبراً ، فهل تعجب اذا نهيتهك الى أن  
الانسان ، لا يفعل ما يفعل بمحض إرادته ؟

التلميذ - وكيف ذلك ؟ هل الانسان خاضع للعامل آخر خارجي ؟  
المعلم - لا ؛ فالانسان ليس خاضعاً للعامل خارجي ؛ ولكنه تمت  
سيطرة عقده وضميره والأكلان غير منتهج بالحرية التامة .

التلميذ - وما معنى القضاء والقدر ، اذا كان الانسان مخيراً لا مسيراً ؟  
المعلم - <sup>(١)</sup> يقطن البعض ان عقيدة القضاء والقدر ، هي القناعة  
بحياة يأكلون فيها ، وبشربون ، وينامون ، مسخرين كالانعام ؛ وان  
لا اختيار لهم في قول أو عمل ، أو حركة أو سكون ، ولم يدروا ان  
في ذلك تعطيل قوام ، ووقدان ثمرة ما وهب الله لهم من المدارك  
والقوى . ( هكذا غشت طائفة من الافرنج وكثير من ضعفاء العقول  
في المشرق ) . لا يوجد مذهب من مذاهب المسلمين يقول بسلب  
الاختيار بالرة ؛ بل الاعتقاد الديني الصحيح ، ان الانسان جزءاً  
اختبارياً في أعماله يسمى الكسب ، وهو مناط الثواب والعقاب ، وهذا  
لا يتبع الاعتقاد بأن كل شيء بيد الله ، ينقض ما بشاء ، ويبرم ما

(١) كفة للامام الشيخ محمد عبيد في التوضيح بانتصار

يشاء . ومعنى اقتضت الحكمة الإلهية والإرادة الصمدانية ؛ كانت  
لإرادة فوق إرادة الإنسان . ان الذي يعتقد ان الأجل محدود ؛  
كيف يهاب الموت في الدفاع عن حقّه ، وإعلاء كلمة أمته أو ملكه ؛  
أو كيف يخشى الفقر في بذل ماله لتعزيز الحق وتشييد المجد .

الاعتقاد بالقضاء والتقدير ، تنبعه صفة الجرأة والاقدام وخلق  
الشجاعة والبسالة . ويطيع النفس على الثبات واحتمال المكاره ومقارعة  
الأهوال وبهجتها بهل الجود والسخاء . واعتبر ذلك فيما كان عليه  
المسلمون في الصدر الأول . فتحروا الأمصار ، وددخوا الممالك ، ونشروا  
أعلام الفضيلة على ربوع الآفاق ، في مشارق الأرض ومغاربها ؛  
واقحموا الصواب اجابة لنداء العزم والإرادة ليس الآ . هذه العقيدة  
هي التي عملاً ثبتت اقدام الفئات الصغيرة من المسلمين أمام الجيوش  
الخطارم . والمتمدد بالقضاء . يفعل عظام الأمور غير هباب ولا وجل ؛  
لأنه يحسب نفسه بتوكفه على الله ، في أمان من كل غلظة ، وانه  
لا يصيبة إلا ما كتب الله له .

أعترف يا بنى شبتاً آخر يوشى في إرادة الانسان ؟

التلميذ — لا ؛

المعلم — هل الناس يتألموا الأمزجة ؟

التلميذ — لا ؛ ان فيهم ذا المزاج الدموي ، والعصبي ، والصفراوي

وغير ذلك ؛ والذي أعرفه ، ان الدموي يتدفع الى الغضب والشدة ،

وان العصبي كثير الاحساس ، وان الصفراوي حزين على الدوام .  
المعلم - يا بني ؛ ان تخالف الأمزجة يؤثر في الازادة ، فالدموي  
هيئات أن يضبط نفسه عند الغضب ، والعصبي قلما يظلم تأثيره ،  
وكذلك الصفراوي .

ولكنهم ربما استطاعوا مفارقة هذه الامراض ، ويدل على ذلك

ما يلي :

حكى ان تورين ( Turenne ) ( أحد قواد الجيوش الفرنسية  
في زمن لويس الرابع عشر ) كان يشعر بالترجاف من دوى المدافع في  
ميدته ؛ ولكنه كان يقاوم ما يداخله بكل قواه ، وينادى صارخاً  
مازحاً مع أفراد جيشه اذا تزعم ( أنت تزعم ) أنت ترجف ؛ .  
واغلاصة ان الازادة يمكن أن تنجو من هذه العوامل ؛ ولكن هناك  
عوامل قوية هيئات ألا تتأثر بها . هي العادات المألوفة التي تجعل  
الازادة أشبه بالأرض التي تساهل فيها صاحبها ، طوراً بالهن ، وطوراً  
بغيره ، فيحرم ثمراتها . يان ذلك ، ان الحياة عبارة عن سلسلة عادات:  
عادة الاكل والشرب ، والنوم والعمل وغير ذلك . وهذه العادات ،  
وبما تسلطت على الانسان وسلته ارادته ؛ فما أجدرنا ان نسميها آفة  
الازادة . ألا ترى ان المدمنين يحاولون ان يتخلصوا من اغلال هذه  
العادة المرفوضة ، ولكن لا يجدون الى التلاص سبيلاً ؛ فلهم - تعرى  
ازاء العادة من ارادته التي وهبها له خالقه ، ويفقد حريته ، واستقلاله ؛

وإذ ذلك يكون شيئاً بالآلة الخاضعة لموامل خارجية .

التعليق - باسیدی ان في قدرة الانسان ان يجاذب العادات المرذولة ، حتى تنقطع صلته بها . يدل على ذلك ان كثيراً من المذنبين أقلعوا عن هذه الرذيلة ، وكثيراً من المذنبين أتوا الى الله وتابوا توبة نصوحاً ، ومن الواجب على الانسان ان يلاحظ ان قيت برادته ، وان يحفظ بها كل الاحتفاظ

المعلم - نعم يا بني ؛ ان هذا الشعور أقوى باعث للحرص على الطرية ، وأعظم مسوغ لأن نجيب بهذه الجملة - أنا حر - من يدعي انك مقهور ؛ ولا منافاة بين توفر الإرادة ، وخضوع الانسان لقضاء والقدر



## الفصل الثاني - في القانون الأدبي

### « ١ - الضمير »

قد ينصرف المرء الى اللهو واللعب ولا يلتفت لأعماله إلا اذا مست الحاجة ، ولا يؤدي ما يجب عليه لوالديه العاجزين عن الكسب ، الذين أوجبت عليه كل الشرائع ان يعولها ويعولونها على القيام بعباء الحياة ؛ ولا يجحد من الحكومة ما يردعه عن مجاراة هواه ، والاستسلام لموامل الشهوات الفسادية . لأن ما أنه لا يبدت جرماً في نظرهما ، لتحصه بالحرية الشخصية ، وان استبح ذلك سوء سمته ، وانصرف

اختلافه عن مساعدته . ولا يثبت ان يسمع صوتاً قليلاً يؤنبه على هذه  
الأعمال فيخضع له أى خضوع  
ما هذا الصوت المحترم ؛ ما هذا الصوت المؤثر ، ما هذا الحاكم  
القاهر ؛ هو الذى يشرف على المرء فى كل زمان ومكان ؛ هو الذى  
يؤنب المجرمين بصوته الزمان ؛ هو هو الضمير . الضمير هو الحاكم  
الداخلى ، الذى يرمخ الجناة على ما يجترحون ، ويشر الهداة بتأنيح  
ما يصلون .

الضمير هو الذى دفع قاييل بعد قتله أخاه هابيل ، ان يردد  
( يا ويلتى ! أعجزت ان أكون مثل هذا الغراب فأولري سواة أنى ! )  
ما أشبه الضمائر الصحيحة بالكواكب المتيرة التى تهبث أشعتها ؛  
فتهدى أصحابها مناهج الدداد ، وتصل بهم الى غاية المراد ؛  
ان سلطان الضمائر فوق سلطان القواتين الوضعية ، وان افترقت  
الثانية فى قوالب الشدة ؛ وان اصواتها فوق سائر الاصوات . قال  
أبو نواس :

لن ترجع الأنفس عن غيابها ما لم يكن منها ظم زاجر

٢٥ - المسئولية

الاستاذ - يا بنى ؛ أنت سنك اثنا عشرة سنة . فلم أنت صغير؟  
هذا شئٌ خير حسن !

التلميذ - يا سيدي ؛ ليس ذلك من أعمال المنيعة على ارادتي ،  
والأ كنت كبيراً مثلك .

الاستاذ - لم اعطت صحتك ، ففنت النوم الليل كله ، وحرمت  
شهوة الأكل . اني لست مرتاحاً لذلك !

التلميذ - يا سيدي ليس في وسعي ان أكون على غير ما شهدت .  
وهل يستطيع المرء ان ينام ويأكل كما يريد ؟

الاستاذ - يا بني ؛ اني لحظت عليك الكسل في المدرسة أمس .  
فهل ذلك خارج عن ارادتك ايضاً ؟

التلميذ - لا يا سيدي ؛ ان الكسل من أعمال المنيعة على ارادتي ،  
ولذلك استبحتك الصفح .

الاستاذ - قد صفحت عنك يا بني ؛ ولكن أود ان تهيب عما يلي :  
لم لم تعارضني في نسبة الكسل اليك ، وقد صرحت قبلاً بان انحراف  
الصحة والصرغ ، ليسا من أعمالك اعظامه بك ؛ ولم رضيت بنسبة ذلك  
الفعل اليك ؛ ولم ترض بنسبة هذين الأمرين ؟

التلميذ - يا سيدي ؛ ان أعمال الانسان متنوعة ، منها ما يصدر عن  
مغرض ارادته كالكسل والاجتهاد ، والقيام والقعود ؛ ومنها ما يكون  
خارجاً عن ارادته كالصرغ ، والكبر ، والصحة ، والاعتلال .

الاستاذ - اذن انت غير مسئول عن كل ما يصدر منك ا

التلميذ - لعل الاستاذ بشرح لي معنى مسئول .

الاستاذ - مسئول ، أى محاسب ؛ فأنت مسئول عن كسفت  
وتقصيرك فى واجباتك (أى محاسب عليه) ولست بمسئول عن صفرك  
(أى لست محاسباً عليه) . أفهمت ،

التليذ - نعم ، فهبت فى مسئول عن أعمال الصادرة بحض لرادنى  
الاستاذ - هل اذا اضطررت غيرك عمل يضاد ارادتك، تكون مسئولاً؟  
التليذ - لا ياسيدى ؛ فاذا انصرفت الى الاستحمام فى النهر  
بلرادنى ، اكون مسئولاً ؛ ولكن اذا زجنى امرؤ فى وحنلى على ان  
اغوص فى الماء ، لا اكون مسئولاً ؛ لأن ذلك مخالف لرادنى .

الاستاذ - أحسنت ؛ لأن العمل فى الصورة الأولى صادر منك  
بلرادتك ، وفى الثانية خلج عنها ؛ ففس على ذلك سائر أعمال الانسان ،  
ولذلك قيل : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » . وعلى  
هذا المبدأ القويم ، جرت المحاكم فى عقاب الجناة . فعلى لاعتاق المرء على  
فعله مجرداً ؛ ولكن تنظر الى ما يقارن أو يطارق العمل من النية والارادة  
فاذا صوب انسان بنديقته الى طائر ، فاصابت رجلاً كان وراءه  
تخلف مثلاً ، فقتضت عليه ، لا يعاقب عقاب الجانى الذى يتعمد للجنى  
عليه ويقتله ؛ مع ان الجناية واحدة فى الصورتين

وهذا المبدأ علم يشمل الخبير ، كما يتناول الشرع ؛ فله قد يحسنه ،  
ولا يستحق حسن الجزاء على احسانه . مثال ذلك . انى زرت آكراً  
بمدينة ( رومة ) ؛ وبينما أنا أغدو ولروح مع أحد الأولاد ، اذ سمنا

تهدياً ورفيقاً ، فدونا فوجدنا مسافراً ضالاً ، مشرفاً على الهلاك من  
الجوع والظوف ؛ فهدينا الطريق فجاء . جزاء هذا الاحسان ، لا يعادل  
جزاء الرجل الشجاع الذي يخاطر بحياته ، ويرجع بنفسه في الماء لينقذ  
آخر اوشك ان يغرق

وان ضمير الانسان الذي يرقب في غدواته وروحانيته ، لا يؤاخذ  
الأعلى ما يصدر منه بلاداته . وحسبنا هذه القضية ، في اتحاف الذين  
يرحمون ان الانسان غير حر

### « ٣ - القانون الأدبي او قانون الأخلاق »

لئن كنا احراراً فيما نفضل ، فلما نحت مراقبة ذلك الحاكم الداخلي ؛  
ألا وهو الضمير . فالحرية ليست مطلقة .

الرجل المجرد من الضمير . يجرى وراء الأهواء كما تشاء ؛ ولكن  
هيات ان يوجد رجل مجرد من الضمير ، لأنه من لوازم الطبيعة  
البشرية .

وليس الفارق بين الانسان وسائر انواع الحيوان ، قوة تمييز  
الحق من الباطل فقط ؛ بل قوة تمييز الخير من الشر ايضاً . وهذه  
القوة هي الضمير الذي يرقب حركاتنا ، ويهديها سبيل الرشاد .

فهو شبيه بالقاضي ، الذي تنحصر اعماله في تطبيق القوانين على  
اعمال الناس ؛ ويمكن التعبير عنه بأنه قانون ، نحن خاضعون له .



ثم ليس المراد انه قانون مماثل لقوانين الطبيعة الثابتة التي أسلفنا الكلام عليها ؛ ولكنها قانون احدي يستطيع اطاع له ألا يطيعه .  
كالتوانين الوضعية التي تضعها الحكومات لتفصل في الخصومات أو  
( كأى نظام براعیه الانسان أو لا براعیه )

والترق بين هذا القانون وتلك القوانين ، يظهر من هذين  
المثالين : اذا أقيمت حصاة وقطعة خشب في الماء ؛ هوت الأولى في  
القاع ، وطلت الأخرى ؛ ولا يحدث غير ذلك على الدوام ، لأنه  
قانون طبيعي . واذا به الاستاذ تلميذين الى اداء واجب من الواجبات ،  
فلا يسوغ ان نحمك بأن التلميذين سأ يطيعان أمره . فقد يطيعانه  
ويصلان الواجب ؛ وقد يطيع أحدهما ويهمل الثاني ؛ لأن الطاعة  
والمخالفة مبنيان على استعدادهما ، لا على نفس أمر الاستاذ . وحينئذ  
يمكن أن يقال ان القانون الأدبي بمثابة المرشد الناصح ، وليس من  
لوازم المرشد اتباع أوامره واجتباب نواهيهِ .

و بالأجمال ، أقول ان وظيفة الضمير ان يأمر بالخير ، وينهى عن  
الشر ؛ وليس فيه قوة الاكراه على الفعل أو الترك .  
والانسان مغفلور على أنه يرتاح اذا أصاح لصوت ضميره ،  
وينقبض اذا خالفه ، ويشعر انه خالف النظام ، وأخلّ بالسلام العام ،  
ولا يهري من أين أتى ، ومتى يذهب . واليك شاهداً يوضح لك حالة  
الضمير في المواقف الصعبة ، وقوة تأثيره . قال جندي : بينما كنت  
( ٢ )

أرواح على جسر نهر السين في يوم عاصف ، والنهر مائج ؛ إذ لحقت سفينة مشحونة رملاً أراد ملاحها اجتياز الجسر (الكوبري) ، فانكفأت بفتة ، لمحاول التجاذب فلم يفلح . فأوحى اليّ ضميري ، ان ألقى بنفسى فى النهر لانجاء ذلك الطريق ؛ ولكن كهولتى صوّرت لى المضار التى تنشأ من البرد القلوس ، وداء المغاسل يلابسى ، وذكرت أيضاً انتهاء المعين وندوة الساهد ؛ فقترت عزيمتى وأخذت أقدم رجلاً ، وأوخر أخرى ؛ ثم قهرت هذه المواجس ، وعزلت على مساعدة الطريق . فخطر ببالى فكرة أخرى ذلك الزمن الطويل الذى لازمت فيه فراشى وأنا مريض بدهاء (الروماتيزم) ؛ وانه كان من الواجب على السين أن يتن السباحة ، وانه هو الذى جنى على نفسه ؛ وكادت أقاد لهذه العوامل وانصرف . فهبس الضمير فى اذنى بهذه الجملة المؤثرة : « انك جبان ! » . فاعتزنى هزة بشت فى الى ان أتيت بنفسى فى الماء ، وأنجيت الملاح بلا عناء .

### الفصل الثالث - فى الظير

#### ١ - شرف الانسانية ،

قد ظهر لنا ان الانسان مخلوق ، حرّ ، عاقل ، مسئول عما يصدر عنه من الأعمال المبنية على ارادته ، ممتاز بمواهب مخترعة تكسبه شرفاً

هو جدير ان يحتفظ به حتى لا يتدمج في صف الكائنات الخاضعة لتوابع الطبيعة الثابتة . ولذلك كان أول أمر من أوامر القانون الأدبي ، أن يحترم الانسان في نفسه شرف الانسانية الذي يرجع الى ارادته ؛ ولذلك ايضاً حظر عليه الرذائل ، وحث على التمسك بالفضائل التي تطالب الشهوات الفسادية . وفضليات هذه الفضائل التي تصون شرف الانسانية ثلاث : الفطنة ، والاعتدال ، والشجاعة .

الفطنة هي صفاء العقل ، وهي ضرورية لصحة ارادة الانسان ؛ لأن من لا يميز بين الحق والباطل ، يخشى عليه ألا يميز بين الخير والشر ؛ وان بعض المفنوت قد تمرّ بسهولة مع اعتيادها ، فتصير من اكبر الخطايا . ألا ترى تلك الاوهام المستولية على العقول - أوهام الاعتقاد بشوم يوم الجمعة ، والعدد (١٣) ؛ ونبيق اليوم - ما أقبح هذه التزمت ؛ وأبشع هذه الخرافات ؛ التي لا يحورها إلا نور الفطنة ، وضياء الذكاء ؛

ولفطنة اسمان : التعقل والتسامح ؛ وهما مرتبان لا يستحق المرء أن يدعى بدونهما انساناً ذكياً عقلاً .

والاعتدال - كالتعقل - مزية من أشرف المزايا الانسانية ، وليس الغرض منه نظام الطعام والشراب ؛ ولكن الغرض منه التوسط في كل شيء .

فليس الاعتدال ان يتصلف الرجل الذي أرى ، ( وقد نشأ

فقيراً) على زملائه الذين لم ينجحوا مثله ؛ أو ان يحقد الرجل الفقير على جاره الغني ، ولا يرضى بما قسم الله له .

بل من الاعتدال أيضاً ، الاعتراف بالحيل وهو من أخص فضائله . لم تعترف بحيل والديك ؛ لأنها سبب حياتك ونعمتك ؛ فكافأئك لها ، هو هذا الاعتراف . وكذلك الرجل المعتدل . يعترف بفضل العلماء ، والفكرين ، والباحثين ، والمخترعين ؛ ولا يبعد لأحدهم فضلاً قل أو أكثر ، الأ دنى .

ما ظهر ذو رأي جديد في العلم أو الصناعة ، الأ وجد أعلامه كثيراً من الحاسدين والبيضين ؛ فأنكروا جهده ، وسفها آراءه ؛ فلما انقضوا حكم التاريخ بسقوطهم ، ورفعوا الي ذروة المجد انطاد .

حكى ان كريستوف كولومب ، بعد اكتشافه اميركا ، وهودنه لاسباتيا ؛ احتفل به الشعب على اختلاف الطبقات ، ولم يفل ذلك الاحتفاء ألسنة الحساد والمكابرين ؛ بل انطلقت بالتشديد والتعريض ، والسخرية والتسفيه . فنى اليه الخبر ، فلم يحنل يو ؛ بل دعاهم الي وليجة ، وأنى كل واحد منهم طيناً وبيضة وقال : الحاذق منكم من يجعل بيضته قف على طرفها ؛ فخلول كل ساعة ، فلما أصبحتهم جبه ، أخذ هو واحدة وضربها بقوة فأنكسر طرفها فاستقامت ؛ فصاح الكل : « ان كان كذلك ، فالأمر هين » فقال ولكن سبقت الي الفكرة قبل أن ترد على بل أحدكم . وهكذا كان استكشافي لأمر يكا .

وفضيلة الاعتراف بالجميل ، هي التي وقعت بطرس الأكبر ،  
 ( قيصر الروس ) على قبر ويشايو وزير الفرنسيين ليقول لبتك حتى  
 فأعطيتك نصف ممالكى ، لأتلم منك كيف أسوس النصف الآخر .  
 ( الشجاعة ) وليس من الانسانية أن يجبن الانسان ، ويستلم  
 لما يعتريه أو يعتري مواليه ، أو معاشريه ، أو معاصريه من مصائب  
 الحياة ؛ لأن الحيوان والطيور ، تدافع عن أنفسها وعن أبنائها ؛  
 والانسان أولى منها بهذه الفضيلة .

وقد حكى ان ذنباً خاطر بنفسه ، لصيانة أولاده ، حتى انخرق  
 الرصاص جسده وهو ثابت لا يتحرك ، مخافة أن يزهد أولاده بأبيه  
 وصياحه .

وقد قال شاعر فرنسي ما معناه :

ويلاه : تفكرت بارغم منى في هذا الاسم العظيم ؛ ( اسم الانسان )  
 ولكنى خجلت مما شاهدت من مظاهر الضعف في النوع البشرى ؛  
 كيف لا وهذه معانيه التي تعرفيها أيها الوحوش الضارية .

فالبكا ، والمويل ، والأنين والنضرم ؛ كل ذلك من ضروب الجبن .  
 أيها الانسان ، اعمل عمالك الشاق بقوة حيث ناداك حظك ؛  
 مثل الذئب الذي تألم حتى مات ، ولم يدر صيحة ولا نياة .

قال تكبير شاعر الانكايز : — يموت الجبان ألف مرة ،  
 والشجاع لا يموت غير مرة واحدة .

وأعلى مراتب الشجاعة ، الشجاعة الأدبية ؛ وهي قول الحق ،  
والسعي وراء الحق ؛ وبها يكون الانسان أميناً مخالفاً لموى النفس ،  
شديد الحرص على واجباته ، مهما كانت الحوادث التي تحيط به .  
الرجل اذا قوى ضميره ، ظهرت عليه علام الشجاعة الأدبية ،  
وكان أحضر جنائماً ، وأربط جأشاً في أعظم المواقف . حتى ان رجلاً  
من أهل دمشق سعى به الى أبي جعفر المنصور ، أن عنده ودائع وأموالاً  
لبني أمية ؛ فأمر بحضوره الى بغداد ، فدخل عليه ، وكان المنصور  
شديد البطش ، سريع الغضب . قاله : رُفِعَ الينا خبر الودائع والأموال  
التي عندك لبني أمية ، فأخرجها لنا . فقال يا أمير المؤمنين ؛ أوارث  
أنت لبني أمية ؛ قال لا . قال : فأنت لم رمى ؛ قال لا . قال :  
أثبت لك قضاء ذلك المال عندي ؛ قال لا ؛ قال : إذا فما سبب  
سؤالك عما في يدي من ذلك ؛ فأطرق المنصور هنيهة ثم رفع رأسه  
متبسماً وقال لحاجبه الربيع ، أفض لي لرجل حاجته ثم رده لأهله .

## « ٢ - النزاهة وحب الذات »

ان الفضائل الثلاث التي شرحناها ليست كل ما يطلبه القانون  
الأدبي ؛ لأنما تختص بواجبات الانسان نحو نفسه .  
والهيب لذاتة لا تعوزه مزية من هذه المزايا . مع انه لا يكون  
مثل النزاهة والفضيلة ؛ لأنه وان احترم مواهبه البشرية ، نسي انه

خلق اجتماعياً ، والواجب أن يعمل الإنسان في الحياة على هذا المبدأ الصحيح . - أبلتي ؛ تأملوا في هذا العطاء ، تروا أن ليس الغرض من الحياة الحصول على مطالبنا دون سواها .

فما الأرض إلا قطعة في فضاء الله الواسع ، تدور حول الشمس ككائر الكواكب ؛ وكل كوكب يكون دنيا كهذه الدنيا ، ويدور حول كوكب آخر أعظم منه جرمًا ؛ ذلك تقدير العزيز العليم ؛ نحن وان كنا على الأرض لسنا لها بالملكين ؛ لأن حدوث أي غرق أو زلزال ، يدمر هذه الأم أي تدمير .

وإذا كانت هذه هي الحقيقة ، فكيف نعتقد ان الدنيا خلقت لنا وحدنا ، ونسئ هذا النظام الالهي .

نعم يجب علينا أن نعتقد ان الانسان لم يخلق منفرداً ؛ وان من المتعين عليه أن يشترك ، ويخلص لأسرته ووطنه وللانسانية والصالح العالم ، مراعاة لتلك النظم الاجتماعى .

لما آتت الخلافة لسيدنا عمر ، رضى الله عنه ؛ أمر بعزل خالد بن الوليد ، وهو من كبار قواد الجيش الاسلامية ، التي كانت مشغلة يومئذ بالفتوحات الشامية ، لأسباب القضاة ذلك ؛ فقبل خالد أمر عزله بالامتنال والاذعان ، وحارب جدياً كعامة الجند حتى تم فتح الشام . ففرح عمر بنصر الله ، ورضى عن خالد ، وأعادته الى القيادة ثانية . فانظر كيف تجسست النزاهة في نفس خالد ، حتى انه لم ير في عزله إلا

حادثاً مألوفاً ، لم ينته عن واجب الجهاد لاهلاء كلمة الله يوماً واحداً .  
أبائى ؛ ان مصلحة الفرد ، يجب أن تتقدم حيال مصلحة الأمة ؛  
وذلك هو السرّ في موت الجندي ، وقلبه يخفق سروراً ؛ لأنه يعلم انه  
يمحي بلاده بموته . وهو السرّ في أن يواسي الانسان الفقراء ، ويعلم  
الجهلاء ، ويتسهل الصعاب في اكتشاف الحقائق التي ترقى العلم .

ان الانسان الذي يراعي المصلحة العامة ، أفضل من يهصر نفسه  
في دائرة منافعه الشخصية ، ولا يسمو بها الى مكان أعم وأشرف من  
هذه الدائرة . ان الهبة الذاتية ، ليست مقصورة على الاستئثار بالمنافع ،  
والاختصاص للملاذ ؛ ولكنها تصل بالانسان الى حد نسيان حقوق  
الآخرين ، مما ينافي الفضية ، وبضاد الخير على خط مستقيم .

ان رعاية المصلحة العامة هي الزاخرة ؛ والزاخرة فضيلة من عقائل  
القضايا التي يجب على الانسان أن يتحل بها ، وهي الأكر المدوحة  
في الكتب السماوية ، والآكر الحكيمية .

فكن نزيهاً ، ولا تكن محباً لنفسك ؛ واذا شرعت في فعل  
خير ، فانظر ماذا يصيب العالم أجمع من جرماً امتاعك اذا اتدى  
بك غيرك ...

قال أحد الفلاسفة « اعمل دائماً بحيث يكون عملك قدوة لأبناء  
جنسك » مثلاً : اذا مرّ غلام في مزرعة فاعرضه صاحبها ، فأجاب  
الغلام بأنه لم يتلف شيئاً ؛ فعارضه الزارع بقوله : واذا تركتك



وشأنك ، ألا يجعل الناس ملكك ويقفون على أرك .  
وبهاتين القاعدتين : ( الحرص على شرف الانسانية ، ورعاية  
المصلحة العامة ) يجوز المرء شرف الكمال .

« ٣ - غلود النفس »

الاستاذ - أعرفون علم الحساب ؟  
التلميذ - نعم ، ونعرف قواعده .  
الاستاذ - أين الحساب اذا لحظتم ان في وسعنا أن نحرق كبة  
مع بقائه في أذهانكم ؟  
التلميذ - اذا ، هوفى رهوسنا .  
الاستاذ - نعم ، فى رهوسكم ، بل فى أنفسكم .  
الاستاذ - اذا لحظتم ذلك ، فأين الخير الذى يأمرنا به القانون  
الأدى حيثما أولينم امرأ معروفاً مادياً ، بأن أعطيتموه مالاً ؛ أو  
أدياً ، بأن أهدتموه من الفرق وهو مشرف عليه .  
التلميذ -- هوفى أنفسنا ( قياساً على المثال السابق )  
الاستاذ - نعم ، فى أنفسكم ، وذلك البشر الذى يتألق فى اسرة  
وجوهكم ، نلتى من السرور الذى كلفاكم به الضمير ؛ وهو منشأ  
شعوركم بكبر قيمتكم بما أضيف الى شخصيتكم من الكمال ، باستمراركم  
على اسداء المعروف ، وايلاء الجليل ؛ وهو منبع ما يلبس أجسامكم

من النشاط الذي يشابه نشاط الاجسام بالرياضة البدنية .  
والخير لا تزول نتيجته بزوال الجسم ؛ وهذا الاعتقاد هو الذي  
يدفع الانسان الى الاحسان ، ولو تخيل انه مشرف على موت فجأى ؛  
وهو الذي يجلب الى الجندي بذل روحه في خدمة وطنه .

نعم ، ان الاعتقاد بأن الأرواح حياة باقية ، هو الذي يبعث  
بالمحسنين الى بذل أموالهم في سبيل البر ؛ وهو الذي يدفع دعاة  
الإصلاح وهداة الأمم ، الى استعذاب ما يقاسون من أنواع العقاب .  
وليس من المقبول أن الاخيار والاشرار يتساوون بعد مماتهم ؛  
وان العمر الطويل الذي يقضيه صاحبه في اسداء الخيرات ومعمل  
الميراث ، يكون بلا نتيجة . واذا لم يكن من المقبول ذلك ، وجب  
أن نسلم بخلود الروح .

واغلام ان الخير كامن في النفس ، ككون النار في الزند ؛ وان  
النفس خالدة لا تفتى بفناء الجسم ، كما أجمعت عليه الشرائع السماوية كلها  
قال الامام الشيخ محمد عبده :

هذا الشعور العام بجياد بعد هذه الحياة ، المبعث في جميع الأنفس  
علما وجاهلها ، وحشبا ومستأنسا ، باذيتها وحاضرها ، قديمها وحديثها  
لا يمكن أن يعد ضالة عقلية ، أو نزعة وهمية ؛ وانما هو من الاطلاعات  
التي اختلف بها النوع الانساني . . . له

واذا لحظنا ما أجتناه ، من أن قواعد الحساب كائنة في النفس ،

وانها كانت موجودة قبل اتصالها بالأذعان ؛ جز أن نحكم - قياساً  
على ذلك - ان الطير كلمن في النفس ، وانه كائن قبل اتصاله بها ؛  
وان هذه الصفات المحدودة التي تندرج في هذه الكلمة العلية ، -  
الطير - صفات شريفة ، لذات مقدسة مخالفة للحوادث ، منصفة  
بالوجود ، والقدم ، والبقاء ، وسائر صفات الكمال ، منزهة عن كل  
نقص وهي : « ذات الله سبحانه وتعالى »

## الفصل الرابع - في الواجب

### (١) « الواجب »

الواجب هو الشعور الذي يجعل الانسان على الاقياد للقانون  
الادبي ، وهو يأمرنا بما يأمرنا به ذلك القانون ، من اجتناب الخرص  
على المنفعة الذاتية ، ومطابوعة الشهوات النفسية ، التي اخصها صفات  
البعث والحب .

لان البعث شعور ذاتي ، ساقط ، لا يخلمر الأذوى النفوس  
الصغيرة ؛ واذن ، يجدر بنا ألا نسيء الى من أساء الينا ، وأن نعتبره  
من الشكودين الجديرين بالشفقة والاحسان .

الحب فطري في الأهل والأقارب والأحباء ، واذن ، لا يصح أن  
يكون هو قاعدة مبرراتنا ، ولا ان تكون مقصورة على هؤلاء ، لانساقنا

الى مراسلتهم ، ومعاونتهم بالقطرة ؛ ولكن يجب أن تكون ميولاً شاذة  
 الاقرب والاباعد ؛ وأن تساعد البائسين ، وان كانوا بقاء ، وتنقذ  
 من يقعون في مأزق الأخطار ، وان لم يكونوا من الأهل والأصحاب  
 علينا بالأجمال أن نتحلل بالتضائل . وتتخلل عن الرذائل ؛ وأن  
 نقرن أعمالنا بالية الممودة ، لأنها أساس الثواب والعقاب ؛ والأفضل  
 المعروف فريضة لتبل غرض من الأغراض ، لأن ذلك يخرجنا من  
 دائرة التضييق ، وان لم يخرجنا من دائرة الاعمال الرذيلة .

حتى أن تَجَرَّأً أصيب بحريق دمر له أموالاً عظيمة ؛ فاجتمع  
 اخوانه من التجار ، وأظهروا أسفهم وحزنهم على ما أصاب أحام  
 بمخطبات طويلة عريضة ؛ وكان كلٌّ بهم خطاب به قوله : اشارك أخى  
 في مصابه العظيم . الى أنف قام آخر وبيده كيس نقود وقل : انى  
 اشارك أخى في مصابه العظيم بمشرة جنينيات ، ولنت نظره الى من  
 بجواره وقل له : وأنت بكم تشاركه ؟ فقال بمشرة ، وفتح باب  
 الاكتاب ؛ فاجتمع له مال عوض عليه ما اكلة الحريق . فزالت نكبة  
 الرجل بالاشترك الفعلى في مصابه « ولا خير في قول اذا لم يكن فعلاً »

### ٣ - القانون الوضعى \*

القانون الوضعى هو القانون الذى تضعه الحكومات ، ليكون أساساً  
 للقيام الادارى ، وقاعدة لاستئاع كل فرد من الافراد بحقوقه الفردية

والاجتماعية ؛ وهو الذي ينهى الانسان ( والأكلان مسئولاً حثياً أو مدنياً ) عن كل قول أو عمل ينشأ عنه ضرر للفرد أو الأمة . وحينئذ ، يكون مغايراً للقانون الأدبي ، الذي يبحث على التمسك بالفضيلة ليس الآ . ومن الواجب علينا ، أن نحترم القانون الوضعي ، باعتبار انه قانون علم ، انتهى على آراء اللجان التشريعية ، والمجالس النيابية ؛ وروعت فيه المصلحة العامة بقدر الامكان ؛ وليس لنا أن نتقدمه ولو كان فيه ما يستوجب الانتقاد . لأن الهجة الانتقاد للافراد ، تستجيب تعدد الآراء لاختلاف النظر ؛ والتوفيق بين الآراء الممعدة من المستحيلات .

وإذا فرضنا ، ان القوانين العادية هي القوانين الصحيحة الجفيرة بالاعتبار والاحترام ، فالواجب على كل وطني ، ان يعول على ضميمه فيما يتعلق بحياته الفردية ؛ وعلى القانون الوضعي في حياته العمومية ؛ لأننا قضاة أخصاء ، ولنا قضاة الهبة الاجتماعية .

فالاحترام القوانين سراج المالك الذي يصونها من الاختلال والانحلال ؛ وهو مبدأ العقلاء ، الذين يحبون الخير لبلادهم . واعتبر ذلك فيما حكى من انه كان في حاضرة البولن ( ايلنا ) منذ ثلثائة وأربعين سنة ، حكم اسمه ( سقراط ) انصرف الى تهذيب الشبان ، وحثهم على التمسك ببادئه ؛ فوجد عليه فريق من معاصريه ، فأجمعوا كيدهم ابتداء اهلاكه ، فتموتوا عليه ، وساقوه الى محكمة فاسدة ، فحكمت عليه . فآخري فريق من أشياخه وأتباعه الموسرين ؛ ومهدوا له سبيل الفرار

من السجن ، والتخلص من آلامه . فاستخف رأبهم ، فألحوا عليه ،  
فصاح فيهم قائلاً : «وقوانين الوطن» ، أيجمل بي أن أخالف القوانين  
وأنا أحتق باتباعها واحترامها ؛ انى لأوقن اذا أجبث صوتكم ، ان  
ضيرى يربحنى تويبناً شديداً ، ويادينى بهذه الجلمة :  
« آفنون بلادك ياسقراط ؟ »

لا ! لا ! ان موئى وأنا برى . مع احترام القوانين التى هى قوة  
الوطن وساعده ، خير مما ريبتموه لى .

وليس القيام بالواجب منحصرأ فى اتباع القانون الوضعى ؛ بل  
الواجب اتباع القانون الادبى أيضاً . لان الاول كما تقدم ، لا يتعلق  
الأبى ينشأ عنه ضرر للفرد أو الجماعة . فالرجل الكسول الجبان  
الجامل ، لا يمس القانون الوضعى بأذى ، ولا يعاقبه الأ ضميره . أى  
القانون الادبى الذى يحضنا على مراعاة الفضيلة فى كل زمان ومكان ،  
ويأمرنا بالعمل فى هذه الحياة المنيرة ميداناً للقواهب الالهية .

### ( ٣ ) « الأدب »

الاستاذ — أتعرف علم الأدب ؟

التليف — أسمع انه يذبنا الى ما يجب فعله ، وما يجب تركه .

الاستاذ — نعم .

التليف — اذن ، لا داعى الى معرفة هذا العلم ، ا كلفنا بضميرنا

الذي يرشدنا الى الخير والشر ، والقانون الوضع الذي يرقبنا عند  
قنود الضمير .

الاستاذ - هل تستطيع أن تورد مثلاً لذلك ؟

التلميذ - نعم ، ككلمات المحبرة أمس ، فقال مدادها على بساط .  
ولما شاهدت ذلك أمس ، استنممت عن كذاها ؛ قلت بادي . بده  
الى الانكار ، واستاد ذلك الى الرج أو المرة أو أحد الخدمة . ولكنني لم  
أستطع ذلك ؛ بل أصنبت لصيري ، وجهرت بالحق بمجرد نظرها الى  
واذن ، يمكن الاستغناء عن دراسة علم الادب في سائر المسائل  
قياساً على هذه المسئلة ( بالضمير والقانون الوضع )

الاستاذ - يا بني ؛ هذا جواب صريح . ولكن - هل نماضيرك

الى هذا الحد ، بلا تعهد ولا ثرية ؟

وهل تتخيل أن تكون ذا أخلاق قاضية ومبادئ طيبة ، اذا  
نشأت بالاتفاق في صحراء ، ولم يتعهدك والداك ، أو لم يدلك أحد  
على طرائق الخير والشر ؛ اذا صادفت أعمى مسكيناً في طريقه ،  
وانشرح صدرك لاعطائه درهماً مما معك ؛ أو اذا أعطيت كفاية  
أقسامها غير متساوية ، فاقصرت على تناول الجزء الأصغر - فما الذي  
دفعك الى الاحسان للأعمى في الصورة الاولى ، وإلى الاقتصار على  
الجزء الصغير في الصورة الثانية ، أ يرجع ذلك الى الضمير وحده ؟  
كلا ! . إنما يرجع الى الضمير ، وإلى من ربناك وهذبك ، ونهى

فيك هذه العواطف الشريفة ، وأرشدك الى أن الاحسان فضيلة ،  
والاقتصار على الاسر فضيلة .

ومن ذلك تعلم يا بني ، ان الضمير وحده لا يكفي في الدلالة  
على الخير والشر ؛ وأن لا بد من تهذيب النفوس ، وتقويم الاخلاق ،  
وتعويد المرء ملازمة الخير ومجانبة الشر ، وهو عين علم الادب ؛  
وذلك هو الحكم في ارسال الرسل عليهم السلام . ولو كانت الضائر  
وحدها كافية في الارشاد ، والحث على اتباع الاوامر ، واجتناب  
الزواجر ؛ ما بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين . وليس علم الأدب  
من العلوم الصعبة المثال ، كالحساب والجبر والمنطق ونحوها ؛ ولكنه  
عبارة عن المبادئ الطيبة ، والتدريب على الأخذ بها في القول والعمل .  
وهي كما تعلم ، احترام الحرف الانساني ، و غضبية الزعامة ، و احترام  
التواضع ، و حب الوطن وما أشبه ذلك . . .

والمعلم الأول لهذا العلم أمك ، ثم أبوك ، ثم استاذك الذي يسند  
اليه اتمام تربيتك .

وكانت يا بني اهتمت بأنت علم الأدب مفيد ، وانه ليس من  
المستحسن ان يهمل الانسان فيشابه التبت الذي يبيت بالاتفاق في  
أى مكان ، ولا يتقل لأرض خصبة ؛ وان هناك فرقاً بين ثمر الشجرة  
البرية ، وثمر الشجرة المفروسة التي يتهددها غلرسها بوسائط الغمام .

يا بني ؛ ان الاطفال الذين يعتنى بتربيتهم ، بحسن ما ألم ، ويجعل



مستقبلهم ؛ كما ان الأشجار التي يمتنى بها ثمر ثماراً طيبة .  
واذا كانت قيمة الانسان بأدائه واخلاقه ، جز أن نحكم بأن علم  
الأدب من اخص العلوم التي ترفع قيمة الشخص في هذا العالم الانساني .  
ما وهب الله لامرئ هبة أفضل من عقله ، ومن أدبه  
ها حياة الفنى ؛ فان فقدنا فقدناه للحياة ألبق به



# الباب الثاني

## « ١ - الأسرة »

الانسان مدني بالطبع ، لا يستطيع أن يعيش مفرداً ، لعجزه عن القيام بجميع لوازم الحياة . وإذا كان لا بد من اجتماعه بالآخرين ، كمن من واجبات القانون الأدبي مراعاة حقوقهم .

وأول دائرة من دوائر الاجتماع ، هي الأسرة (العائلة) التي تتركب من الأب ، والأم ، وأولادهما ؛ وهي أصيق دوائر الجمعية البشرية التي تسبق في هذه الحياة على مبدأ التعاون والتناصر ، وأبسط الجمعيات التي يتكوّن منها المجتمع الانساني .

والأسرة أمر من آثر النظام الطبيعي ، بدليل وجودها في الحيوان الأعجم ؛ الآن وظائف أعضائها ، تخالف وظائف أعضاء ما عداها من الأسر . فالطيور تغذي فراخها ، وتدافع عنها ، والذكر لا يفارق أنثاء مدة الحضانة ؛ وكلاهما لا يبعد عن وكره حتى تقدر تلك الافراخ على الطيران ، وتستقل بنفسها . ولكن ذلك كله ، لا يعادل ما يبذله الأبوان في تربيتك بحنان ، وشغفة ، ومحبة . واذن يجب عليك أن تعرف ما لها من الحقوق .

ورئيس الأسرة هو الأب ، وهو الذي تنسب اليه ، وهو المسئول عن معيشة أعضائها وسيرتهم ، وهو الذي يساعد زوجته على ان تكون شريكته في الحياة ، وان يساعدها ويرعاها وأولادها .

ما أشبه الأسرة بالجسم ، وما أشبه الأب بالرأس ، وليست واجبات الأب نحو ابناءه ، منحصرة في مآكلهم ومشربهم وملبسهم ؛ ولكنها تقاوم تهذيب طبائعهم ؛ وتقويم أخلاقهم . وإذا اقتضت الحال بعده عن أسرته ، عهد الى الأم في القيام بتلك الواجبات .

وأما الأم ؛ فوظيفتها من أشرف الوظائف ؛ لأنها هي التي تتعهد الابناء في أوّل عهدهم ، وتتولى تربيتهم الجسمية والنفسية في حداثة سنهم ، وهي التي ترسخ تعاليمها في نفوس ابنائها رسوخ النفس في الحجر . قبل ان ابراهيم لينكولن ، ( Lincoln ) رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، كان ابن رجل حطاب فقير ، وقد ترقى بجدته واجتهاده الى أعلى مركز في الحكومة . قال للوفود الذين وفدوا عليه بهتونة ينصبه : « لست أحقّ بللدع من والدتي التي أنا مدبر لها بكل شيء » .

نعم ان تعاليم الأم ترسم في مخيلة الصغار ، انسام القشور في الاحجار ؛ وهي أقدر على تهذيب الاطفال لمعرفة ما يطرأ عليهم في مختلف أطوارهم . ولذا كانت تربية البنات اساس ارتقاء الشعوب ، لأنهن أعضاء المدرسة الأولى ، مدرسة المنزل التي لا تنحى آثارها على مرّ العصور . وللأبوين كليهما رأى محترم في الأسرة . والأم تتنازع عن الأب

زيادة الثقة والاستعداد لتضحية راحتها وصحتها ، حرصاً على  
راحة ابنائها .

والأب يمتاز عنها بما له من السيطرة الطيبة على أعضاء الأسرة ،  
حفظاً لكرامتها ، وصيانة لثقتها .

ومن الواجب عليهم ، أن يمتثلوا لأوامره ، ويحترموا آراءه ؛  
ولأنهم الحق أيضاً في ابداء رأيها فيما يتعلق بشؤون الأسرة ؛ لأنها في  
مرتبة الأب ، ودرجتها الأدبية فوق كل الدرجات .

والأم هي التي تمثل الأرنياط المنزلي ، والمحبة الأهلية ، والواجبات  
التي تربط الرجل بمنزله ، وهي التي تهيئ أسباب السعادة والهناء .

والأب وكيل الهيئة الاجتماعية في أسرته ، وعليه اداء واجباتها  
التي ربما اختلطت أحد أبنائه ، وهو قرير العين ، ناعم البال ، ليؤدي  
خدماً أوسع مجالاً وأسمى اعتباراً . وهو الذي يفرس في نفس ابنه  
هذا ، وجوب انتظامه في سلك الجند عند طلبه ، يستعدّ للدفاع عن  
بلاده ، ولقنمه منذ نشأته أنه ليس خصيصاً بأسرته ، وإنما من  
الواجب عليه أن يستعدّ لتضحية روحه ، اذا حلّ خطب بالحرية أو  
سلامة الوطن .

وهل أنك حديث رواية هوراس ، (Horaces) تأليف الشهير  
كورنيل ( Corneille ) ؛ وخالصتها أن روما والألب ، كانتا مدينتين  
عظيمتين ، ومطلماً تنازعا المركز الأول بين سائر المدن ، فالتحقت

الآراء محافظة على السلم ، أن يصارع ثلاثة من الالب ، ثلاثة من روما ؛  
على ان يكون المركز الأول لمن يغلب متدبوها . فخرج في المناضلة  
الاولى متدوب الالب الثلاثة ، وقتل اثنان من متدبي روما وولى الثالث  
الأدبار ، فصاح الرومان صيحة مؤثرة انتزعت قلوبهم من صدورهم .  
فصرعت ( جولي ) احدى قريبات ( هوراس ) والده متدوبي رومة  
الثلاثة ، واخبرته بهزيم روما ونجاة ابنه الأصغر ، ونحيت أها حملت  
بشرى اليه . ولكن هوراس رأى ذلك خيانة من ابنه لوطه ، وجيلاً  
بالدفاع عنه . فاجابت جولي بأن ابنه قازم كل المقاومة ، واخوانه حيان ؛  
ولما أن رأى نفسه عاجزاً عن الدفاع امام الثلاثة الذين احاطوا به اساطة  
السوار بالمعصم ، تخلص بالحرب ، واسترسلت في الدفاع عنه بقوطها ؛  
وما الذي كان ينهه آزاء هؤلاء الخصوم الاشداء ؟ فلجأها هوراس  
بصوت جهوري : « كلن يجب أن يموت ! »

فهذا الصوت الرهيب ، الذي انبعث من أب جعل محبة الاوطان  
فوق محبة الابناء ، كان له أعظم تأثير في نفوس السامعين الذين شاهدوا  
تمثيل هذه الراوية على أحد المراسح العمومية ؛ فاستفرقوا في البكاء  
زمتاً طويلاً ولم نجف دموعهم ، حتى علموا ان ( جولي ) تعجلت بالخبز  
( هوراس ) بما يخالف الحقيقة ؛ وان ذلك الشاب احتال في قتل  
خصومه الثلاثة الذين اختلقت جراحاتهم ، بحيلهم يربه على اقتناء  
أثره واحداً واحداً ، وتمكنه من قتلهم على التعاقب ، والفرار بخنار

الاتصار . وما أعظم سرور ذلك الشيخ الذي أصم أذنيه عن سماع  
دفاع (جولي) ، وأنغمس عينه لثلا يشاهد دموع تلك الباكية !

« ٢ — واجبات الآباء للابناء . »

« الاهتاء المادى »

أول الواجبات الأبوية ، العناية بتربية ابنهم تربية جسدية .  
والآباء مدفوعون الى أداء هذا الواجب بمامل الختان الفطرى ؛ حتى  
الحيوان الأعجم مطبوع أيضاً على تعهد اولاده ، وهى سنة من السنن  
الإلهية التى اقتضاها عمران الكون . على ان صغار الحيوان ربما استطاعت  
الاستقلال ، والدفاع عن نفسها بعد بضعة أيام . أما الطفل ، فإنه  
محتاج الى تعهد فى جميع أطوار الطفولة .

ولا ريب ان الذى يؤدى جميع هذه الواجبات المتنوعة هى الأم ؛  
فهى التى ترضعه وترعاه ، وتولى نظافة جسمه وثيابه ؛ وهى التى تؤثر  
راحته على راحتها ، وتسهل حمله على يدها ساعة وساعت .

وهى التى ينظر قلبها وتنكب دموعها ، اذا اعتراه مرض من  
الأمراض . أما الأب ، فإنه يصرف اوقاته فى مباشرة اعماله التى يستمد  
منها ما يساعده على الحياة الطيبة ؛ وصلته بالطفل منحصرة فى عطفه  
عليه ، والقيام بشؤونه المادية .

ومن ذلك يؤخذ أن الطفل فى عهد طفولته من اختصاص أمه .

وذلك هو السرف في هذه الشفقة التي لا تُحَدّ ، وذلك الارتباط المكين الذي لا ينفصم .

فبأيها الأبناء ؛ تصوّروا على الدوام شفقة أمهاتكم ، وانصتوا لهم بحكم ، وتمهدوا لهم " إياكم في جميع أحوالكم ؛ واعترفوا بفضلهم واحترموهم " سرّاً وعلانية ، وصارعوا إلى تحقيق مطالبهم . إن الذين يرفعون حقوق أمهاتهم ولا يفسون فضلهم ، أولئك هم المقلّمون .

وإذا شبّ الطفل ، تجددت وتعددت واجبات أبيه له ، فمن ذلك ادخاله إليه المدرسة ، وتمهده بما يربّي فيه الميول الطيبة والنظر في مستقبله ، واختيار ما يلائمه من الأعمال ، واعداده للحياة الاستقلالية ، حتى إذا مات أبوه استطاع الولد أن يعيش عيشة راضية . لأنّما إذا فرضنا أن الطفل يخلف أباه الفلاح في مزرعته ، فأذا عمله إذا لم يكن أبوه قد علمه الفلاحة .

فأوجب على الطفل أن يزاول أي عمل من الأعمال ؛ حتى إذا أدى واجب الخدمة العسكرية بمونة والديهِ ، عاد واستمرّ في عمله إلى أن تتوفر لديه أسباب الحياة الحديثة ، وهناك يتسنى له أن يكفّر . أبويه اللذين ربياه تربية صحيحة ، وأحسنوا إليه — وهو في المهد — كل الأحسان ، وأن يريهما من مظاهر الاخلاص ما يشرح صدرهما . ما أجمل ذلك الخنوّ وأحلاه ! إن حنوّ الآباء ، واخلاص الأبناء .

قوام السعادة البيتية

## « الواجبات العقلية والأدبية »

من الواجبات الأبوية ، تربية الابناء تربية عقلية أدبية أيضاً ، لأن الهيئة الاجتماعية تطالب الأبوين بذلك ، ليكونوا من أعضائها الصحيحة . ولو كانت الواجبات الأبوية منحصرة في التربية الجسدية ، لأشبه الانسان سائر أنواع الحيوان التي تربي صغارها الى أن تشب فتتركها وشأنها .

ومبدأ هذه التربية دور التناهم . وقد اعتاد الأبووان أن يهدوا الطفل الى امرأة جاهلة ، لا تبت في ذهنه إلا انحرافات ، ولا تلتقي على مسامحة الأثرهات المتعلقة بالشعورين والشاطين ؛ فيشب الطفل على مبادئ فاسدة .

مع ان الواجب عليهما ألا يسندا تربية ابنائهما إلا الى مربيات قادرات على غرس المبادئ الصحيحة ؛ وعليهما أن يبينها الطفل في حداثة عهده الى أن ما نشاهده في هذا الكون من النظام العجيب ، انما هو نتيجة جريه على نوايس طبيعة صحيحة ، ولا بد أن يكون له منظم عظيم ، هو الله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ؛ قياساً على ان هذه المصنوعات المحسوسة لم توجد بنفسها .

وعليهما ان يوداه احترام الحقائق التي قررها العلماء ، ويرشدها الى فوائد العلوم المختلفة من طبيعة وكيمياء ، وتاريخ طبيعي ، وتاريخ



بشرى ، ورياضة واقتصاد سياسى ، وأدب وغير ذلك بحالة تناسب  
استعداده وإدراكه .

وعليهما أن يفرسا في نفع حب الوطن ، ويعلماه ما يجب عليه  
له ويفهماه ماله وما عليه من الحقوق الاجتماعية . كل ذلك في أول  
نشأته ليتمزج بالحمه ودمه .

وإذا جاء دور التعليم ، وجب على الأب أن يعلم ابنه في المدرسة  
تعلماً صحيحاً ، ولو كان محتاجاً الى مساعدته في أعماله اليومية ، أو  
كانت الأم بحاجة لمساعدة ابنها في التدبير المنزلى . لأن ذلك  
لا يدفع مذمة التصغير .

والواجب عليهما أن يعتقدوا ان لاحق لها في حرمان ابنها نعمة  
التعليم المفيد ، وهل يرضى الأب أن يشبّه ابنه جاهلاً عاجزاً عن  
الجولان في ميادين الحياة ، فيعيش عبثة الجهلاء المتكويرين الذين  
لا يقطنون ظمأ من يحاولون الاستفادة من جهالتهم .

من العادات المفسرة أن يحرم الأب ابنه التفرقة رغبة ان يستعين  
به في أعماله ، أو ان يهد تعليمه الى أى صانع ليحتج ثمره غرسه في  
المستقبل القريب . والواجب عليه أن يعلمه تعليماً مفيداً ، ليحيا حياة طيبة ،  
وليدرك معنى ما يشاهد من التقدم في جميع الطبقات وجميع الصنائع .  
عرفت فلاحين كانوا متجاورين ، وكان لكل منهما ابن ، وليس  
لأحدهما ثروة تساعد على تعليم ابنه تعليماً صحيحاً . فسد أحدهما

الى ابيه واخرجه من المدرسة ابتغاء أن يعاونه في اعماله الزراعية قبل ان يتقن القراءة والكتابة؛ فكانت النتيجة ان نسي ماتلعة ، وان عكف على اللهو واللعب في أوقات الفراغ ، حتى حلن ميعاد التجنيد فقضى مدته بين اعانة وعقاب ، لعدم استعداده لاداء واجباته بشكل يُرضى . وعاد الى أمه التي فقدت زوجها اثنا غيابه ، فأخذ يميلان بأجر زهيد ، وعاشا في عسر وعناء ، ولم يأسن له ان يقترن بإحدى الفتيات لامراضهن عنه لسوء حالته بعد كبره

أما الآخر ، فقد أمهل ابنه في المدرسة الى ان تاهز الرابعة عشرة ولما انتظم في سلك الجند ، أدنى واجباته بنائة ونشاط ؛ فترقى الى رتبة ملازم ومال الى الاستمرار ، فحاز رتبة عالية ، كما حلز وساماً على أمر جرحه في إحدى الوقائع الحربية ، وعاد بعد ذلك الى أبيه وله معاش غير يسير ، وله سيرة مرضية <sup>والمتفرد</sup> صفت كاجراً كان قريباً من منزله الى أن يتخذه كاتبه . ثم اقترن بإحدى الفتيات المهذبت ، وعاش عيشة السعداء ، واستعد لأن يهون أبو يريه عند عجزهما عن فلاحه الارض . أليس ذلك دليلاً كلفياً على فضل التعليم ؟

والواجب على الأب أيضاً ، أن يعيب الى ابنه كل فضيلة ، ويغض اليه كل رذيلة ؛ وأن يعوده بتنظيم العادات ، واحترام نفسه ومعاشره

وحسب الأب الذي يقصر في تربية ابنائه ، أن يكون له

في الجمعية البشرية أبناء أشرار .

طلب رجل من ( لوستيب ) الفيلسوف اليوناني ، أن يربي له  
أبناً ، فطلب الفيلسوف مالاً ثقيلاً على الرجل فقال له : يمكنك أن  
أشتري بهذا المقدار عبداً . فقال نعم ، فيكون عندك عبدان !

وحسب الأب الذي يعنى بأبنائه ، ان يكون له في المجتمع الانساني  
أبناء أبرار ، لم مكانة شيا في نفوس معاصريهم .

حكى ان فني تكلم بين يدي المأمون فأحسن في القول . فقال  
له : ابن من أنت ؟ قال : ابن الأدب يا أمير المؤمنين . فقال : نعم  
النسب انضبت اليه .

واقى هارون الرشيد علي بن حمزة الشهير بالكسائي إمام النحاة في  
عصره . فوقف بموكبه وتلطف في السؤال عن حاله ، وكان احتجب  
لرض فقال : أنا بغير يا أمير المؤمنين . ولو لم يكن من ثمرة الأدب  
غير ما وهب الله تعالى له من وقوف أمير المؤمنين لكنت ، ودعاه بالخير .  
وليس الغرض أن يكتب الأب بتقنين ابنائه المبادئ الطيبة ؛  
بل الواجب ان يكون لهم قدوة حسنة ، يعطيهم دروساً عملياً تهيئهم  
بأعماله . لأن الأطفال مطبوعون على التقليد ، ولا يتصورون الأ  
الكمال في آبلهم ؛ فيندفعون بعامل قطري الى محاكاةهم .

وقد حكى ان زعيم عصاية من النصوص في آخر القرن الماضي ،  
في جزيرة صقلية ، أصبح ذا ثروة طائلة بصرت له أن يعيش عبثاً

رخاء في منزله الذي لم يستطع احد الاهتداء اليه ، لأنه في قبة جبل  
شامخ . وأنه لما مال ميزان حياته ، كفر عن سيئاته بالانابة والطاعة ؛  
ولكنه كان على الدوام في كدر عظيم لاعتقاده ان ابنه وبهانة فؤاده  
وموضع آلامه ، سبقوا أمره ، ويكون من الاشرار . وقد رشح في  
نفسه هذا الاعتقاد بما استتجبه من هذه الحادثة ، اذ ضلّ فلاح في  
الجبل يوماً ، بعد ان اصطاد حيواناً لذلك الزعيم ؛ فلقبّه ابنه وأسرّه  
لمعاقبته على جرائمه . وما تنفس الصبح حتى أقبل ابن الفلاح يستعطف  
الزعيم ، ويرجو أن يخلد محل أبيه ، وان يقتص منه بعد كما يشاء ،  
لشيخة أبيه ، وعجزه عن احتمال العقاب ، وقال غير ذلك ؛ مما  
حلل الزعيم على أن يقارن بين هذه الحالة وبين حالة ابنه الذي عمّ  
بقتله منذ أيام ، فسأل الفلاح عما اتخذ من الوسائل في تربية ابنه هذه  
التربية التي وضعت في صفّ الانقياء الذين يعرفون حقوق الآباء .  
فأجاب الفلاح بأنه كان صالحاً قاندي به ابنه . وهناك أدرك الزعيم ،  
أن ابنه سيكون من الاشرار ؛ لأنه هو كان من الاشرار الفجار  
« ولا غرو ان يحذو النقي حذو والده »

### « ٣ - السلطة الأبوية »

الاستاذ - لِمَ تطيع والديك اذا أوصيك أن تمنع أعمالك  
المدرسية ، وتحترم معليك ، وتراعى الآداب مع الأجانب ، وتعامل

اخوانك بالوداعة وابن الجانب ، وتعطف على اليائسين ، وتحسن الى  
الفقراء وغير ذلك من مكارم الاخلاق ؟

ولم تطيعهما اذا ارشداك الى مجاهدة الضوضاء في الفصل ،  
والكذب ، وايذاء زملائك ، والامراض مما ليس لك ، وغير ذلك  
من الصفات المرذولة ؟

التلميذ — لآثي أعتقد ان وصايا الأبوين ، انما ترجع الى الخير  
الذي يحثني على عمله الصير .

الاستاذ — نعم ؛ ولم تطيعهما اذا أمرتك أن تعمل عملاً مباحاً ،  
كأن أمرتك أبوك ان توصل خطاباً الى مكتب البريد ، أو أمرتك أمك  
أن ترقب المنزل اثناء غيابها عنه حتى تعود ؛ أو تطيعهما لأن في  
قدرتهما أن يعاقبك ويتردك ، كما يعاقبان ويتردان الخدمة الذين  
لا يفعلون ما يؤمرون .

التلميذ — كلا ؛ ان طاعتى اياهما مبنية على انها سبب وجودى في  
هذه الحياة ، وان لها الفضل العظيم في تربيته تربية جسمية وعقلية .

الاستاذ — قد أصبت يا بنى ؛ لأن من الواجب على الطفل أن  
يخضع ارادته لارادة والديه ؛ وان يعرف ان حياته مرتبطة بحياتهما ،  
ارتباط حياة الفرع بحياة الأصل الذى ينبت بجانبه ؛ وان يراعى ذلك  
الشعور الشريف الذى يدفعها الى تعبه ، والمبادرة الى اجابة مطالبه .  
وتلك هي الشفقة الراقرة التى يمثّلها أجل تمثيل اذا صادته شائبة من

الشوائب ؛ وان يستحضر في ذهنه على الفوام ، ان ليس في معاشريه  
من يحب له الظهور والسعادة حياً صحيحاً إلا أبواه اللذان يسعدان  
بسعادته ، ويشقيان بشقوته .

يجب على الولد ان يفهم كل هذه المعاني ؛ وان يطيعها اطاعة  
جسمية وقلبية ؛ وان يخلص لما في السر والعلان ؛ وان يعمل بنصائحها  
وان يعتمد كل الاعتماد ان الفوز والفلاح في امثال اوامرهما ، والخيبة  
والطمران في مخالفتها .

ولقد رأيت ولداً يتراوح سنه بين عشر سنوات ، واثنى عشرة  
سنة ؛ خرج وقت الأصيل رغبة أن يلعب مع دقاته في المرج ،  
وخالف أمه التي أمرته أن يأخذ رداً مخافة البرد . فكانت النتيجة  
أنه مرض بعد ثلاثة أيام ، وكاد يذهب فريسة الهوى . . . ؛ ولما بلغ  
الثلاثة عشرة من عمره ، خالف أيضاً أباه الذي أراد أن يخلفه في عمله ،  
وسافر الى بليريس ابتغاء ان يمارس صناعة أرفع من صناعة أبيه ؛ فبا ،  
بعد ثلاث سنين بانجليزية ، وقد أضوتت الحال والامراض ، وأصبح  
محتاجاً أولاً لاكتساب الصحة التي توقفت عليها شروعه في عمل من  
الأعمال . هذه نتيجة مخالفة الوالدين ، والامتخاف بنصائحهما .  
فأيها الابناء ؛ اتبعوا الواسر والديكم ، واجتنبوا نواهيهم ، واصفروا  
لنصائحهم ، ولا تستخفوا بأوامرهم تنوزوا فوراً عظيماً .

ولقد كان الاب مشيراً في شريعة اليونان والرومان ، ( منذ ألقى

سنة ) ككلمات المطابق لابنه ؛ ولذلك كان له الحق ان يعاقبه بالسجن والضرب اذا وجد انه غير مستقيم ، وانه لا يستحق التحل باسم أسرته ؛ بل كان له الحق بقتله في أحوال مخصوصة . من ذلك ان القائد الروماني مايلينس ( Maximian ) حكم على ابنه بالاعدام ، لأنه حارب العدو وخالف أمر أبيه ، ولم يشفع له انتصاره عليه ؛ وان القنصل الروماني بريطيس ( Brutus ) حكم على ابنه بالقتل ، لأنه خان الوطن . وقد صدر الحكم من الأول باعتباره قائداً . ومن الثاني باعتباره حاكماً . أما في هذا العهد ، فالأب ان يعاقب ابنه بما لا يقضى الى التلاف عضو من أعضائه ؛ وله ان يزجيه في سجن الأحداث وان يجبهه اذا لم يمتثل ، وله وحده ان يفوم اهوجاجه والقانون الفرنسي يعترف بالسلطة الأبوية في احوال كثيرة أخرى .

فقط في الحادية والعشرين يكون حرراً في عمله ؛ ولكن ليس له ان يتزوج ، قيل أن يناهز العلامه والعشرين ، الأ بموافقة أبيه .

فإذا ما تجاوز هذا الحد ، فلا يخضع لأبيه بواسطة القانون الوضعي أو الشرطة ؛ بل بشعوره النفسي الذي يصور له ما بينه وبين أبيه من العلائق المحترمة ، وما عليه له من الحقوق المقدسة التي لا يدركها تمام الإدراك إلا اذا صار رجلاً كدلاً .

## ٤ — احترام الوالدين

من الآباء من يخالف والديه ولا يحترم رأيهما ، وهو غخط في ذلك خطأ عظيماً . . . لأنه فضلاً عن استغلاله بظلمها واستتاعه بنعمها ولا يدرك ادراكهما ، ولم يكنسب من التجارب ما اكتسبها .  
فلواجب إذن على الآباء ، أن يطعموا والديهم طاهراً وباطناً ، طاعة صادرة عن شعور صحيح ، مقرونة بالمحبة والاحترام . ان احترام الوالدين أول شعور ينبعث في القاب الطاهر . هل تعرف حقيقة الاحترام ؟  
متى أقبل الليل وآنتت ضياء الكواكب النشور عقدها فوق رأسك التي تمزق حجاب الظلمة ، كأنها عيون ترقبك من الملاء الأعلى ؛  
ومتى ساد السكون على الأرض وهدأ الكون ؛ ألا تشعر بأن رعدة أخذتلك . اذا فكرت في الحياة الباقية المتعلقة بهذه الافلاك ، المتعير كل منها شمساً ؛ ألا ترى نفسك صغيراً في نهاية صفرك ، متأثراً بهذه المناظر العديدة ؛ ألا تهرّ بقدرة الوجد لهذه المعجائب ، ألا تكون على أعبء الركوع على ركبتيك وحيونك مستهيرة ، خاشعاً متصدعاً من خشية الله ؟ هذا الاحترام هو الاحترام الديني بمعناه الأسمى .

ومتى رأيت شيخاً يكسوه الوقر وتعلوه المهابة ، وعلى صدره الوسام الأحمر ، عنوان الشرف ؛ وقيل لك هذا جندي جرح في



حرب في سبيل الدفع عن بلاده ؛ لو هذا طيب يخاطر بنفسه في  
الرياء رغبة ان يتخذ ابنا جنسه ؛ وعلقت ان حياة ذلك الرجل وقوفه  
على اسداء الميراث لبني الانسان ؛ ورأيتُه محفوظاً بصنوف التجارة  
والاحترام . أما تندفع بعلم نفسه الى احترامه والوقوف حتى يمر  
ذلك الوطني ؟ هذا الاحترام أيضاً هو ( احترام أدبي ) ، يعنى في  
النفس منظر الفضيلة . وقد قال الفيلسوف كانت : ( Kant ) « شيطان  
يملآن النفس احتراماً واعجاباً ، منظر السماء ذات البروج ، والحذو  
الأدبي الذي يملأ النفوس سروراً وإعجاباً ،

فلاحترام الواجب لوالمديك ، هو الاحترام البنوي ؛ فاحل  
هذين الشعورين لأبيك وأمك ، فلهما أحق بمراعاة واجب الله نحوهما ،  
لأنهما سبب الحياة ، فاكرامهما أوكد وأوجب من اكرام ذلك  
الجندى وذلك الطيب ، إذ ضحيا أنفسهما أكثر من ذلك .

ان الأم التي لا تهاب المرض في العناية بولدها ، والأب الذي  
يشغل طول حياته بحجة ان يدخر لابنائه ما يرثه عيشهما ، لأحق  
بالاحترام والاجلال من كل فرد سواء ، ولو كان جاهلاً ؛ لأن قيمته  
ازاكثر ليست مرتبطة بالعلم ، ولكنها مرتبطة بالعناية العظيمة التي  
شغلك بها .

ان الابناء الذين يقابلون — بعد يسارم — أبائهم الشيوخ ،  
الذين ربوهم وأبلغوهم الى هذا الحد ، بالاساءة والاستنكار ؛ هم الابناء

الأولياء الذين يلتمسهم الله ويلتمسهم اللاعنون .  
أما الأبناء الفضلاء ، فأنهم وإن علت أقدارهم وارتفع شأنهم  
لا يتجلبون من وكرم الأول الذي درجوا منه ؛ بل يكون قاعدة  
فخرهم وحببة نبوغهم يعودون إلى والديهم ؛ يحصلون أكابيل الشرف  
الأسنى التي حصلوا عليها ، فيصبح ذلك العش عامراً بالفضل ، وقد  
خلت منه القصور الشاهقات .

### « ٥ — الاعتراف بحميل الوالدين »

إذا دعاك بملك لتجوال في مزرعتي وأهداك من ثمارها ؛ وجب  
أن تشكره حسن صنعه . وإذا اعتاد أن يتحنك بالهدايا ؛ وجب أن  
تعترف له بالجليل ؛ وإن اعتبره ذا حق عليك ، وإن توجب على  
نفسك أداء مطالبه ، وإن تخدمه ولو بمنع رفاقك عن رمي أشجاره  
بالأحجار ؛ والأعتبرت في نظر الملا ، منكرًا للجليل . وانكسر  
الجليل من الصعقات المرذولة التي يجب على الإنسان أن يتطهر منها .  
نعم ؛ لأن من التواجب على المرء أن يقابل الجليل بالجليل ، وإن يعتبر  
نفسه مديناً لمن يسدى إليه مرفقاً .

فإذا فرضنا أن حبيباً التاجر ، ليست أعماله منتظمة ، وإن عليه  
دبرقاً طائلة ، وإنه إذا لم يدرك بالساعة وقع في شدة . . . وفرضنا أن  
له صديقاً اسمه (علي) ، أقرضه ألف دينار وأنجاه من تلك الشدة .

فلواجب على حسين في هذه الصورة ، ليس منحصرآ في اداء ألف الدينار ؛ بل الواجب عليه ان يساعد صديقه عيناً أيضاً ، اذا صادف ما يستوجب المساعدة ؛ والأآن مكرآً للجليل ، آآآآ في نظر القانون الأدبي ، بجرماً واحداً أمام القانون الوضعي ، اذا توقف في اداء ذلك الدين واذا كلن من الواجب الاعتراف بالجليل ، وبمجازاة الاحسان بالاحسان ؛ فأجدد بالانسان ان يقابل بالاحسان احسان والديه اللذين تركا له ثمة اقتصادهما ، وخلصا أعمالهما في حياتهما ؛ وان يتذكر لها فضلها في تربيته الجسمية والنفسية ، وارشاده الى مصاحبة الفضيلة ، وبجانية الرذيلة ؛ وان يلهمج على الدوام بمحدهما والثنا عليهما ؛ والآ يتأثر منها اذا رميا بكلمة قاسية . وليت شعري ، ما مقدار هذه الكرامة في جانب هذه الفواضل الجزيلة ، التي أقاضاها عليه في أدوار حياته . ان الولد الذي لا يعترف بواجبات بوالديه ، ولا يتدفع بشعوره الى ادائها ؛ لا يرجي منه خير لوطن ، ولا للهشة الاجتماعية وهل يتصور ان يكون أي انسان عادلاً ، أو نافعاً ، اذا لم يكن عادلاً نحو أمه وأبيه ؟

والطاعة ، والاحترام ، والاعتراف بالجليل ؛ كل ذلك يجب ان يكون مقروناً بالحببة القلبية ؛ على ان هذه الحببة فطرية ، تتوقف على ارادة الانسان . لأن الولد - ان لم يشعر في دور الطفولة بأنه متجذب بجيل طبيعي الى ذبئك الثغرين الباسمين ، المشوبين عطفاً وحناناً -

لا ريب أن يشعر بذلك إذا شبّ . وكلما نما ، ازداد ادراكه بقدر ما أولى من الاحسان ؛ حتى اذا بلغ أشده ، نحوّلت محبة لأهل شقّة على ابائِهِ ؛ فيعمل لمعادتهم ، كما كان أبواه يعملان لمعادتِهِ .

## ٦ - واجبات الأولاد نحو أنفسهم »

الاستاذ - ألك اخوة يا حسن ؟

التلميذ - نعم ؛ لي أخ يناهز التاسعة عشرة ، وقد انتظم في سلك البحرين المشاة هذا العام . ولي أيضاً أخت سنّها ست سنوات ، وستدخل المدرسة في العام للقبيل .

الاستاذ - أحبهما ؟

التلميذ - نعم ؛ أحبهما حباً جيّداً .

الاستاذ - ولمّ يا بني ؟

التلميذ - يا سيدي ؛ هل الاخوة يباغضون ؟

الاستاذ - نعم ؛ في الاخوة من يتحرّد من العواطف الشريفة ، فيكون الى الوحش أقرب منه الى الانسان ؛ وهل تعرف منشأ تحابّ الاخوة ؟

التلميذ - لا أستطيع ان أشرح ذلك شرحاً وافياً ، وربما كان السبب أنهم من أسرة واحدة .

الاستاذ - لعلك تريد أنهم ولدوا من أب واحد ، وأم واحدة ، -

وأهم بذلك يشابهون فروع الشجرة الواحدة ، وإن ذلك يستتبع  
توادم والتلافهم .

نعم ؛ ولكن ليس ذلك كلّ السبب ، لأن هناك رابطة قرينة  
أخرى ؛ هي الرابطة القلبية المبينة على أن كلا الآخرين ، كجزء من  
دم الوالدين . فهي أساس ما تشاهد من تعاب الأخوة وتعاطفهم ؛  
وهي مرجع ما يكون من تشابههم في الوجوه والطباع .

وقد تختلف ميولهم فيتأفرون ؛ لأن انحصار الأفراد في شعورهم  
نحو شيء من الأشياء ، يستتبع توادم والعكس بالعكس .

على أن هناك داعياً آخر لتواد الأخوة ، وهو مراعاة احساس  
والديهم اللذين يحزنهما تنافر أبنائها .

التليذ - ياسيدي ؛ غاب عنا شيء .

الاستاذ - ما هو ؟

التليذ - لم لا تكون القرابة وحدها ، كافية لأنحاء أبناء الأسرة  
الواحدة في المشارب والميول ، لضرورة ان المحالطة والمعاشرة  
تستوجبان ذلك ؟

الاستاذ - هلاً أوردت مثلاً أوضح ؟

التليذ - إذا دخل الانسان المدرسة ، شاهد من البنين والبنات  
من لم يرتبط بهم قبلاً ؛ ولا يلبث قليلاً ، حتى يتجذب اليهم بمخاطبات  
المعاشرة ، ويرتبط بهم كل الارتباط ، فيداعبهم ويحافهم ؛

فيما طفتون ويتزاوون . وإذا كان ذلك نتيجة هذه المصاحبة الموجزة ،  
فأحرى أن تكون المخالطة الدائمة ، والمعايشة المستمرة ، داعية  
لتوكيد روابط الألفة بين الأخوة .

وكيف يرتبط الانسان بالأجنبي ، برابطة المحبة ؟ ولا يرتبط  
بهذه الرابطة بأخيه .

الاستاذ — ما أقوى برهانك يا بنى ! وهل تحب أخاك الأكبر ،  
وأختك الصغرى بمقدار واحد ؟

التلميذ — كلاً ! أنا أصغى لصوت أخى الأكبر وسنى اثنا عشرة  
سنة ، وأفعل ما يأمرني به ، وعندى له شئ من شعور الاحترام الذى  
أحمله لأبى وأمى ؛ على أن اتناسى به ، أكثر من اتناسى بوالدى .  
فقد أقص عليه ما أفعل وما أشاهد ، وأطلعته على أحوالى ، وأخبره  
بأخبارى المدرسية ، وأتلق بالبشر نصائحهم المفيدة . وأنا بالنسبة لأختى  
الصغرى مثله بالنسبة لى . فإذا مهدت أبى الى أن أروضها توخيت  
أسباب رضاها وسرورها ، ووضعت نفسى موضع أبى العطف لزلتها .  
وهكذا يجب على الأخوة والأخوات أن يتآلفوا ويتعاطفوا ، ويتعاونوا  
على حسب استعدادهم وأعمارهم . فالكبار يعطفون على الصغار ،  
ويعاملونهم بالشفقة والرحمة ، ويتولون تربيتهم وتهذيبهم عند سمات  
والدهم ؛ وعلى الصغار أن يقابلوا ذلك بالشكر والمحبة والاحترام وهل  
فى الكبار من يخصص بالرأسة بعد أبيه ، ويستأثر بالقوة بإسبدي ؟

الاستاذ - نعم يا بني ؛ ولكن ذلك ظلم مبین . والواجب على الأب ان يوزع على بنيه ثروته بالعدل ، سواء كانت موروثه او مكتسبة بجهده وعمله . والواجب على دعاة المساواة بين الناس في المجتمع الانساني ، ان يطلبوا تساوى افراد الاسرة

يجب على كبير الاسرة ان يسهر على صغارها ، ويحبيهم من الاخطار المحدقة بهم ، ويسعى الاجمال لسعادتهم في الحال والاستقبال . وهناك عبارة تتضمن معنى شتى مرتبطة بما اردته على سمعك ، لرجل ليث في السحن ستين عديدة وهو يرى . وقد عرفه سحنه قيمة الاسرة التي حرما ( نحن أبناء أب واحد ، وأم واحدة ، وقد انحدنا في الدم ، ونشابهنا في كثير من العادات ، فلم لا نآلف ونعاطف ) كن كريماً في علاقتك الاخوية ؛ واذا اقررت احدهم ذنباً ، فقا به بالصفح والعطف ؛ وما اخرى أن تكون شفقتك على اخوتك ، أوفر من شفقتك على الاجنبى . ان مخالفتك اخوتك لا تنافى ما يجب عليك من مراعاة الآداب معهم . فواظب على تعزيتهم وتسليتهم في أحزانهم ، وأحسن معاملتهم . ان الذين لا يعاملون اخوتهم معاملة حسنة ، بالعطف والرحمة والحنان ، اولئك هم الناسرون اعمالا .

### « ٧ - واجبات الاطفال في المدرسة »

ليس في وسع الآباء ان يعمدوا أبناءهم بالتربية العقلية الى ان

يكونوا رجالاً عاملين في مجال الحياة ؛ ولذلك يدخلونهم المدرسة . وما هي المدرسة ؟

أهي المحل المقدس الذي يستفيد الانسان فيه ما يرقوه ؟ أهي محل تعليم القراءة ، والكتابة ، والحساب ونحو ذلك ؟ نعم ؛ ولكن يجب تصورها بأنها مطلع شمس النضيلة ، ومشرق نور العرفان ، والمهد العظيم الذي يعتبر المنزل ركناً من أركانه ؛ والذي تشرف فيه عناية المرين على الناشئين ، اشراف عناية آبائهم وأمهاتهم المرين الاولين . هي المعهد الذي يهد الأب فيه الى المعلم تربية ابنه وتهذيبه على قاعدة انه نائب عنه ؛ مما يجعل للابناء على المعلمين حقوقاً محترمة ، ويجعل لهمولاء . على الابناء حقوق الآباء المقدسة .

هي المعهد الذي يجتمع فيه الناشئون أشرف اجتماع ؛ فيمثلون الاخوة . تشملهم دار واحدة ، كأسرة واحدة .

ومن أخص واجبات المدرسة ، ان تهى " الناشئ " لأن يكون من رجال الهند الفضلاء ، الذين لا يجهلون ما يجب عليهم نحو أوطانهم . لأن المعلم نائب عن الأب في تربية عواطف الشرف في الطفل ، نائبه في العدل ، نائبه في الحرية .

وليس من المقبول ان تشكل المدرسة على الترية المنزلية ، أو تهمل ان تلقى الدروس التهديبية على التلاميذ الذين سيستد اليهم في الهند جلائل الاعمال .



وعلى المعلم ان يراعى استعداد التلاميذ ، وأخلاقهم وميولهم ؛  
وان يعاملهم معاملة حسنة على قاعدة العدل والمساواة ؛ وان يتذكر  
على الدوام انهم ودائع الآباء ، وان الودائع جديرة بالصيانة ، خليفة  
بلاحتفاظ . وعليه ان يرفق بهم ، وان يلاحظ ان تقرير السلطة  
الأبوية ، مبنى على وجوب استعمالها بالحكمة والاعتدال .

فاذا كان المعلمين من السلطة ما للآباء ، باختيار انهم وكلاء ؛  
فاواجب عليهم ان يتصرفوا فيها تصرفاً محموداً .

وعلى المعلم ان يجمع الى التربية العلمية ، التربية الاخلاقية ؛ وان  
يعتقد ان الاقتصار على الأولى ، ليس كل الواجب .

نعم ؛ عليه ان يفرس في نفوسهم المبادئ الشريفة من حب  
الوطن واحترامه ، وحب الأسرة واحترامها ، ونحو ذلك مما يحقق  
رغائب آبتهم الذين وكلوا اليه أمر تربيتهم .

ان العلم أقوى مربٍ للشبية الوطنية . فاذا راعى السادة المعلمون  
هذه المبادئ القومية ، فلا ريب ان تصل مصر الى ما ترمى اليه في  
المستقبل القريب .

وليس على التلاميذ للمعلم واجب الطاعة فقط ؛ بل عليهم ان  
يحترموه ويخلصوا له ، احترامهم واختلاصهم لآبتهم .

وليت شعري أيها التلاميذ ، من أحنُّ بالاحترام والاختلاص من  
رجل وقف حياته على تهذيبكم ، واعدادكم للدخول في مصاف الرجال .

من أولى بالهبة من ذلك الرجل الذي يكشفكم بأسرار الحياة ،  
فأتمنوا مواقع الزلل - من المتعسر ان يتعلم الانسان بلا مقدسة -  
فما أشقى امرأ مرّت عليه دوائر السنين ، ولم يسترشد بعلم ؛ فهو في  
الاقامة غريب ، وفي الاسفار ضال ؛ يدفعه جهل الى الاستغناء عن  
الطريق ، ويضعه موضع الاستخفاف والازدراء . واذا اقتضت الحال  
مكاتبه أهله البعيدين عنه ، استعان بأحد المعلمين .

وانطلاصه ، ان الرجل الواجب احترامه احترام الآله ، هو المعلم .  
فالعلم أب ثان

وعلى الأمة أيضاً أن تلتفت ما يقوم به المعلمون من تقوية مدارك  
الناشئين ، وتهذيب نفوسهم ؛ فتحترمهم وتؤدّي لهم حقوقهم .  
فلا تكونوا أيها الابناء كالخفي الذين ينكرون فضل المعلمين ،  
ويعصون أوامرهم ؛ أو الكسالى الذين يستمرّتون البلادة ، ولا يبالون  
ما ينالهم من العقاب الخالي ؛ على ان عقابهم الدائم جهاهم المضل .

ألا وان السنوات الاربع التي تقضيها أيها التلميذ في التعليم  
الأدبي ؛ لا تكفي لاعدادك للعمل في دائرة الحياة . والواجب أن  
تقضى الثلاث العشرة المقبلة في تعلم صناعة ، أو مرزولة تجارة ، أو نحو  
ذلك .

واذا لم تستند من زمناك في المدرسة ، فتكبر وتبقى مدة عمرك  
غريباً في بحر الجهالة .

وإذا كانت المدرسة كالأُسرة ، فما أوجب ان تعامل رفاقك  
التلاميذ معاملة الاخوة . فثمن لم تربطك بهم رابطة القرابة ، فإن بينك  
ويشهم من روابط الجنسية والوطنية والمباشرة ، ما يستوجب ذلك .  
وما أجدر ان تلتزم الآداب من الصدق ، ولين الجانب ،  
والعدل والإيثار ، وتجنب التفاضل ، من الكذب والحسد ، والعداء  
وتوبيخ الخواطر .

ومن الواجب ان تتقن عملك ، وتقبل على دروسك كل الاقبال ؛  
وان تزاوِل الألعاب الرياضية عقب الفراغ من أعمالك المدرسية ، لما  
فيها من تجديد النشاط ، وتقوية العضلات . وإذا اعتدى أحدكم على  
آخر ، فاصلحوا بينها بالعدل ، واحرصوا على توكيد الروابط وتوثيق  
العلاقات « ولا تنازعوا ففشلوا وتذهب ريحكم »

### « ٨ - الخدم »

نشاهد أيها الطفل ، في مجموع الأسرة أفراداً غير أهلك وأهلك ،  
واخوتك واخوانك . هؤلاء هم الخدم ، الذين يستخدمهم الأبرار  
لمساعدة الأم في التدبير المنزلي ، أو الأب في أعماله الخارجية المتنوعة .  
وكانت هذه الاعمال في سالف الزمن (في دولتي الرومان واليونان)  
من أعمال الأرقاء الذين كانوا يملكون بالشراء . وكان من لوازم ذلك ،  
ان يكون ابناؤهم ملكاً لساكنهم الذين كانوا يرأفون بهم أو يقسون

عليهم بحسب غرائزهم . ولذلك قيل ان رومانياً من ذوى الجاه ، كان يفتون نوعاً من السمك بمحاث العبيد عند بلوغهم من الشيخوخة ، او عند مرضهم وعدم الانتفاع بهم . ولكن بظهور الدين المسيحى فى تلك البلاد ، ألغيت العبودية ، او خفت وطأتها . وكانت فى المستعمرات الفرنسية الى ان ألغتها قوانين الثورة الكبرى . وقد استدرك أحد نواب الامة ، عند المناقشة فى هذه المسئلة ان ملاك الاراضى بالمستعمرات ، فقدوا كل معالمهم ، وان ثروتهم أشرفت على الضياع . فأجابوه عضو آخر .

« ان ضياع المستعمرات بأسرها ، خير من بقاء هذا المبدأ »  
اما فى هذا العصر ، فقد حرم بيع الرقيق ، وهو مبدأ الأمم المتعدية ؛ وفى مقدمتهن "مصر التى من مبادئها اعتبار كل من وطئ أرضها حراً" ، والاستعداد لحمايته بقوتها وقضائها .  
فليس فى الوقت الحاضر من يشبه أولئك العبيد . ذلك لأن النظم ، إنما يخدمون من يريدون إرادتهم ، ويتقنون او يتفصلون بحسب رغبتهم ؛ فهم يشابهون الرمال الذين يسلمون فى أحد المعامل بأجر معلوم ، مع التمتع بحريتهم ، وعدم مطاوعة مخدميهم ، فبما يخرج عن دائرة الخدمة .

والخدم هم الذين وضعوا أنفسهم تحت سلطة مخدميهم بإرادتهم ؛ فكأنهم تعاقدوا معهم ، على ان يكون الأجر من جانب المخدمين ؛

والطاعة والاخلاص والاحترام ، من جانبهم .

وحينئذٍ ؛ يجب عليهم ان يطيعوهم ، وان يذكروا ان اتصالم بالبيوت ، لا ينحصر في استحقاق اجورهم ؛ بل يجعل لهم فيها مراكز مخصوصة . فيكون لهم ما لها ، وعليهم ما عليها . وذلك يستوجب ان يتحدوا مع مخدوميهم في الشعور ؛ وان يخلصوا لهم اخلاصهم لأبنهم ، وبذلك ترتفع قيمتهم في نظر معاشريهم . وفي كل علم يمنح مجمع العلماء الفرنسي ، جوائز الفضية لمن يستحقونها من الخدم وغيرهم .  
واليك ترويج خادمة أمينة ، منحها ذلك المجمع جائزة الفضية في سنة ١٨٣٧ :

كان رجل خياط ابنة اسمها جستين ، ( Justine ) اضطرت وهي في سن العشرين نادمة سيدة في مدينة فرساي ؛ وكان لهذه السيدة بنت .

فانضمت جستين اليها وتولت جميعاً العناية بشأها ؛ وبعد قليل اضطرها المرض الى ان تسافر مع بنتها الى باريس ، فبعثتها جستين ، فسكنت غرفة تناسب أعمارهن ، واشتغلن جميعاً بالتطريز . وكانت جستين تلاحظ ما كانتا فيه من العز والمجد ، وما آكل اليه أمرهما من العسر والشدة ؛ فنبعث بمواظف شريفة الى الاحتذاء بهما ، وتدير شؤونهما ؛ كما كانت تعطيهما ما تكسبه بعد اشتغالها عند مطرز آخر زاد في أجرها . وما زالت مواظبة على العناية بهما ،

والاعتصام بحبل ولائها ، وهي تشر ان سعادتها في ارتياحها ، ولو  
أفضى الى مواصلة ليها في العمل بنهارها . حتى لقد أعرضت عما عرض  
لها من العمل المنيد ، والزوج السعيد ؛ مما دفع السيدة الى ان تحب  
اليها قبول هذا وذاك . نعم ؛ أعرضت حنين ، وأعلنت لسيدتها ان  
حياتها مرتبطة بحياتها ؛ وان حفيًا متعلق بحفظها . وان من الواجب  
عليها ، ان تقاسمها ما يعانين من متاع الحياة ؛ الى غير ذلك مما  
مثل اخلاصها أجل تثيل . وفي سنة ١٨١٦ اعترى سيدتها داء  
عيا ، لزمها ستة أشهر ، طالت فيها ما عانت من الآلام ؛ ومع ذلك  
لم ينطق شعور حنين الشريف ؛ بل كانت تعمل في النهار ابتغاء  
ان تكسب ما يساعدها على مواصلة سيدتها ، وتتولى في الليل رعايتها ،  
على نحو ما يشاء الحب والإخلاص . واستمرت على ذلك الى أن  
توفيت تلك السيدة ، فتولت رعاية بنتها ، وقامت بجميع حاجاتها .  
هذا الاحساس الشريف ، يبعث بالسيدة في حياتها ، الى ان تدفع  
فضل هذه الخادمة ، وتتعترف بفضلها ، مما لفت نظر المجمع العلمي  
اليها ، ودفعه الى ايجازتها . واذا كلن على الخدم واجبات للأولاد ،  
فلن على هؤلاء أيضاً لهم واجبات . فلا يجوز للأبناء ان يتصوروا  
ان الخدم أحط منهم ، أو أنت يستعبدوم لأنهم وضعوا أنفسهم  
للخدمة لا للاسترقاق ؛ وعليهم ايضاً ألا يخاطبوا الأبقدر الحاجة ،  
لتلا نسرى طباعهم اليهم .

## « ٩ - الحيوان »

تشارك مع الانسان في هذه الحياة مخلوقات أصغر منها شأماً ؛  
ولكن لها مراكز عظيمة في المنازل والمزارع : وهي أنواع الحيوان ،  
واكثرها اختلاطاً به الكلب والمرت الأذنان يلازمان الأسر ؛ فيكادان  
يصلان منها . وقد اعتاد الآباء ان يمدبوا الحيوان ، وهي رذيلة من  
الرذائل ، لما فيها من الظلم ، وتدريب الحيوانات على الأذى لأن  
المرت الذي يستغزاه الطفل ، ربما ضربه ، ففقاً عينيه ؛ والكلب الذي  
يوجهه ، ربما أصبح عقوراً .

وإذا كان لما ان نتفع بالحيوان ، فليس لنا ان نعذبها ، لنا ان  
نستعمل الثيران في الحرث ، والابل والبغال والخير للركوب والزينة  
وهلم جراً ؛ وليس لنا غير ذلك .

من الصعب ان نبحث الحيوان ؛ ولسكن اذا كان ذلك داعياً  
تلير ، جز كما جاز ذبح الظروف لوقاية آكله من الموت ؛ لأنهم أرق  
منه في هذا الكون . وذلك لا ينافي ما يجب من الشفاق عليها ،  
والعناية بشأنها ؛ لأنها وإن كانت مخلوقات أصغر شأماً من الانسان  
الكامل ، فليست أصغر من الانسان الفاسق . وهو ما أجاب به  
الفيلسوف لافونتين ، زعماء ديكلرت - فيلسوف القرن السابع  
عشر - الذي كان يعتبر الحيوان آلات مجردة من الاحساس .

والقانون المصرى يحصى أنواع الحيوانات ، ولا يعتبرها مجرد آلات ، بدليل انه يحظر على الفلاح أن يقسو على دوايه .  
وإخلاصة إن للشخص أن يتصرف فى حيوانه ؛ ولكن ليس له أن يعذبه ، أو يعذب غيره مما لا علاقة له به ؛ ولأى فرد الحق فى أن يفت نظر الشرطة ، اذا وقعت برأى منه قسوة من أحد الافراد على الحيوان .

من الرذائل أن يهدم الصيغان أعشاش الطيور ، أو يكسروا بيضها ؛ وليس سبب ذلك أن الطيور لا تؤذيها - ومن اللائق ألا تؤذيها - بل لأنها تأكل كثيراً من الحشرات الضارة أيضاً .  
فى إنجلترا ، أمر جاك الثانى أن تجمع العصافير ، ووضع لذلك الجوائز ؛ فخلت الجزيرة منها فى زمن قريب . فكثرت الحشرات ، وترتب على ذلك تلف الزروع . فاضطرت الحكومة الى التاء هذا المبدأ واستهضت الجمهور الى جمع العصافير ، فكانوا يشترونها بأثمان غالية .  
حكى أن فيكتور هوجو الشاعر الفرنسى العظيم ، رأى ضفدعة قبيحة المنظر ، مغطاة بالأوساخ ، تستشق الهواء ذات ليله على قرعة الطريق ؛ ورأى أربعة تلاميذ يطاردونها ويؤذونها ، ويحاولون قتلها . فطلق بهذه الجملة المؤثرة : ما أقسى الانسان طفلاً .



## « ١٠ - روح الأسرة »

أفضنا الكلام في موضوع الأسرة ، وأبنا ما يتعلق بالأب والأم ،  
والاولاد والقدم ، وسائر من يرتبطون بالطفل في المنزل والمدرسة .  
ومن الواجب أن نشرح ما يتعلق بالأبوين الأبديين وهما :  
الجد والجدة ؛ من وجوب احترامهما ، والتطوع لهما ، ووضعها  
موضع الأبوين الأقربين ، ومعاملتها بالشفقة والرأفة المقرونة بالاحترام ،  
لشيخوختها وضعفها .

ومن الواجب اعتبار العم والعمة ، بمنزلة الأب والأم ، وإبنا  
وبنات العم والاصهار ، بثابة الاخوة والاخوات . لأن اسم الأسرة  
يتناول هؤلاء ، واحترام مدلول هذا الاسم من الاحساس الطاهر .  
وطالما بحث تذكره الابناء الى اجتناب المساوى ، خشية أن يدنسوه ؛  
لأنه يخصهم ولا يتناول غيرهم . فشرف اسم البيت ، بشابه الوديعة  
التي يجب على الابناء صيانتها ؛ كما تركها الآباء مصونة

ومن الواجب على الانسان ، أن يراعى ما بينه وبين هؤلاء  
الافراد من الروابط الجديرة بالاحترام ؛ وان يعتبر أفراد الأسرة ،  
أمثال فروع الشجرة التي تتعاون على حياة المجموع - وان مال كل  
فرع منها الى جهة من الجهات - ؛ وان يتفقد كل الاعتقاد ان السعادة  
في الاتحاد ، وان التفرق مدعاة للضعف والانحلال ؛ وان يتذكر ما

قاله الحكيم فرسكلين : « يجب على الاخوة أن يتعاونوا ويتأسروا ،  
وقد حكى أن تجار البقول كانوا يبرون بحبالهم وعليها بضائع متنوعة ،  
فأشترى امرؤاً فأسأ من هؤلاء التجار بمن غال ، لعدم وجود مثلها  
لديه . فاستأرها أحد اخوته ، فأبى ؛ فاستأرها الثاني فأبى أيضاً ؛  
فاستأرها الثالث ، وتوصل اليه بما بينهما من المحبة ؛ فأبى أيضاً - مما  
دفع اخوته الى شراء أمثالها - ويتأ هو يقطع خشباً على حافة نهر ،  
اذ سقطت الفأس في النهر ولم يثر عليها ؛ فأقبل على أحد اخوته  
يستعير ( فأسه ) فذكره بإثامه وأعرض عنه . فأقبل على أخ آخر ،  
فتبته أيضاً الى إثمه ، واتبع ذلك بهذه الجملة « لئن أبيت أن تعيرني  
فأسك قبلاً فأني أريد أن أكون أحسن منك مبدأ » فنجعل كل  
النجل ، ولم يأخذ الفأس وانطلق يرجو أخاً آخر ، وعلامة الكندر  
بادية في وجهه ؛ فأشفق عليه ؛ وأبلقه ان فأسه تكفيها . فأخذ يكي  
ويماقنه ويقول : « أخى ان مروءتك عظيمة ، وانك لسليم الطوية ،  
لأنك نسبت اساني ؛ فأنت أخى حقاً ، ولك أن تركزن الي » فأجابه  
أخوه : نعم أنا أحبك ، ومن الواجب أن نحب اخوتنا الآخرين ،  
لأننا جميعاً من دم واحد »

فحبة الاسرة يجب أن تكون أول شعورك بعد المحبة الأبوية ؛  
فهى التى تربي فيك قوة الاخلاص للوطن الذى لا يخرج عن كونه  
أسرة كبيرة . وما أجدنا أن نسمع ما قاله المسيو برسو (Mr. Bersot)

أحد الرجال الذين أحبوا الشيبة الفرنسية ، الخليق ان يكتب اسمه  
في صدر كل كتاب تربية ، في محاضرة بين ولد و جده :

الجد - ما الذي خدش وجهك يا بني ؟  
الولد - المرّ يا جدي .

الجد - هل للهرا يدان ؟ يجب ان تعترف  
الولد - تضاربت مع آخر .

الجد - ولم ذلك . هل اغتصب منك شيئاً ؟  
الولد - كلا ، ولكنه سبّ والدي ، فألقيته على الأرض ،  
فاعترف بكذبه .

الجد - انك لشجاع . ولكن ، ألا يوجد غير أريك أحد تدافع عنه ؟  
الولد - بلى ! أمي ، وجدتي وأنت ، وأخي الأكبر .

الجد - اذن أنت تحبنا .

الولد - نعم لانكم آباءني .

الجد - اذن ، سررت لأني عيّنت عمدة .

الولد - نعم ! سررت وزدت غرراً ، وفي ذلك اليوم ، حفظت  
دروسي أي حفظ ، وأديت واجباتي خير اداء .

الجد - هل اعتقدت أنك عيّنت عمدة ؟

الولد - نعم .

الجد - ما الذي خارك ، حين تعين أخوك ملاحظاً ؟

الولد - فرحت وكنت أودّ أن ألبس شارات السرور والفرح .  
الجد - افن ، أنت عمدة وضابط . ولم نظرتك حزياً عند  
مرض أمك ؟  
الولد - نعم ، نالت نالماً شديداً ، لأنني تخيلت انها سموت مثل  
جارتنا التي تحترمها :

الجد - انك لولد صالح ، وأخ مخلص . اني أراك تروض اختك ،  
بدلاً من ان تلب مع رفاقك ؛ وتلاعها تجد منك أخاً محموداً .  
ولكن ، بخيل لي انك تحب شجرة الكرز .  
الولد - شجرة الكرز شجرتنا ، واذا صعدت عليها أتخيل اني  
في منزلنا .

الجد - أجد انك تسرّ بالعيشة معنا ، اكثر من مبيتك مع  
جيرانك ، وانك لا ترى نفسك في صحة الأ معنا .  
الولد - نعم .

الجد - يا بني ؛ اذا عاش الناس معاً وتحابوا ، وشعروا بالسعادة  
حينما يتالم غير ، وبالنعامة حينما يصيبهم شر ؛ وأصبح كل فرد منهم  
مستعداً للمساعدة عند الحاجة ، والمواساة عند حصول الاذى ، محباً  
لأن يناله الألم ولا يتالم ، متحداً معهم قلباً وقلباً . فهذه هي الأسرة .

ان العلائق لا تكون وثيقة في الاقربين وسائر الأحياء  
الا بتظيم الصغير كبيره وعناية الآباء بالأبناء

## الجزء الثاني

# الباب الأول

## الهيئة الاجتماعية

### الفصل الأول - فضل الجمعيات

التلميذ - يا سيدي الأستاذ ! ماذا سمعتُ ألقائاً لم ألقه لها معنى ،  
وما كنت أكلف نفسي مشقة البحث فيها ، لاعتقادي أن الصغير  
لا يمكن أن يجاري الكبير في ادراكه . أما وقد أصبحت من تلاميذ  
السنة الرابعة ، وكثيراً ما حدثتمونا عن « الهيئة الاجتماعية » ، التي  
يجب أن نكون أعضاء نفعين فيها ؛ « والنظام الاجتماعي » ، الذي  
ينبغي أن نعتز به ؛ « والرق الاجتماعي » ، الذي يلزم أن نضرب فيه  
بصمهم - فقل لي بحقك يا سيدي الأستاذ ، ما معنى هذه الالتاظ  
التي أرى من الواجب عليّ أن ألقها على كنفها ، لأكون على بينة  
من أمرها ؟

الاستاذ - أنت تعلم يا بنى، ان « الأسرة » تتركب عادة من أب وأم ، واخوة واخوات ، وجدّ وجدة الخ . . وكلهم يسعون وراء غرض واحد، هو سعادتها ؛ لذلك كان لكل فرد منهم نصيب خاص في العمل ففي بلاد الريف ، يختص بعضهم بحراث الأرض وبزرها ، وحصد زرعها ؛ ويفرد الآخرون بتهد الماشية ، ورعى الاغنام وما أشبه ذلك ؛ وغيرهم يحلب الألبان وصنع الزيت ، وتربية الطيور وهكذا (نحت نظر الأيوين الذين هم رأياً المنزل) .

وبمجموع هؤلاء الافراد الذين تتركب منهم الأسرة ، يسمى « هيئة اجتماعية » أو « جمعية » . والقاعدة التي يسير عليها أولئك الافراد من حيث تقسيم الاعمال ، ومزاواتها في أوقات معينة ، وعدم مزاحمة بعضهم بعضاً في العمل ، يسمى « بالنظام الاجتماعى » ؛ والتحصينات التي يمكن ادخلها على الادارة المنزلية ، من نحو توزيع الاعمال ، وسماونة العمال ، والاجتهاد في انهاء القروة ، يسمى « ببارق الاجتماعى » . فعنى اجتماعى اذاً ، هو كل ما كان متعلقاً بالهيئة الاجتماعية .

التليذ - اذاً ، فالأسرة هي عبارة عن « جمعية » :

الاستاذ - نعم ؛ وهي أول الجمعيات ونموذج الباقي . فباذا اذاً تعبر عن لفظة « جمعية » ، اذا سئلت عن ذلك ؟

التليذ - الجمعية حينئذٍ ، هي مجموع جملة أشخاص يعيشون معاً ، ويشتغلون كل من جهة لغرض مخصوص . أليس كذلك ؟

الاستاذ - حسن ! ولكنك سوف تضطر الى تغيير هذا التعبير ،  
اذا ما علمت ان الجمعيات على أنواع كثيرة ، وان الاسرة ليست الأ  
احدى تلك الجمعيات .

التلميذ - اننى لا أعلن ذلك يا استاذى ؛ لأنه اذا قيل مثلاً : ان  
الانسان يجب عليه ان يكون عضواً تاماً فى الهيئة الاجتماعية ؛ فلا  
يمكن ان يفهم من ذلك القول ، ان الاسرة هى المقصودة به .  
الاستاذ - لقد قلت صواباً ، فاستمر فى بحثنا اذاً .

تعلم يا ولى العزیز ، ان هذه « القرية » تعنى على كثير من  
الأسر ؛ يعيش كل منها على افراد ، ويشتمل أفرادها فيما يوافق  
مبولم ؛ وكلهم ما بين زارع وصانع ، وتاجر ومالك ، وغنى وفقير .  
فجمعهم - وان فرقهم أمهالهم الخصوصية - المنفعة العمومية .

التلميذ - وما معنى ذلك يا سيدى الاستاذ ؟

الاستاذ - لغرض ان الحال اقتضت بنا، دار للبلدية ، أو انشاء  
قطرة ، أو فتح طريق عموم ، أو ما أشبه ذلك . فن ذا الذى يقوم  
بما يلزم من النفقات ، هل يكافى به شخص معين ؟

التلميذ - كلا ! بل يكافى به الجمهور !

الاستاذ - تم ؛ وهذا مناه اجتماع الاهالى على عمل ما ؛ يعود على  
الجميع بالفائدة أو المنفعة ؛ وكلهم وان اختلفوا وراء منافعهم الذاتية ،  
يجتمعون اذا ما دعيتهم الضرورة الى منفعة عمومية . اذ لو اقتصر كل

فرد منهم على مباشرة شؤون أسرته دون غيرها، لوقت حركة الاعمال  
لذلك جرت العادة في الممالك الشمسية، ان يجتمع أهالي القرية  
في أيام معلومات، ليتخبروا من بينهم أشخاصاً ذوي مقدرة وخبرة  
بإدارة الشؤون العمومية. وهذه الجمعية التي تتشكل بهذه الصورة  
على مقتضى الواقع والقوانين، تسمى (مجلساً بلدياً)؛ يعين من بين  
أعضائه شخص يهد إليه بإدارة حركة الاعمال العمومية، ويقال له  
(رئيس المجلس). وليس من الضروري يا بني ان يعيش أعضاء  
هذا المجلس في مكان واحد، أو ان يكون بينهم روابط شخصية؛  
بل يكفي ان يكون من الممكن اجتماعهم لقرار ما يكون لازماً للمنافع  
العمومية وقت الاحتياج، وهذا هو نوع آخر من الجمعيات.

التليذ - ثم ماذا ايضاً؟

الاستاذ - كثير يا بني؛ فاللدبرية مثلاً - وقد تحتوي على جملة  
بلدان - لها مجتمع خاص يقال له (مجلس المديرية)؛ وجميع  
المديريات لها مجتمع آخر يدعى (الجمعية العمومية) وهكذا...  
فكل جماعة من الناس يتبادلون المنافع والاعمال، يمكن أن يطلق  
عليهم (هيئة اجتماعية)، الأ ان هذا الاسم قد امتد به على الخصوص  
تيتان خايران، هما: (الوطن والجنس البشري)؛ لذلك يقال:  
«كن نافعاً في الهيئة الاجتماعية» اي «اعدم بلدك وشرف بني الانسان»  
التليذ - لقد فهمت يا سيدي ان الوطن عبارة عن (هيئة



اجتماعية) ، مؤلفة من جميع أسر القرى والمدن التي تقطنها أمة واحدة مشتركة المنافع والأعمال ؛ يشكل لادارتها مجالس تختص بإنشاء الطرقات الصومية ، والمدارس والجسور وتبثة الجيوش ، وتعيين الموظفين والمستخدمين والقضاة وغير ذلك ، على حساب جميع السكان ؛ اذ أن تلك الأمور لم تكن الأئمة الجليع على السواء .  
 الأناى لم أفهم مع ذلك - ما معنى الانسانية ، وما دخلها فى الميتة الاجتماعية ، ولا ما هى علاقتى بساكنى بلاد اليابان أو الصين مثلاً ، وأى رابطة بينى وبين زئوج أمريكا ، وكيف يمكن ان أشترك مع هؤلاء فى فائدة أو تبادل معهم مشفعة ؟

الاستاذ - هذا ما كنت أنتظر أن تسألنيهِ يا بنى . اعلم وثقك الله ان المرافق المتبادلة بين الأم ، ليست هى التى تربط اعضاء الميتة الاجتماعية بعضهم بعض ، ولا المنفعة هى التى تربط أفراد الأسرة الواحدة كذلك ؛ بل القى يربط بعضهم بعض ، انما هى المحبة والاخلاص وسائر العواطف .

لذلك ترى ابناء البلد الواحد متحابين ، لارتباطهم بحبة بلدهم القدى والنوا ونشأوا فيه ، وتربوا تحت سماءه ، وتغذوا من نياه ومائه ؛ وكلهم يتشعرون بسعادته ، ويسعون فى رفاهته ؛ لاعتقادهم أن هناك مصلحة هى اكبر فائدة وأكثر أهمية من كل ما سواها : ألا وهى (مصلحة الوطن) القدى هو عبارة عن أسرة كبيرة كلنا ابناءؤها ، وكلنا

مدينون لها بالحب والاخلاص الذين من أجلها ترى عين من حكم عليه بالنفي - مثلاً - تذرف دمعها السخين ؛ وترى الرجال ذوى الشعور الخي ، والعواطف الشريفة ، يضحون النفس والتفيس في خدمة الوطن ، ويضحون حياتهم في سبيل الدفاع عنه .

ولرب قاتل يقول : ان الشعور الذى يربط ابناء البلد الواحد ، لا يمكن ان يوجد بين أشخاص من بلدان مختلفة . فالجواب : الناس من جهة التصوير أكفأ . أبوم آدم ، والأم حواء . واذا كان الجميع من أصل واحد ، فكيف لا يعتبرون أنفسهم اخوة ؛ فيتعاونون على الخير وجلب المنافع ، ويتحدون في الدفاع عن أنفسهم أمام الاخطار والحوادث التى يتلاشى عندها كل فارق ، أو اختلاف أو تمييز بين شعوب العالم ؟

مثال ذلك : اذا قصدك فقير يسألك احساناً ، او رأيت انساناً مشرفاً على الترق ، فهل من المروءة ان تبحث عن جنسيته او ديارته ، قبل ان تعد له يد المساعدة ؟ كلا ! ثم كلا ! فقد يكفيك انه من بني الانسان ؛ وكل بني الانسان يجب ان يكون لهم نصيب من شفقتك ومعونتك واحسانك .

وجد عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، في طريقه يهودياً فقيراً ، يتعثر في ثياب الضعف والشيوخة ؛ فقال : « الله لقد ظلمناك يا شيخ ؛ أخذنا منك الجزية فنى ، ونسيناك شيخاً » . وأمر له بصلته

من بيت مال المسلمين ما بقى من حياتِهِ .  
عما تقدم ، يتضح أن (الانسانية او الجنس البشرى) ، هما عبارة  
عن أسرة ( كالوطن ) ؛ وان كليهما ينطبق عليه اسم (هيئة اجتماعية)  
والشعور والافكار والمنافع ؛ هي التي تربطنا بغيرنا من بني الانسان ،  
او بعبارة أوضح - ( هي روح كل اجتماع )

### « الملخص »

يسمى هيئة اجتماعية ، اتحاد جملة أشخاص مشتركين في الافكار  
والمصلحة والشعور . والأسرة هي أوّل الهيئات الاجتماعية ، وهذا  
الاسم يمتاز به على الخصوص شيخان هما : « الوطن والانسانية » ، أو  
« الجنس البشرى » اللذان يربط جميع أعضائها الاخاء الناتج من  
الاتحاد في النوع والفكر والقلب ؛ فالأسرة والوطن والانسانية ،  
(كثلاث دوائر متداخلة ، مركزها واحد) .

### « ٢ - الحاجة الى الاجتماع »

التليذ - لقد فهمتُ الآن ما كان يقصده أخى الأكبر بقوله في  
موضوع انشائي : « الانسان مخلوق اجتماعي » ؛ متنبأً بالبرهان القوي  
ان الجمية هي من أهم الامور الضرورية لحفظ ورقى النوع البشرى .  
الاستاذ - حسن . وما الذى استنتجته من هذه النظرية ؟

التليذ — استنتجت أن الانسان يستحيل عليه ان يعيش جيداً عن الاسرة التي هي الجمعية في الحقيقة ، كما تبين ؛ لأنه اذا اعتزل الرجل المرأة ، واستغنى كلٌّ عن صاحبه ، كان البقاء مستحيلاً . اذ أن الرجل في هذه الحالة يكون بلا مساعد يقوم بتدبير شؤونه الضرورية ، كتنهيز الملابس ، ونهيش الطعام ، وما أشبه ذلك ؛ وتكون المرأة محرومة من يعوطا ، ويأخذ يدها ، ويدافع عنها ؛ وزيادة على ما تقدم ، فإن النوع البشري لا بد أن يفترض باقتران التماسل .

الاستاذ — تم يا بني ؛ وذلك كله من الامور البديهية ، حتى انك ترى الأم التوحشة نفسها تسير على هذه السنة بحكم الطبيعة . وهو نظام إلهي يهتم منه أن الواجبات والحقوق والمواطف ، انما هي أشرف وأرق ضمان لانقاذ النوع الانساني . واذا كانت الأسرة — وهي أول الجمعيات كما تقدم — قد تأسست بحكم الطبيعة ؛ أفهكذا كانت الحال في غيرها ؟

التليذ — لست أدري بماذا أجيب .

الاستاذ — نعم أنا بصعب عليك ذلك ، فأعزني سمحك قليلاً أنثك بما لم تعلم . لقد أتى على الانسان حين من الدهر كانت فيه الأسرة هي الجمعية الوحيدة ؛ وكان الأقدمون منذ نيف وأربعة آلاف عام ، يعيشون جماعات متصلاً بعضها عن بعض ؛ يقضون نهارهم في اسطياد ما يعبتون ، ومنه يرتدون ؛ ثم يلجأون بالليل الى

الكهوف والمغاور فراراً من اعتداء الطيور المفترس ، كالصق  
والضبع والتمر والذئب . وهو لم يكن في ذلك العهد عدواً وحده  
للإنسان ؛ بل كان الإنسان عدواً للإنسان أيضاً . إذ كانت كل أسرة  
تؤلف قبيلة ليس لها من عمل سوى شن الغارة على الآخرين لتسليمهم  
أموالهم وأنعانهم ، وتخليصهم عن أرضهم التي يسكنونها ، مستعملة في  
ذلك آلات الحرب كالقراوات ، والأحجار ، والقيس ، والنشاب ،  
وما أشبه ذلك ؛ وبالجملة كانوا يعيشون من القتل والسلب والنهب ؛  
ولو استمرت الحال على هذا المنوال ، للاثني النوع البشري . لأن  
الزوايا إذا توالى توالى توتت . فإن هذه القبائل ، لكي تتمكن من صد هجمات  
المخبرين والذئب عن حياضها أمام خصومها ، اضطرت ان تتحد مع  
غيرها ، ثم أخذت دائرة ذلك الاتحاد تتسع شيئاً فشيئاً ؛ حتى  
تألفت الشعوب ، وبذلك انتقلت المسئلة من « أسرة » الى « وطن »  
ولما كانت الروابط الطبيعية لا تكفي وحدها لاتحاد تلك الأمة  
الجديدة ، نظراً لضعف الشعور والمحبة والاخلاص بين أفرادها ؛  
سئلت قواعد خصوصية حدت ما هو مسموح وما هو ممنوع . وهذه  
هي أصل الشرائع ، وأسس « النظام الاجتماعي » .

ومما قرره ذلك النظام : ان لكل انسان الحق التام في التمتع  
بثمرة أعماله بلا منازع ولا معارض ، مهما زاد دخله عن حاجاته . بمعنى  
ما اذا فرضنا ان زيدا يستفيد من غلة أرضه مائتي أردب من القمح

في كل علم ، وانه لا يحتاج لأكثر من عشرين منها ، فكل الباقي له ،  
يتصرف فيه كما يحب ويختار بلا نزاع . وهذا ما يسونه بالملكة .

الأ ن « جان چاك روسو » ، ذلك الكاتب الفرنسي الشهير ،  
أحد نوابغ القرن الماضي ؛ صوّرتنا الجمعية البشرية بأنها نتيجة اتفاق  
حاصل بين الناس في القرون الأولى ، سماه ( العقد الاجتماعي ) ، فكأنه  
يريد أن يقول بإمكان وضع نظام آخر للجمعية ، خلاف نظامها الحالي ؛  
بمعنى انه إذا كان الملك يتصرف في ملكه الزائد عن حاجته الضرورية  
كما يشاء ، يمكن وضع قاعدة جديدة ، تقضى بأن الانسان لا يملك  
الأم ما يبقى بحاجته الضرورية المباشرة . ولكن الرجل مخطئ في رأيه ،  
وأم في زعمه ؛ لأن نظام الجمعية وشرائعها ، انما وضعها من سلف ، وهم  
مدفوعون بعوامل قد يجهلوننا وقتئذ ، وكلها ضرورات حتمية .

ومما لا نزاع فيه ، ان الجمعية من أئتم الأمور لبقاء النوع الانساني  
وتحسين حاله .

ولأجل بقاء الجمعية ؛ يجب ان يعترف كل انسان بأمرين  
رئيسيين ، هما : « الاحتفاظ بالاموال والاحتفاظ بالأرواح » ، لهذا  
كل من الضروري ، أن يزول ذلك الحاجز ، الذي كان يفصل  
الاسرات والقبائل والشعوب بعضها عن بعض ؛ وبزواله أصبحت جميع  
الأمم - بوجه القريب - خاضعة لنظام واحد ، مما يدل دلالة واضحة ،  
ان ذلك النظام كان ضرورياً جداً للجميع ؛ وان القتل والسرقة ،

والكذب والخيانة وما أشبهها ؛ وجدت من الأمور المحرمة عند الجميع .  
هذا ما اتفق عليه العالم كافة ، كما اتفقوا أيضاً على ان «الانسانية»  
هي جمعية أخرى ، يجب على الانسان ان يكون عضواً عادلاً فيها ،  
بصرف النظر عن جنسيته وبلده . فالأخاء العام لا يمكن ان ينسبنا ما  
يجب علينا نحو أوطاننا ؛ وما على الذين ينضون تحت لوائه ، إلا أن  
يفهموا ان الضرورة تحم على كل الناس أن يتعاونوا ويتحدوا ، وهذا  
ما قضت به جميع الشرائع الالهية والوضعية ؛ وهو معنى قول الفلاسفة :  
ان الانسان مدني بالطبع .

### « الملخص »

الجمعية ضرورية لبقاء النوع البشري ورفقه .  
و زمن المحمية ، الذي كان الناس يعيشون فيه قبائل متفرقة ؛  
أغلبت تقسيمها الى أم متحدة ، أخذ أعضاؤها يتقدمون نحو المدينة  
شيئاً فشيئاً ، حتى أصبحوا وهم يتبرون أنفسهم اخوة لا محالة .  
والشرائع الأساسية لهيئة الاجتماعية ، لم تكن نتيجة ذلك  
الاتفاق الذي كلف منشوء الاختيار ؛ بل هي نتيجة محنة تلك  
الضرورات المادية والادبية ، التي لم يخل منها زمان ولا مكان ؛  
قضت بها مصلحة الاجتماع البشري .

### ٣ - فائدة الاجتماع

التليذ - انه ليخيل لي يا سيدي الاستاذ ، ان الجمعية - فضلاً عن كونها ضرورية ؛ فلها نفعة لبني الانسان .

الاستاذ - بالتأكيد . وهل في استماعك ان تخبرني عن الفوائد الرئيسية التي تظن انها تسيب عنها ؛ ولتبدئي بالفوائد المادية .

التليذ - من المسلم يا سيدي الاستاذ ، انه يوجد أعمال كثيرة يستحيل على الانسان القيام بها بمفرده ، ولا بد ان يشترك فيها الكثيرون ؛ كالمز اريد بناء بيت ، او تعطيط طريق ، او انشاء قنطرة ، او حفر ترعة ، او ما شاكل ذلك مثلاً ؛ أضف الى ذلك ان هذه الاعمال ، قد تحتاج الى كثير من الآلات والادوات التي يشترك في عملها عدد ليس بالقليل من الناس . فاذا أردنا صنع قاس مثلاً ؛ وجب علينا ان نبحث عن منجم لاستخراج الحديد ؛ ثم نستخلص ذلك المعدن مما هو مختلط به من الآخرة والاحجار الصغيرة ؛ وذلك بواسطة النوبان الذي يحتاج الى حرارة عظيمة ، وهذه الحرارة تولد من الفحم الذي يستخرج من الأرض ايضاً ، والذي دون استخراج صعبات لا تعد ، وأخطار لا تعد . فاذا ما تم كل ذلك ، ومحت السبكة ؛ وجب ان تصهر ، ونحال بطريقة مخصوصة ، لتكسب الصلابة المطلوبة .



الاستاذ — لقد تكلمت يا بنى عن الحديد واستخراجه ، ولكنك لم تذكر شيئاً عن الاتعاب الجسدية ، التي تلزم لصنعه وصنعه ، وشحذه ونشره وما ياتلها من الامور التي لولاها لم تفلح ارض ، ولم تقطع ابحار ولا خشب ، ولم تنسج أنسجة ، ولم تصنع مركبات او مركب ، ولا كان شئ على الاطلاق مما يسهل على الانسان طرق المعيشة . لم يكن من الغريب ان يتحد اهل البلد الواحد ، او كل البلاد على العموم ، لاقتسام تلك الارباح الطبيعية التي لا تخصى ، وللملافة الاخطار التي تهدد الجميع .

قول قائدة الجمعية اذاً ؛ هي زيادة رفاهه بنى الانسان وضيقتهم .  
التليذ — تم ؛ وانه يجيل لى انت الجمعية لم تصل الى هذه النتيجة ، الا لأنها حثت على الانسان ان لا يقتصر على الاشتغال بأمر نفسه ؛ بل يجب عليه ان يسعى فيما يفيد غيره . فتلبذ مثلاً ؛ يصنع الخبز للخبز ، لعله ان القصاب يقدم له اللحم ، والبدال يبيعه السكر والملح ، والخالط يصنع له الملابس وهكذا .

الاستاذ — انه لكذلك ، وهذا من أهم فوائد الجمعية ؛ لأن توزيع العمل يزيد في الفائدة ، ويقلل عناء العمل . وانه لمن المستحيل على فرد واحد ، أو أسرة واحدة ؛ أن تقوم بفلاحة الأرض ، وبذر البذار ، وحصد الزرع ، وعمل الخبز ، وذبح الماشية ، وتهيئة الطعام ، وصنع الآلات وغير ذلك مما هي في حاجة اليه . ولغرض أنه من الممكن ؛ فاما مقدار الوقت الذي يلزم له ؟

ولكى يقرب الى ذهتك تصور مقدار الفائدة التي تنجم عن  
تقسيم العمل - افترض ان صانعاً يريد ان يصنع بمفرده ابرة حتى  
تصير صالحة للعمل - فهل تظن ان ذلك يتم في أقل من نصف يوم؟  
كلاً . مع انك في بعض المعامل الكبيرة ، ترى بعض العاملات ،  
يصنعن آلافاً من الابر في اليوم الواحد ؛ هذه تقطع السلك وهاتيك  
تدهب طرفه ، وتلك تعدل رأسه ، وأخرى تصقله . وقس على ذلك  
باقي الأعمال ؛ فان في تسببها تسبباً للعمل ، ولزيادة الفائدة ومع  
ذلك ، فان هذه الفوائد المادية التي تنحصر فيها سعادة الانسان ،  
لا يصح أن تسمينا تلك الفوائد الأدبية التي نكتسبها من الحياة في  
الجمية . فهل لك أن تضرب لي بعض الأمثال ؟

التقليد - ثم ؛ اذا عاش الانسان منفرداً ، فكيف يتعلم القراءة  
والكتابة والحساب ؟

الاستاذ - أحسنت يا بني ؛ فقد كان الانسان لا بد له من أحد  
أمرين : اما أن يعيش مدة حياته جاهلاً ، واما ان يرجع الى ما كانت  
عليه أجداده في الأزمان العابرة ؛ أيلم لا علوم ولا معارف ولا صنائع .  
أضف الى ما تقدم ، ان تلك القوانين الطبيعية لم يكتشفها انسان  
بمفرده ؛ فكيف من قرون مضت قيل أن يعرف الانسان ان الارض  
تدور حول الشمس . وليست هذه هي التي تدور حول الارض ،  
كما كان يظن الاقدمون .

التقليد - نعم ؛ ولقد فهمتُ أيضاً يا سيدي الأستاذ ، ان صنع الآلات مثلاً ؛ يحتاج الى جملة أشخاص يعملون معاً ؛ وحينئذ ، لا بدّ أن يكون اختراع أنواع تلك الآلات ، مما يحتاج أيضاً الى عدد وافر من العلماء والمفكرين ، وكذلك طريقة استعمال تلك الآلات . ولو اشتغل كل انسان على انفراده ، ثم مات ولم يطلع أحداً على سرّ اكتشافه ، لصعب الوصول الى الغرض المطلوب ، أو الحصول على ضالّة المشودة .

الاستاذ - لقد أصبت يا بني ؛ فلقد فكر ( دنيس باين ) منذ نيف ومائة من السنين ، في ان يتخذ من البخار قوّة محرّكة ؛ ومع ذلك فلم يوفقوا الى ذلك ، حتى كان عهد ( وات وفولتون ) ، اللذين عرفا كيف يستخدمان تلك القوّة في القواطر والمراكب .

وبالجملة فان الجمية هي السبب أيضاً في الفوائد الأديبة التي لا تخفى عليك ؛ فان الرجل اذا اعتزل العالم ، أصبح متوحشاً ، فظناً غليظ القلب ، كذلك كانت أخلاق الانسان أيام الممجية ، أشبه شيء بأخلاق الحيوانات المنقرّس الذي يعيش في الغابات والآجام . فلما عرفت الجمية أصبحت الحياة أشهى وأسهل مما كانت قبلاً ؛ وأخذت الأخلاق والعادات شكلاً جديداً . فصارت الحروب التي كانت من الامور العادية ، نادرة الوقوع ، واكتسبت الانسانية شكلاً جديداً معناه الاخاء ؛ كما أخذ التحدّث كلها اتسعت دائرة

بحر شيئاً قشياً ما بقي من آثار الجمعية .

فخذ مائة علم مثلاً ؛ بطل الرق ، وتقرّر الاعتناء بمرحى الحروب ؛  
وتأسست جمعيات XXXXXXXXXX الملل الأحمر . ولا تزال الجمعية  
البشرية محتاجة الى كثير من الامور التي سوف يتكفل بها المستقبل .  
وان المصريين ليعتخرون بأنهم كانوا دائماً أنصار الانسانية حيث كانوا  
لول الأمم التي أبطلت الرق .

أما هذا التجاج اللأني : ( المادى والأدبى والعقلى ) فانه دين  
عينا في الحقيقة لتأثير الجمعية ؛ وكذلك الفضائل التي تتعلق بها ؛ وهي  
التي يعبرون عنها بلفظ ( انسانية ) او ( رقة الاخلاق )

### « الملخص »

الجمعية أصل كل فائدة مادية لو أدية للانسان ؛ وهي تسمح له  
بأن يزيد في رغبته ، بالتجاد قوى كثير من الافراد .  
وتقسيم الاعمال ، يقلل عناء العمال ؛ فيعملون بكل سرعة ، ما  
كانوا يظنونهُ مستحيلاً . والتجاج الفكري أصبح مؤكداً بفضل الجمعية  
التي يشترك كل انسان فيها تأنيهِ من الاكتشافات . وأخيراً ، قد  
أدخلت الحياة العمومية تحميماً على أخلاق الانسان ، وقدمنهُ تقدماً  
محدوماً .

## « تمرين »

ما الجمعية ؟ — قارن بينها وبين الأسرة — ما معنى نظام اجتماعي ؟ — رفق اجتماعي ؟ — ما الجمعيات الوسيطة بين الأسرة والوطن ؟ — لماذا كان الوطن والانسانية من أفضل تلك الجمعيات ؟ — اثبت بالبرهان ، ان الجمعية ضرورية لنمو ورفق النوع الانساني — ما زمن الجمعية ؟ — كيف تكون الوطن ؟ — هل الجمعية نتيجة اتفاق ، أم هي من الضروريات ؟ — اذكر الفوائد المادية التي تعود على الحياة من الجمعية — كيف أصبح الرقى الفكري ممكناً بفضل الجمعية ؟ — ما الفوائد الأدبية التي يكتسبها الانسان من المعيشة في الجمعية .



## الفصل الثاني

### « ١ — العدل في الهيئة الاجتماعية »

الاستاذ — الشيخ في كل مكان ، ان الانسان اذا ما ارتبط بآخرين ، لا يبدؤ له من قاعدة لترتيب معاملته ايهم ، على حسب القانون الأدبي الذي ذكرناه في الجزء الأول ؛ كما بحثنا في الواجبات التي تربط بها كل جمعية بشرية . والآن ، نتكلم على أكبر تلك

الجمليات وهي ( الانسانية ) ، ونذكر الواجبات التي تتعين على كل ذي علاقة بها .

من النظريات الثابتة ، أن « لا اجتياح الامع العدل » ؛ فهل لك أن تعبر لي عن معنى العدل ؟

التلميذ - لقد سألت والدي عن ذلك يا أستاذي منذ بضعة أيام ، فقال : انه « اعطاء كل ذي حق حقه » .

الأستاذ - لقد أصاب ؛ ولكن ، هل تعرف ما هو المقصود من ذلك .

التلميذ - المقصود من ذلك على ما أظن ، هو أن يدفع الانسان ما عليه من الديون ، ويرد لكل شخص ما يكون قد أخذه منه ، ولا يقش رفقاه ؛ ويجتهد في أن يكون خير مدين لأحد بشيء ما .  
الأستاذ - لقد أجدت ، وان كنت لم توفّر الموضوع حقاً .

لتفرض ان أحد القضاة حكم على أحد المجرمين بالسجن ؛ او ان سملك كافأك على حسن اجتهادك ؛ او ان انساناً أحسن اليك فشكرت له فضله . أليس ذلك من ضروب العدل ايضاً ؟

التلميذ - اذاً ، العدل هو ان يقابل الانسان الحنة بالحننة ، والسيئة بالسيئة .

الأستاذ - نعم ؛ ولكن - اذا صنعتك أحد زملائك مثلاً ، فهل تقابله بمثلي ذلك ؟ ان هذا وان كان من العدل حقيقة ، لا يلائم احوال

المعيشة ؛ لأنك اذا اتبعت هذه السنته ، تقضى حياتك فى نزاع لا حائل لتهه . فلتدع تلك النظرية التى علمكها والدك ، وليبحث عن اخرى تكون اكثر ملاءمة للحياة . ألا تذكر قوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ؛ او قوله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ، ما يحب لنفسه » . قللى ، ما الذى فهمته من تلك الآية الكريمة ، وهذا الحديث الشريف ؟

التبذ - فهمت ان الانسان يجب ان يحسن الى الناس ما استطاع ، ويتجنب كل ما فيه ضرره وأذاهم ؛ فلا يسرق منهم ، ولا يشتمهم ، ولا ينم عليهم ؛ وبالجملة يعفو عن رلاتهم ، فلا يعاملهم بما يستحقون .

الاستاذ - وكيف ذلك ؟ لفترض ان شخصاً قتل آخر ، وحكمت محكمة الجنايات عليه بالاعدام . فهل من العدل ان تسمى فى تبرئته واطلاق سراحه ؟ ان هذا ليس من العدل فى شئ . ؛ لأن احترام المرتبة البشرية فى شخصك ، وفى شخص الآخرين ، هو القاعدة الأساسية للعدل ؛ ولأنك اذا احترمت انساناً ، فلا ترضى ان تضربه فى حياته ، لو شرفه ، او ماله ، او أى شئ . من متعلقاته . ولكن اريك ان تحترم من لم يحترم نفسه ؛ فإن هذا بلا شك ، أولى بالاحترام لأن الرجل الذى يستمرسل فى الغضب والشراسة ، ويتصف بالاخلاق الفاسدة ، يجنى على العدل لا محالة . ولا يمكن أن يكون الانسان عادلاً وشريفاً الا اذا امتنع عن ايذاء عباد الله ، وأعلى كل ذى حق حقاً ،

التلميذ - عنوا يا سيدي الاستاذ! انا اذا احترمتنا الشرف  
الانسانى ، فلا بد ان تلاقى كثيراً من الصعوبات ؛ والأفكيف  
يجوز لنا أن نعاقب المجرمين ؟

الاستاذ - أنتك لم تفهم بعد معنى ( احترام الشرف الانسانى )  
الذى لم يكن الغرض منه تجنب انتهاك حرمة تلك الوظيفة فقط ؛ بل  
يشمل الكف أيضاً عن انخراط القبيحة ، والأعمال المضرة ، والسعى  
في منع وقوع ذلك فعلاً . مثال ذلك : اذا ارتكب انسان جريمة  
السكر ، ( والسكر مخالف للترتبة البشرية ) وجبت بمقتضى الشريعة  
مناقبته ؛ فالتقاضى الذى يحكم عليه بالحبس أو الغرامة ، يكون قد فعل  
ما يقتضيه العدل ؛ وكذلك اذا وُجد انسان بحال سكر بين ، وعريضة ،  
في مكان بعيد عن نظر رجال الضبط ، ثم أخذ يصيح ويغنى أغاني  
غير لائقة ، أو أخذ يماكس المرأة ، ألا يكون لكل انسان الحق في  
أن يمنع من ذلك باسم الوظيفة البشرية ؟

او اذا رأيت شخصاً يسرق في سرقة ، او غش في آخره ، ألا يكون  
من وظيفتك ، أن تحول بينه وبين ما يتغيبه ؛ وذلك بأن تدافع عن  
حقوق صاحب ذلك الشيء ، حتى يسود العدل الذى معناه في الحقيقة  
احترام حقوق الآخرين ؟

كل ذلك حق وعدل . وما تقدم يتضح ان الجمعية لا يمكن أن  
تقوم لها قائمة بغير العدل ، وان الجمعية انما هي عبارة عن اجتماع جملة



أشخاص ، لكل منهم حقوق وواجبات ، وأمان ومصالح . فإذا لم يكن الإنسان آمناً مطمئناً متنعاً بكل ذلك بتهم الحرية ؛ فعلام يعاشر الناس إذا ؟

ان الهيئة التي لا يكون فيها احترام حقوق الآخرين مضموناً ؛ هي في شبه حرب أو في الطريق المنضية اليها ؛ اذ تضطر كل أسرة الى الانفصال عن الأخرى ، لتدافع عن نفسها عند ميسر الحاجة ، وبذلك تتلاشى تلك الهيئة من نفسها .

ان المصالح الخصوصية لا تكفي وحدها لحفظ النظام العام ؛ كما ان الميول الشخصية لا توجب احترام جميع اعضاء الهيئة . لأن المصالح والميول قد تكون متافرة عند الناس . لذلك كان من الضروري ؛ إيجاد قاعدة مستقلة تام الاستقلال ، بعيدة عن حكل غرض من الأغراض . وهذه القاعدة انما هي ( العدل ) . الذي هو مطابقة الشريعة الأدبية ، للعلاقات التي تنشأ عنها المعاشرة .

فالعدل يقضي بأن لا يبدأ للإنسان ان يُقدّر احترام الشرف الإنساني حق قدره ؛ سواء كان ذلك فيما يخص شخصاً أو غيره .

### « الملخص »

العدل ينحصر فيما يلي :

« عامل الناس بما تحب ان يعاملوك به » ؛ واحترم الوظيفة البشرية ، سواء كان ذلك بالنسبة لشخصك أو للآخرين .

« ٢ — مستلزمات العدل »

الاستاذ - ان اول قاعدة يجب السير على مقتضاها ، هي ( احترام النوع البشرى ) . وتتكلم عن الواجبات الخاصة التي تترتب على هذا الواجب العام :

من البديهي ، ان العدل يقضى علينا . بأن نحترم حياة أمثالك من بني الانسان ؛ لأن كل مخلوق على وجه البسيطة ، انما يشغل فراغاً في الهيئة الاجتماعية . فهو يكند ويشغل ، ويعمل الخيرات ، ويحرق الارض ؛ واولادنا يقفون أثره ، ويتمون عمله ، ويسجدون على نهجه . قتل النفس مثلاً ، بحرماً تأدية تلك الاعمال المفيدة ، ويخل بالنظام الكوني ، فضلاً عن مخالفة كل الخالق ، لما تقتضيه القصة ؛ وهو أفضح اثم يرتكب على المرئى البشرية . كيف لا ؛ وفي هذه الحالة يكون قد انفصل عنها عضو من أعضائها . وقد أمر الله سبحانه وتعالى بلجتاب ذلك فقال عز من قائل : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » ؛ ولذلك اتفقت الشريعة الإلهية مع الشريعة الوضعية ، على وجوب قتل من يقتل نفساً بريئة بغير حق . فقد قل سبحانه وتعالى « ان النفس بالنفس » ، « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب » . ولا يمكن ان يستثنى من ذلك إلا القتل في موضعين اثنين : في حالة الدفاع الشرعى ، وفي الحرب . لأنما في

أخلة الأولى ، يكون للانسان الحق في الدفاع عن نفسه وماله بكافة الوسائل الممكنة ؛ اذ ان الذي يتدى على حياة الناس ، لا يصح ان يبقى في عداد بني الانسان . ومع ذلك ، فلن من الواجب علينا ، ان نبذل كل الجهد في ان نكون ضريبتنا غير قاضية على حياتو ، مهما قسا قلبه وقلظ كبده .

وفي الثانية ، ( وهي الحرب ) فان الشعب يكون اذ ذلك مضطراً الى الدفاع عن حياتو ؛ وتاهيك بما يدفع الجنود وقت ذلك من الشعور والاحساس ؛ اذ ان قتالهم - والحالة هذه - لم يكن انتقاماً لأشخاصهم ؛ بل دفاعاً عن الوطن الذي يجب ان تضحى في سيده النفس والنفيس . ولذلك يقدمون ارواحهم ، فداءً له عن طيب خاطر . واذا قصر او في ذلك كانوا مجرمين آثمين خائينين ، قد جثوا على تلك الأمة التي عظمت آمالها بهم ، ووكلت اليهم امر سلامتها وشرفها .

حكى ان بعض جنود المسلمين في حروب الصليب ، كانوا يدخلون ليلاً خيام الفرنج ، فيسرقون ما تصل اليه أيديهم من متاع وسلاح ؛ فاتفق ان بعضهم أخذ صيلاً من حجر أمه ؛ فوجدت عليه وجداً شديداً ، واشتكت لملوكهم ، فلم تجد نفعاً . فجات الى السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وقصت عليه قصتها ، فرق لها وذهمت عيناه ، وأمر فاحضر الصبي ؛ وكان بيع في السوق فدفعت ثمنه لمن اشتراه . فاعترض عليه فقال له : « اننا حارب أشخاصاً أخطروا حربنا ، وما نحارب بني الانسان » .

وكذلك يجب على الانسان ألا يعتدى على حياة نفسه ، لذلك  
كلن الاتحار مثلاً ، نذالة وجبناً ؛ لأن لكل انسان منا — كما سبق  
ذكره — وظيفة يؤديها في الهيئة الاجتماعية ، لا تقل عن وظيفة  
ذلك الحارس الذي يقيمه لحراسة مكانه . فكما ان هذا لا حق له  
في تركه مطلقاً ، كذلك الانسان لا يجوز له أن يجعل بمفارقة الحياة  
قبل الساعة المحددة ؛ والأظلم نفسه وأخلّ بنظام الحياة . وكل ذلك  
نقص في التدبير العام .

ولقد ضرب لنا سقراط عن ذلك مثلاً فقال :

« اذا حاول عبدك ان يقتل نفسه — أما كلن لك ان تعاقبه ،  
على تخلصه من خدمتك بغير حق ؟ »  
فاذا كلن هذا حال العبد ؛ فكيف لا يعاقب الله ذلك الذي  
اعتدى على شريعته وأساء الى احسانه .

أعزني سمك قليلاً أيها اليأس الذي يمتني لو فارق الحياة ؛ انه  
اذا كلن في قلبك مثال ذرة من الميل الى التضاؤل ؛ فاصغ الى اعطك  
كيف ترغب في البناء . عاهد نفسك على انك كلما همت بمفارقة  
الحياة الدنيا ، تخاطب نفسك قائلاً : « ومالي لا اعمل عملاً صالحاً قبل  
ان أموت ، عسى ان يغفر لي ربي ما تقدم من ذنبي » . ثم اسرع  
الى مساعدة يأس ، او اغائة لهوف ، او تعزية يأس ، او الدفاع  
عن مظلوم . فانك اذا فعلت ، وجدت من نفسك دافعاً يدفعك الى

عمل الخير ، ويحبب اليك الحياة .

أما اذا لم يجد ذلك سبيلاً الى قلبك ، وتأثيراً في عواطفك ؛ فت ، فما أنت إلا جبان ؟ وكذلك الانسان الذي يسعى ليلب نفسه حريتها ؛ فانه يكون قد أساء الى الوظيفة البشرية لا محالة ، واعتدى على الاحترام الذي يجب عليه نحو شخصه .

ومن الواجبات المفروضة على كل انسان لورثة الاجتماعية ، الاحتفاظ بحقوق غيره . فكما ان من الواجب علينا ، ان نصون حياة الأشخاص ؛ فان من الواجب علينا ايضاً ان نصون اموالهم ، وما يحتاجون اليه ، في سبيل الحياة الدنيا .

ان مشروعية حق الملكية ، من الاشياء التي يجب علينا اعتبارها بديهية لا نزاع فيها ؛ وان أول شيء نملكه ، انما هو ذلك البناء الذي نكته روحاً . ولكن كيف تبسط ملكنا على ما لم يكن لنا . الجواب : ان الحياة لا تحفظ ، الا بواسطة التبادل الدائم ما بين اجزاء الجسم الحي ، والاجسام المحيطة به ؛ لذلك كل من اللازم ، ان يكون لنا بعض تلك الاشياء ، ليسهل سبيل الحياة .

ان حقوق الملكية لم تناس على سعي الانسان للحصول على ما به قوام الحياة ؛ بل على التحسين الذي يبدو من ثمرة أعماله ، نحو المادة التي يستخدم فيها نشاطه كذلك .

مثال ذلك ، اذا فرضنا انه يوجد قطعة أرض ، ليست مزروعة

ولا هي مملوكة لأحد ؛ وان أحدهم وضع يده عليها وزرعها . فن المقبول  
حيثفر ان الذي أصلها وخرسها فأثبتها ، هو أحق الناس بقرها .  
أما امتلاك نفس الأرض ؛ فله شروط كثيرة تكلم عليها فنقول :  
ان الأساس الأول للملكية هو ( وضع اليد ) ؛ ومعناه « ان ما لم يكن  
مملوكاً لأحد ، فلن يستحوذ عليه » . إلا ان هذه القاعدة ، لا يمكن  
ان تسرى على ما هي عليه الدنيا الآن ؛ لأنه قل ان يوجد مكان ،  
الأوله ملك ؛ حتى انك ترمى الجبال فذهبها ، والغابات ، والأنهار ؛  
مملوكة للحكومة وهي لا تسمح لأحد ان يتفجع بها أو يمتلكها ، إلا  
بالشروط المبينة بالقوانين .

اما في الزمن السابق ، فقد كانت الحالة على عكس ذلك ، اذ كان  
كثير من المساحات لتغير مملوك . وكان يكفي لبوت ملكيتها ، ان  
يضع الانسان يده عليها ، ويعمل بها ما يدل على استحوذها عليها ؛  
كأن يزرعها ، او يبني بها منزلاً ، او يقيم عليها سوراً ، او ماشاكل  
ذلك . ولم تزل هذه الطريقة متبعة الى الآن في الجزر البعيدة ، والصحاري  
القفرة ؛ وفي الحقيقة قد وضعت القوانين والشرائح الاجتماعية حقوق  
الملكية ، واعترفت لكل انسان بحق الانتفاع بما هو مملوك له ، بلا  
معارضة من أحد وكذلك حتى توريث ما يملكه للأقر بين اليه من بعده .  
وكما أنه لا يجوز الاعتداء على نفس الأشخاص ، كذلك لا يجوز  
الاعتداء على املاكهم . فان الاعتراف بها ، واحترام تلك الملكية ،

شرط من شروط بقاء الجمعية ، كاحترام الحياة البشرية . ولا شك ان حرمان الانسان الانتفاع بما يملكه ؛ هو اعتداء على الحقوق الشرعية التي حصل بانتضاها عليه ؛ وهو مما يضر بوظيفته ، وبخلاف مستلزمات العدل .

وأشهر طرق الاعتداء على حقوق الآخرين ؛ السرقة ، وهي حصول الشخص على شيء من حقوق الآخرين بغير حق . وكل أنواع السرقات قد يُعاقب عليها قانوناً ، إلا أنها تختلف بعضها عن بعض في فضاحة الجرم . فالسرقة باكره مثلاً ، من أقتلع الجرائم ؛ أما سرقة الاشياء في حال غياب ملائكتها ، فإنها أخف ضرراً . ثم يتبع ذلك النش والتدليس ، كأن يبيع الانسان للآخر حصاناً يعرف انه مريض كثير العيوب ، ثم هو يؤكد انه سليم ليس به عيب ؛ أو يقص الكيل والميزان ؛ أو يسي في تهريب شيء من المنوعات ؛ أو ما شاكل ذلك ، مما يصدق على فاعله انه خائن ، أو خرب الامة ، أو عدم الوفاء . أضف الى ذلك ، اولئك الذين يأبون ان يردوا الأمانات الى أهلها ، أو الاموال التي اقترضوها ، لو وجدوا شيئاً غفقاوه لانفسهم ، أو استنصوا عن رد شيء أخذوه من شخص بحجة النسيان ؛ وما هي في الحقيقة الامسالة - وهكذا .

ان حقوق الهيئة البشرية ، لتفوق في الأهمية حقوق الحياة والحرية والسعادة ؛ اذ كل انسان منا يتوقف مقدار احترامه في نظر

اخوانه ، على ما يكون متصفاً به من الأخلاق وانطلاق . وبالجملة ، يتوقف على تلك الصفة التي ظهر للناس عليها . وهذه المزية هي أفضل وأشرف كل شيء ، وهي ما يعبرون عنه ( بالسعة ) او ( الشرف ) ؛ وهي أقرب الصفات الى المرتبة البشرية . وانه كما يجب علينا ان نحترم ونبجل أهل الخير ؛ فانه يجب ألا نتساهل في الحكم على اولئك الذين يسيئون بالناس الظن . فكم من برىء تألم من قول وجهه اليه على غير هدى ، ولذلك قرر القانون المعاقبة على التشهير ، وهو الاعتداء على أعراض الآخرين بالقول ، او بطرق النشر ، ولا يطلب من القاذف اثبات صحة ما قذف به .

وقد يكون الأمر غير ذلك في بعض الأحيان ؛ كأن يتعرض القاذف لشرف الشخص ، بأن يلصق به اموراً غير لائقة ، ويجهد في الحط من قدره ، ويحتقره في أعين غيره . ومع ذلك فان كل هذه السفاسف والأقويل ، يعاقب عليها القانون . ومن الواجب على كل ذي شعور شريف ، ان يتعد عنها .

ثم اعلم يا بني ؛ ان لكل انسان آراء ومعتقدات ، لا تقل احتراماً عن شرفه وماله وحياته . ولقد أباحث قوانين الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ حرية المعتقدات ؛ فقابلها كل انسان بلزوم والارتياح . فلا تقياء من أي دين مثلاً ؛ لم ان يؤدوا شعار دينهم . بلا منازع ولا معارض .



ولا شيء أقبح عند الرجل الحر ، من استهزاء بعضهم ، أو لعنهم شخصاً لمعتقد ، أو لآرائه تلك المصيفة التي يستلزمها ذلك المعتقد ؛ أو أولئك الذين يخالفونهم في المعتقدات . خصوصاً وقد اقتضى زمن الانضباط ، وأصبح جميع الناس المتدينين يحاربون العصب الديني ، والهيجان الذي يتولد في أفكار بعضهم ، مخالفة غيرهم لهم في الآديان بكل قوام . وبذلك صار كل إنسان حرّاً التصرف ، ما دام بعيداً عن الأضرار بالآخرين ؛ فهو مطلق الحرية فيما يعتقد ويتمنى ، ويفكر ويقول ، كما أنه له الحق في فعل كل ما يوافق اعتقاده الديني ويوجد على هذا النمط أمور كثيرة ، كمتك السيادة مثلاً ، وهو ما لا يحق لك أن تخوض نحاره يا بني ؛ قلت بعض المشتغلين به يظنون أنه لا تصاب ، ولا احترام بينهم وبين الأشخاص الذين يخالفونهم في الرأي ؛ وهو غلط واضح . لأن من الجائز أن يختلف الناس على أي أمر من الأمور ، بدون أن يؤثر ذلك الخلاف فيما بينهم من الحجة . وإذا كان من الواجب علينا أن نعتزم حرية سوانا في الإفعال ؛ فهلاً احترامنا حريتهم في أفكارهم وميولهم ؛ فالتسامح ركن من أركان العدل ، وهو ذو أهمية عظمى لوجود الوفاق بين الناس المختلفين في الرأي أو الاعتقاد

« ٣ - معاملة المرء لغير أهل دينه »

الاستاذ - كيف تعامل اذا يا بنى أهل الأديان المخالفة لديك ،  
أو المغايرة لمذهبك ؟

التلميذ - أحسن معاشرتهم ، وأعطف عليهم عطافي على ابناء ديني ؛  
لأنهم اخواني في الانسانية .

الاستاذ - ينجح لك يا بنى !

التلميذ - ولكننا نسمع بعض الناس يتحلون بالآية الشريفة : « ولا  
تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم »

الاستاذ - كلا ، وألف كلا ؛ فان هذه الآية جاءت في القرآن  
الكريم ، حكاية عن كفار قريش ، يحذرون أنفسهم من معاملة  
أصحاب رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ؛ ولذلك لا يصح ان  
يؤخذ قولهم نصيحة عامة . ولو كان العكس لوجب الأخذ به حقيقة .  
قال الله تعالى في محكم كتابه : « وان أحد من المشركين استجارك  
فأجره ، حتى يسمع كلام الله ، ثم ابلغه مأمنه » هذا امان الاسلام  
لاهل الشرك ، فما ظنك بأمانه لاهل الأديان المماثلة ؛ وقد قال  
تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم  
من دياركم ، ان تبرؤم وتسقطوا اليهم ؛ ان الله يحب المتسطين »  
وتفرق الناس شيئا - قضت بها الارادة الازلية - قال تعالى : « ولو

شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً . أفأنت تكفر الناس حتى  
يكونوا مؤمنين ؟

وانتالامة - ان جميع الناس ، وان اختلفوا ديناً ، أو تباينوا  
مذهباً ، سواء في عيبتنا واحترامنا ، ومعاملتنا (لأن لم ما لنا وعليهم  
ما علينا) .

قال أبو العلاء المرعي :

والدين انصافك الأقوام كلهم وأي دين لآبي الحق ان وجبا

« الملخص »

من الواجب علينا أن نعتزم حياة غيرنا ، الآ في حالي الدفع  
الشرعي والحرب . وليس لنا الحق بأى وجه من الوجوه في الاعتداء  
على حرية الآخرين ، ولا في التخل عن حياتنا الشخصية .

كل من قتل نفسه ، يكون من الجبناء .

يجب علينا أن نعتزم حقوق الناس ، وسمعتهم ، ومعتقداتهم ؛  
فان الدين لله وحده ، والوطن للجميع :

الَّذِينَ لَدُنَّائِن جَلُّ جَلَالِهِ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ وَحَّدَ الْأَقْوَامَ

« ٤ - فضائل العدل »

ان تلك الواجبات التي ذكرناها ، قد يتبعها فضائل كبيرة ، هي  
في الحقيقة نتيجة تأدية تلك الواجبات .

أما أولى تلك الفضائل وأهمها وأجدرها بالثناء فهي :

(١) « الأمانة » التي تقضى بأن لا يقتصب الانسان ما لغيره ،  
أو بعبارة أعم وأوضح - لا يجوز له ان يتعدى على حياة الآخرين ،  
أو حريتهم ، أو أموالهم ، أو أعراضهم . والأمانة هي إحدى  
الفضائل التي يتحلى بها الرجل الشريف الذي لا يسيء الى أحد .  
أما القتلة ، والصوص ، وقطاع الطريق ، والطفلة ، فهؤلاء كلهم  
أعداء تلك الفضيلة .

والأمانة تفرض علينا كثيراً من الواجبات : تفرض علينا أن  
نعطي كل ذي حق حقه ، وان ترد الاشياء التي نجدتها لأصحابها .  
وهناك مسألة أخرى : تفرض عليك حثت لأحد رقائك ان يلب  
( البلى ) معك ، مع علمك انه لا يحسن اللعب ، وكان هو يظن  
انك لست يارع فيه ، وانتهى على ذلك ان ربحت كل ما كان معه ؛  
فانك لا تعتبر فني شريفاً ، إلا اذا رددت اليه ما ربحته منه على  
تلك الصورة .

وتفرض علينا أيضاً ان نقول الحق دائماً وأبداً ، فانه لا سادة  
الأ مع « الصدق » نعم - لقد يضرنا الصدق أحياناً - الأ انا نكون  
اذ ذلك قد أرضينا ذمتنا ، وأرحنا ضميرنا . وما أحسن قول من قال :  
عليك بالصدق ، ولو انه أحرقتك الصدق ينار الوعيد  
فإذا فرضنا ان المعلم رأى خريطة ممرقة ، وسأل من الممرق لها ؛

فمن المفهوم ان جميع التلاميذ لا بد ان يصمتوا عند ذلك ، ولا يجيبوا خشية النتيجة ؛ فاذا ما وقف الفاعل معتذراً معترفاً بما كان منه ، فلا ريب ان الأستاذ يسامحه ، او يعاقبه عقاباً خفيفاً ، ولا يحفظ له تلك الزلة . لأن مجرد قوله الحق ، يكفي نحو الذنب ، ويدل على انه شريف ، وان ضميره هو الذي دفعه الى أن يقول الحق .

( ٢ ) « الانصاف » وهو احدى تلك الفضائل ايضاً ؛ يفرض علينا ان نتعد عن الشر ، ونحكم النظام والعدل في كل ما يستعمل الانسان قوته فيه . فان القاضي الذي يحكم بالسجن ، أو بالترامة على اللص ، أو على من يحدث ضوضاء موجبة لتكدير راحة السكان ؛ والذي يرد الحقوق المنتصبة الى أهلها — لقاضي منصف .  
ويعد منصفاً ايضاً ، ذلك الاستاذ الذي يعاقب التلميذ ، ويكلف الجهد .

وكذلك التلميذ الذي يقسم نفاحة مثلاً بين رفقاته ، تقسيماً عادلاً .  
( والصدق ) وهو الامانة والحزم ، اللذان يستعملهما الانسان في تأدية ما يجب عليه .

مثال ذلك : اذا وعد الانسان صديقاً له بأن يودى له خدمة ما ؛ فانه لا شيء اكثر خيانة ، وأشغل للفكر من عدم الوفاء . فان أساس الصداقة هو احترام الوعود ؛ وهو نوع من الاعتبار الواجب لكل انسان نحو شخصه .

ولقد اعتاد بعضهم أن يعزز كلامه أحياناً ، باستشاده الله على قوله ، وهو العالم بكل شيء ؛ وهو ما يسمى في عرفنا باليمين . فإذا كان الوعد يجب ألا يستهان به ، فكيف اليمين . ان الذي يحدث في يمينه لرجل ظالم حائن علام الشرف .

وسلامة النوق هي أمانة سامية ، وانصاف واضح - هي الصدق بأحق معانيه - بل هي قمة الفضائل جمداً - وهي تقضى بإعطاء الحق لصاحبه ، كما وجد شك .

مثال ذلك : اذا اذني زيد أن الطريق التي تفصل مزرعته من مزرعتك ، هو ملك له ، ولم يتم على دعواه دليلاً ؛ إلا أنه رغب في فسخ هذا التنازع بينكم بغير تقاضٍ ، وكان زيد فقيراً ؛ فان من الواجب عليك ان تتنازل له عن تلك الطريق ، ونسج له بضو إلى أملاكه ، سواء ان ينفع بزراعته .

أو لنفرض ان شخصين أطلقا معاً عيارين كرتيين في آن واحد على مائر فوقع - فلن يكون يا ترى ذلك الطائر ؟ لاشك انه اذا كان الاثنان من ذوى الاحساس ، سابق كل منهما زميله في نسبة تلك الاصابة اليه ، واجتهد في أن يتخل عنه وربما انتهى الأمر بأن يأكل تلك النسبة معاً ، ثم يكونان بعد ذلك أصدق صدقيين .

فالاحساس في الحقيقة ، هو الذي يظهر فضل الانسان ، وبدونه تكون الفضائل ناقصة لا محالة . فلذا كلف من الواجب احترام

المنصفين العادلين ؛ فمن الواجب احترام ذوى الاحساس الشريف ،  
حكى ان نابليون الثالث ملك فرنسا كان يتعهد بناء قصر الوفير  
يوماً من الأيام ؛ فتقدم اليه نحات أحجار ، وتوسل اليه أن يسح له  
باشغال سيجارة كانت بيده من سيجارة الملك . فدهش لأول وهلة  
ثم سأله عن السبب فقال : هذا رهان بينى وبين رفيق ؛ فضحك الملك  
وقال : لقد ضاع عليك الرهان يا بطل ! وغجل النحات ، فرق له  
الملك ، وسأله كم مقدار الرهان . فقال خسة فرنكات يا جلالة الملك ؛  
فأمر له بشرة — لرهان خسة وله خسة — فجاء فعله هذا وسطاً  
بين مقام الملك ، ومكارم الاخلاق ، ومتى سلامة الذوق .

### « الملخص »

« الامانة » هي اس الفضائل ، وهي التى تدفع الانسان دائماً  
الى التمسك بالصدق ؛ « والصدق » والانصاف ، وسلامة الذوق «  
هي اشرف درجات الامانة التى يجب ان يتحل بها الانسان .

### « تمرين »

ماذا يقضى العدل ؟ — هل يكفي ان يعامل الانسان الناس كما  
يريد أن يعاملوه ، ليكون رجلاً شريفاً ؟ — من المكلف بتطبيق  
العدل ؟ — لماذا يجب أن يحترم الانسان حياة القران ؟ — ما المستثنى

من هذه القاعدة ؟ — لماذا يعد الاستثمار جيداً ونزاهة ؟ — ما حقوق الملكية ؟ — ما السرقة ؟ — هل السرقة على أنواع كثيرة ؟ — ما معنى التشهير ، او القذف ؟ — لماذا كلن التسامح من الضرورات ؟ — ماذا يقضى الصدق ؟ — ما الذى يدهونا الى الصدق ؟ — ما الانصاف ، وما الامانة ، وما سلامة السوق ؟



### الفصل الثالث

#### « ١ — الاحسان »

التلميذ — يفهم مما تقدم يا سيدى الاستاذ ، ان الجمعية مؤسسه على العدل ، وعلى الشرائع المتخذة منه ؛ وانه اذا كلن الناس عادلين ، كانت الانسانية تامة .

الاستاذ — لقد اصبت يا ولدى ، ألم اقل لك ان العدل هو أولى الفضائل التى تعرضها القوانين الأدبية ، على الاشخاص المتعاشرين ؟ وقد يوجد شئ ، آخر لا يقل عنه فى فائدة وسعادة الانسان ، ولو انه يوجد صعوبة عظمى فى استعماله . واننى ليخيل لى ان فى امكانك ان تسميه بناءً على ما تقدم .

التلميذ — نعم هو « الاحسان » الذى كثيراً ما دار بهجلى .

الاستاذ — نعم ! لقد اصبت . وكما تكلمنا عن العدل ، فمن



الواجب أن تتكلم عن الاحسان الذي هو من مثماته - فقل لي اذاً ،  
ما الاحسان ؟

التلميذ - الاحسان على ظني ، هو عمل الخير مع الجميع .

الاستاذ - هل يكون الانسان محسناً ، اذا لم يتم بكل ما يجب  
عليه نحو الآخرين .

التلميذ - بعد محسناً اذا بذل كل ما في وسعه لاتباعه ولو لم ينجح .

الاستاذ - اذاً يحسن أن يقال من باب أولى : ان الاحسان هو  
السي في نفع الآخرين ، والاول درجته العطف .

ولكن لماذا يجب علينا أن نعطف على غيرنا . هل ذلك لأن

القوانين الاديبة تحضه علينا ، ومن الواجب ان نضع لأحكامها ؟

التلميذ - نعم .

الاستاذ - اذا كان الامر كذلك ، فانه لا يصح ان يطلق علينا

اسم محسنين ، باكتفائنا بإبعاد الضرر عن سوانا - فهل انت على  
هذا الرأي ؟

التلميذ - لا ياسيدي ! - توجد امور كثيرة غير ما ذكرنا :

كالصدق ، ورد الامالت ، والسي في انقاذ الغرقى ، والابتعاد عن  
قتل النفس .

الاستاذ - أتقصد بذلك انه يجب علينا ان نكون عادلين ، اكثر

من ان نكون محسنين ؟

التليذ - ربما كان كذلك غير اني لست استطيع التعبير عما في ضميري منه يا سيدي الامتاذ .

الامتاذ - سأشرح لك ما تريد ؛ للعدل قاعدة مضمونها « لا تعامل الناس بما لا تحب ان تعامل به » اي « لا تؤذ احداً » وقاعدة الاحسان « عليل الناس بما تحب ان يعاملوك به » اي « احسن الى الناس » . من ذلك يفهم جيداً ، ان الامر الاول يمكنك أن تعبر عنه بقولك « لاتصل شراً ، أما الثاني ، فإنه لا يكفي فيه قولك « اعمل خيراً » . لأن عمل الخير لم يكن محدوداً ، فضلاً عن كونه يتغير بتغير الظروف . وزيادة على ذلك ، فإن طرقه ومواقفه ، واسعة لانهاية طاً . لذلك يمكن ان يقال بكل اختصار : ان العدل يقضي بان لا تقتصر في احترام النوع الانساني ؛ كما يقضي ايضاً باستعمال ما يستلزمه الاحسان ؛ مما يمكن تلخيصه في النواهي الآتية

لا تقتل - لا تسرق - لا تخدع - لا تنس أخاك - لا تحقر انساناً - هذا ما يلزمك ان تحب به من قال لك « كيف اكون عادلاً » . اما اذا قال لك « كيف اكون محسناً » ؛ فإنه من المستحيل ان توفى الموضوع حقاً ، لأن دائرته غير محدودة ؛ إلا انه على كل حال قد يمكن تلخيصها فيما يلي :

« اصنع كل ما يمكنك عمله من الخير لغيرك » - وبذلك يكون مجال حرية العمل متسعاً ، ومع ذلك فكل ما هو واجب في الاول ،

واجب لا محالة في الثاني .

التليذ - حيثذ . هل يلزم ان يكون الانسان محسناً ؟  
الاستاذ - نعم ، الأ ان لهذا اللزوم معنى آخر ، نعى انه - لكن  
نسى في عمل الخير للآخرين - يجب علينا ان نتحاب .

التليذ - هل من الممكن ، ان يحب الانسان جميع العالم ؟  
الاستاذ - من الواجب ان يكون لكل انسان نصيب من ميلك  
الطبيعي ، بمعنى انه يكون مشغولاً بانعامك نحوه ، ومساعدتك اياه ؛  
ومن ذلك تولد الحبة . فالحبة تولد دعائم المعاشرة ، وتوجد للانسان  
نوعاً من الأسرة ؛ لذلك كان الاصدقاء والمخلصون ، بمنزلة الاخوة ؛  
ويكون بينهم من الروابط ما بين افراد العيلة الواحدة ، ولا يحشون  
عن العائدة ، بل يسعون في توثيق عرى الحبة . فالصفات الحميدة ،  
والفضائل الجليلة ، والمزايا الجميلة ؛ هي التي تقرب الناس بعضهم من  
بعض . لذلك كان الرجل الصالح ، لا يحب الأ الهب للخير .

ومن الواجب على التليذ ، أن يتعود منذ صغره ، الأ يتخالط غير  
الصالحين من أقرانه ؛ فما أصدق من قال :

« قل لي من عشيرك ، أقل لك من أنت »

التليذ - هذا ما قاله لي والدي كثيراً ؛ ولذلك أصبحت صديق  
(محمود) الحليم ، لأنه - وان تكن فقيراً - حسن السيرة والسريرة ؛  
فضلاً عن كونه ذكياً ومجتهداً ؛ وبالعكس زميلي الآخر ابن الطحان .

قلنا فضلاً عن دعوتِهِ اِى غير مرّة لتناول الغذاء معهُ ، وتودده الى بكافة الوسائل ؛ أنفر منهُ وأجتهد في الايصاد عنه ، لأنهُ شرير .

الاستاذ - يجب على التلاميذ العقلاء ألا يجملوا الحب والمزاح سبباً لاتصال المحبة ؛ بل يجب عليهم ان يتبادلوا عمل الخير . بمعنى انه اذا مرض أحدهم ، عاده الآخرون ؛ واذا افتقر ، أعانوه ؛ واذا تكاسل ، استحثوه واستمضوه وعلموه ؛ وبالجملة قدّموا له كل مساعدة ورعاية . فالحبة التي على هذه الصورة هي أحسن وأفضل ما يتصف به الانسان . فنتيجة هذا الميل الطيبى ، وهذا الحب اللذين يشترك فيهما كل انسان ؛ بولدان عندنا الاخلاص للناس ، وتضحية المصالح الذاتية ، وكلاهما لا يمكن ان يكون الانسان محسناً بدونهِ .

أما القوانين الأدبية ، فانها تفرض علينا أمرين : احترام الوظيفة البشرية ، ونبذ الاغراض الشخصية . اذ ان العدل يستلزم الأولى ، والاحسان يستلزم الثانية . ويمكن ان يهبر عنهما بالنزاهة ، فالنزاهة هي عدم اكتراث الانسان لما يعود عليه شخصياً بالقائدة والمنفعة . لأن الانسان لا يكون نزيهاً ، الا اذا فضّل المنفعة العامة ( كمنفعة الوطن ، أو الأسرة ، أو الجمعية ) على منفعتهِ الذاتية ، أو منفعة شخص مخصوص ( كأحد الاقرب أو الامدق ) . فلو فرضنا ان أحد التجار المشهورين بالذمة والصدق في المعاملة ؛ سوف يشهر اقلامه ، اذا حتمنا عليه دفع ما لا عليه من الديون حالاً . أو ان زارحاً

منفعة ودائمة محصوله ، من أداء ما لنا عنده ؛ فأنتا نكون محسبن اذا نحن ساعدنا اولئك الذين يعاونوننا في الحياة والاممال ، والمحبة والتمرة ؛ وتاسينا ما يعود علينا من الفائدة المادية من وراء تلك المطالبة ؛ الزراعة والاخلاص ، من عواطف الاسرة ؛ وهما لا ينحصران في تلك الدائرة الضيقة؛ بل يتعدانها أيضاً الى الوطن والجمعية ، الذين هما في الحقيقة الاسرمان الكبيران لبني الانسان .

### « الملخص »

الاحسان ينحصر في حب الغير للآخرين ، وهو غير اجباري كالعدل ؛ ويقضى علينا ان نتحاب ، ويحتم علينا ان نخلص لسوانا ؛ ونضحي مصالحنا الذاتية في -بيل مصلحة الآخرين .

### « ٢ - الاحسان في الجمعية »

التفهد - لقد اوضحت لي يا سيدي الأستاذ ما العدل ، وما علاقته بالفرد ، ثم علاقته بالجمعية ، وكيف انه أصبح نظاماً تلقياً ، ذا قوانين تبين ماهيته ، وقضاة يذودون عن حياضه . فهل الاحسان كذلك أي ان الهيئة الاجتماعية ملزمة ان تشترك فيه كما اشتركت في انفسك بالعدل ؟

الأستاذ - الاحسان وان كان واجباً شخصياً ، فهو واجب عمومي

أيضاً ؛ اذ من المحرم على كل أمة متدينة ، ان تمسك به وتمسك بحبله .  
التليذ - وكيف تمكن الجمعية من اظهار النزاهة والاخلاص ؟  
الاستاذ - ان هذين الأمرين قد يتغيران اسماً ، وان كانا  
لا يتغيران معنى ؛ وذلك تبعاً للأحوال . فالنزاهة مثلاً ، قد تحمل في  
بعض الاحيان محل التضامن ، والاخلاص محل الاخاء .

التليذ - ذلك ما لم أكن أفهم من قبل .

الاستاذ - ألم تلاحظ في كثير من المواضع - حينما حدثتكَ عن  
قائدة الجمعية - ان كل مراقباً ومصالحاً ، مرتبط ببعضها بعض تمام  
الارتباط ؛ وانه من المستحيل الاعتداء على مصالح فريق ، دون  
التعرض لمصالح الآخرين ؟

مثال ذلك : لتعرض ان زيدا حداد ؛ وانه سمع ان أسعار  
القطن ارتفعت ارتفاعاً هائلاً فقال : مالي والقطن ؛ وماذا يعني من  
ارتفاع ثمنه ، ما دام ثمن الحديد على ما هو عليه . ثم بعد ذلك أراد  
ان يشتري نسيجاً ؛ فلم ان عن المتر أصبح ضعف ما كان عليه  
سابقاً ، أو أكثر . ألا يعود على نفسه باللائمة ، لعدم اعتماده بارتفاع  
ثمن القطن ؛ وهل تظن انه يعود الى مثل ذلك مرة أخرى ؟

أو اذا تلت زراعة القمح مثلاً ، أو نقى مرض البهائم ، أو  
حدثت حوادث خطيرة في بلاد الماجم ، أو طفت المياه فأنتفت  
مزارع أو منازل احدى القرى ، لم يكن أصحابها هم الذين أصيبوا فقط

بل الطبقة الاجتماعية عموماً تكون اذ ذاك قد أصبحت . لأن جميع  
 ابناءها متضامنون مشتركون في كل شيء ، سواء كان ثامناً أو خائراً  
 لذلك فكر الناس في أن يمدوا يد المساعدة لأعمال أولئك  
 المتكويين ، كما يقتضيه التضامن . والتضامن لم يكن معناه الاحسان ،  
 لأن المقصود به المصلحة اكثر من الواجب . فاقا ما نكبت مدينة  
 أو بلدة بنكة ؛ بأن حصل لها غرق أو حريق ، أو زلزال أو طاعون ،  
 اكتب الناس اكتاباً عموماً لمساعدة المتكويين . وهنالك جهود كل  
 انسان بما تسبح به نفسه ، تخفيفاً لويلات المصابين ؛ حتى اذا ما  
 تبادلت الناس أعمال هذه المساعدات ، خفت مصائب بني الانسان .  
 وأحياناً تصاب بعض البلاد بمصائب مختلفة ، فتمد لها يد  
 المساعدة جميع البلاد الاخرى ؛ أما قرأت حكاية الأعمى والمتمد ؟  
 يحكى ان أعمى ومتمداً ، كانا مقيمين في مدينة ، وهما في غاية  
 الفقر ، لا قائد للأعمى ، ولا حامل للمتمد . وكان في تلك المدينة رجل  
 من الحسين ، يطعمهما ويسقيهما . واسترا على هذه الحالة الى ان  
 مات ذلك الحسن ؛ فأقبا بعده أياماً وقد تجا تعباً شديداً . فاتفقا على  
 ان يحمل الأعمى المتمد ، وهو يده على الطريق يصره ، يستطعا  
 أهل المدينة فتحج أمرهما ولولا ذلك هللكا .

هاك ملخص تلك الحكاية التي تعلمتها بالمدرسة ؛ وأنى أنهم  
 منها ان الانسان يلزمه ان يساعد اخوانه في الأعمال . فإن الناس

لا يتم لهم الميعة إلا بالساعدة والمالونة ؛ وانك بالنسبة لذلك ترى صاحب المصنع او المتجر ؛ يبذل كل الجهد في عمل كل ما يكفل راحة عماله ومستخدميه . ففي البلاد الصناعية ؛ يبني صاحب المصنع منازل صغيرة ، يوزعها عماله بغية زهيدة ؛ ويقدم لهم الآلات اللازمة للعمل مجاناً ؛ ويؤسس المدارس لتعليم أبنائهم فيها - كل ذلك لتوفير أسباب الراحة والسعادة للعامل - وفي مقابل ذلك ، يتفانى العامل في خدمة صاحب العمل ، ويذلون ما في وسعهم في كل ما يعود عليه بالفائدة والمنفعة .

يعلم من ذلك ان الشكر والامتنان المتبادل بين الناس ، يوجدان في قلوبهم شعوراً راقياً ؛ وهو ما يعبر عنه بالاخاء .  
 اذا رأى الانسان انساناً يتألم ، وتذكر ما صنعه معه الآخرون عند ما كان هو كذلك - فان كان طيب المنصر حسن القرية - شعر بأن ذلك الانسان ، لم يكن إلا أحد أبناء الأسرة البشرية التي هو فرد منها ؛ وان لجميع اخوانه الحق في عطفه واخلاصه ، وليس المراد ألا يساعد الانسان الآمن - ينتظر منهم المساعدة يوماً ما ، أو ان لا يعاون الآمن يظن انهم يعاونونه ؛ بل يعمل الخير حباً في عمل الخير ، من غير ان ينتظر عوضاً . ويساعد أيضاً من لا منغته لم في الهيئة الاجتماعية ، كالمحزة والعمى ، والمجانين وغيرهم ؛ لذلك قضى الاخاء ان ينشأ في كل مكان مستشفيات تقابل فيها المرضى بكل



حفاوة واكرام ، ويعاملون بكل رفيق واحسان . والاخاء ايضاً هو  
الذي ألم فاعلم الخير ، ان يؤسسوا ملاجئ " يلجأ اليها الأيتام الفقراء ،  
فيربون بكل اعتناء ، حتى يقدروا على الاسترزاق ، ويقيمون الهيئة  
الاجتماعية التي اتخذتهم ايتاماً بنتائج أعمالهم وقرائهم .

الاخاء - وهو عبارة عن الاحسان العام - يشغل مكاناً عظيماً  
في الهيئة الاجتماعية . لذلك طلعت قوانين الثورة الفرنسية كل ما  
للوطني وما عليه من الحقوق والواجبات في ثلاث كلمات : « الاخاء -  
الحرية - المساواة » . والأول هو العرض الأهم من الاجتماع .

### « الملخص »

الاحسان ليس بواجب فردي فقط ؛ بل هو كذلك واجب  
عام . وهو الذي يوجد في الناس حب التضامن ، أو تبادل الاعتراف  
بالجميل ؛ والاخاء والاحسان واجبان على الكل للكل .

### « ٣ - فضائل الاحسان »

التلميذ - علت ان تعدل فضائل - فهل للاحسان مثلها ؟  
الاستاذ - نعم ؛ وما الاحسان الأ من مشبهات المعدل كما سبق  
ذكرة ؛ وهو من الأمور التي تساعد على الرقي الأدبي .  
التلميذ - هل سيدي ان يشرح لي ذلك ؟

(A)

الاستاذ — لعلك تذكر اننا حينما تكلمنا على العدل ، ذكرنا  
الأمم فلهم : ذكرنا الامانة ، فالانصاف ، فالصدق ، فالزاهة . اما  
الاحسان فيتلو العدل ، وأولى فضائله العطف . فالرجل الشرف  
العواطف ، يكون عادة متلبساً بالنضية التي يتحل بها كل انسان نشأ  
على حب العدل .

التليذ — نعم ؛ وقد علمت ان الانسان اذا لم يكن عادلاً ،  
لا يكون محسناً .

الاستاذ — واذا لم يكن كذلك ؛ فمن الواجب عليه ان يعود  
شبتاً فثبتاً ، حيث يتدى بالواجبات البسيطة ، ثم يترقى في العمل .  
وذلك بأن يجهد أولاً في رد ما أخذه من الناس . فاذا فعل ، اجتهد  
حينئذ في الاحسان اليهم ، بطريقة بعيدة عن كل غرض ؛ وبلى  
ذلك الاخلاص لم .

أما الرجل الزهاب الزهاب ، الذي يسرق ويحسن ؛ فلا يقان  
ان الحسنات ، يذهبن الرشوات .

التليذ — لقد وجدت كل ما ألقى على ، بحيث لم أعد في حاجة  
الى شرح معنى العطف ؛ فان معناه ان يحسن الانسان الى الفقراء ،  
وبواسي البائسين ، قدر استطاعته .

الاستاذ — نعم ؛ ولكن ألا تعلم ان كثيراً من الاغنياء ايضاً ، قد  
يحتاجون في بعض الاحيان الى شفقتنا ورأفتنا ومساعدتنا . فلاحسان

إذا ؛ قد يدعو الى عمل الخير مع جميع الناس ، على اختلاف درجاتهم ،  
وتفاوت طبقاتهم ؛ لتعلم الجهلاء ، ونرشد الضالين ، وتردع المخطئين ،  
ونساعد البائسين ، ونحفظ الاحرار ، ونصلح العيوب ، ونصح  
السوء ، ونضمد الجروح .

فلا يكفي وضع الياقوت مثلاً ، حيث يعنى بهم فيبتغون ويعلمون  
قالس كاهن لا يعدون خيراً — بل يجب ان يسعى الانسان في  
مواساتهم وتسليةهم ؛ حتى لا يعود أحدهم يذكر انه قد أمه أو أباه .  
وذلك بأن تشجعهم ، وتعلمهم ، ونحبهم ؛ ولقد أنصف أولئك الذين  
يتبنون أمثال أولئك الياقوت ، ويعاملونهم كأولادهم . وما ذلك الا  
لنفسكم بالاحسان الذي معناه في الحقيقة ( تبادل المحبة ) .

التلبيذ — وهل من الواجب أيضاً ، ان نساعد ونعلمون منكرو  
الجميل الذين يقابلون الاحسان بالامانة ؛

الاستاذ — نعم يا بني ؛ فان حب عمل الخير ، لا يكون نادراً الا  
اذا كان مقروناً بالشفقة ؛ وهي نتيجة العفو والرحمة . فاذا لم نسمع  
الفرص لانسان أن يظهر بمظهر المشفق ؛ فلا أقل من ان يبرهن على  
انه سمح يتساهل في الاساءات والخطات التي تحصل به من سواء ،  
ويتساهل ايضاً مع أولئك الذين يتكرون جيله .

مثال ذلك — اذا اعطيت للبلد كرة او بليسة ، وامتنع عن  
ان يقرضك شيئاً ؛ او اذا تشاجر معك انسان ، او تكلم في حقك

بكلام أملك سماعه ، فأوجب ان تهز كتفك استهزاء بما قل وتبسم ؛  
فلا يلبث أن يتلانى النضب وتصفر الجبهة في عينك . ثم مع ذلك  
لا تحصل له ضئيلة ، بحيث اذا عاد اليك ، فافتح له ذراعيك ، وقبله  
بين عينيه ، ترتفع مكاتك في أعين الناس .

أما اذا عابك على هذا الفعل أحق ، فلا تلتفت اليه ، ولا تصفر  
الى سخافته ؛ فليس من العار ان يكون الانسان حليماً ، وعمساً صفرحاً .  
هالك ما يحدوني ان أذكرك بذلك فضيلة للاحسان ، تلك التي  
سألني ان أشرحها لك ، وهي ( الكرم ) التي ملخصها لك في هذه  
الجملة : « لا تقارن بين أعمالك وأعمال غيرك ، ؛ لأنه اذا انتظر  
الانسان ان يكون زميله هو البادى - بالاحسان لم يبدأ احد . لذلك  
كان من الواجب على كل عاقل ان يكون سباقاً الى عمل الخير . فاذا  
دفعك انسان او سبك ، فلا تلبس بالنضب ، ولا تغرر بحتلك واعتقد  
ان المسمى لا يبدء ان يلقى ثمرة ما جنت يدها ؛ ولا يبدء له من يوم يعود  
على نفسه فيه باللائمة ، ويذوب حسرة على ما كان منه - فللبأس في  
الحقيقة انما هو الشرير - فاذا كنت غنياً ، فتصدق على الفقراء ؛  
وان كنت فقيراً ، فانزل مثل ذلك أيضاً ، فانه سوف يتضاعف لك  
الجزاء ؛ فقد قال سبحانه وتعالى : « مثل الذين يتفقون أموالهم في سبيل  
الله ، كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ؛ في كل سنبله مائة حبة . والله  
يضاعف لمن يشاء »

ولست الصدقة مقصورة على العطاء ، بل الغيبة تُعدُّ صدقة في الحقيقة .

التليذ - وهل الشجاعة فضيلة أيضاً ؟

الاستاذ - نعم ، وهي أرق درجات الفضائل التي شرحناها . وقد قيل ان احد أبطال الاحسان ، بعد ان صرف كل ما كان يملكه على الفقراء والمعوذين ، استأجر قارباً وأخذ يشتغل ليحصل منه على ما يساعده على عمل الخير ؛ وبطل آخر للرأفة ، سامح رجلاً أراد أن يسرقه ؛ وبطل آخر للسخاء ، آثر على نفسه في وقت الحرب ، جريحاً كان مشرفاً على الموت غلباً .

### « الملخص »

من الاحسان ينتج ثلاث فضائل رئيسة ، تتحد مع فضيلة العدل وهي : العطف ، والرأفة ، والكرم .

والشجاعة أكبر درجات تلك الفضائل التي لا مثيل لها في الرفة والمكانة .

### « تمرين »

هل الاحسان إلزامي ؟ - لم لا يكون للفقراء الحق في طلب الصدقة ، مع علم الجميع ان الانسان يجب عليه ان يستعمل العدل في

معاملتهم ؟ — بين شكل الاحسان ، وصف فضائله — لماذا أنشأ  
الناس المستشفيات والملاجئ لتخفيف ويلات الانسان ؟ — هل من  
الواجب على كل من عرج في أحد تلك المستشفيات ان يتعرف  
لاصحابها بالجميل ؟ — وماذا ؟ وكيف يهر عن ذلك ؟ — اضرب  
مثلاً للعطف والتسامح والسخاء ، نسباً ايها الى الجمعية ؟ — هل  
ينبغي للانسان ان يكون نادراً زمانه في فضيلة من الفضائل ؟

« قصيدة اليتيم <sup>(١)</sup> »

يتيم تقاضاه الطبوم حياته	وتحرمة طيب الحياة خطوبه
وما اليتيم الا غربة ومهانة	واى قريب اليتيم قريب
يمرّ به اللطائف مثنى وموحداً	وكل امرئ يلقى اليتيم غريب
يرى كل أمّ بابنها مستغرقة	وهيئات ان يحنو عليه حبيب
يسأله الغلمان عن شأن أهله	فبحرنة أنت لا يجب بحبيب
اذا جاءه عيد من الحول عاده	من الوجد دمع هامل ووجيب
كان سرور الناس بالعيد قسوة	عليه ينفض الدمع وهو صبيب
يظلّ حسوداً للذين أظلم	من العيش فيان التصون رطب
وما علم الغل الفتى ككصيبة	دهنة فلم يعطف عليه ضرب
فياويله قد مرّنى الغل قلبه	وأنتب فيه لشقاء نبوب

(١) لامد الالهة

# الباب الثاني

الفصل الاول - الوطن

« ١ - الوطن عبارة عن أسرة »

التلميذ - لقد فكّرت كثيراً فيما ذكرته لي عن الواجبات المفروضة على الانسان في هذه الحياة الدنيا؛ فعلمت ان سعادة الانسان تتوقف على أمرين : - الأول - ( احترام الشرف الانساني ) - والثاني - ( النزاهة ) . وبواسطة هذين الأمرين ، يمكننا معرفة جميع الواجبات المفروضة علينا نحو الأسرة والمهبة الاجتماعية .

فأما ما يجب علينا نحو الأسرة ، فهو الابتعاد عن الاغراض ومعناه في الحقيقة الارتباط والاخلاص . لأنه لا يمكن ان يحترم بمضنا بعضاً ؛ بل يجب ان نتحاب ايضاً . وأما ما يجب علينا نحو الجمعية ، فهو احترام الوظيفة البشرية ؛ وهو ما ينشأ عنه العدل . والنزاهة وهي ما يقتضيه الاحسان .

الاستاذ - حسن ! هذا ملخص الموضوع .

التلميذ - الأني إخال اننا تركنا موضوعاً عظيماً .

الاستاذ - وما هو ؟

التلميذ - هو الوطن .

الاستاذ - لقد أصبحت يا بني ، وهل تعرف الوطن ؟

التلميذ - الوطن هو البلد الذي وُلد الانسان فيه .

الاستاذ - نعم ، الوطن هو الارض التي وُلد فيها الانسان ، فأحياء  
هواؤها ، ورواه ملاؤها ، ووسعة فضاؤها ، وأغلة سماؤها ، وغمرتها  
تساؤها . فمن بناء على ذلك مرتبطون بالبلد الاصل ، بشئ هو أشبه  
بالقربة . فلا يمكن ان ننصل عنه ، والأكل من وراء ذلك ضرر  
عظيم ، فكم من أترتوك لنا الأقدمون . فالطرق التي نمشي فيها ،  
والدور التي تقطعها ، والمقول التي نزرعها ؛ كل هذا تراث الأجداد  
مننا . هذا ما ترك لنا آباؤنا وأجدادنا وأسلافنا الذين يعلم الله مقدار  
ما عانوه في سبيل الدفاع عن تلك الارض التي سقوها بدمائهم الطاهرة .  
التلميذ - واسمع أيضاً ان الوطن الحقيقي ، هو عبارة عن الأمة ؛  
وهي مجموع اشخاص يسكنون بلداً واحداً ، ويتفقون لقانون واحد ،  
لم حاضرة واحدة وحكومة واحدة .

الاستاذ - ألا يربط هؤلاء الاشخاص شئ آخر غير ما ذكرت ؟

التلميذ - نعم ، يكون لهم نفس الملامح والجاذبة ، وعلى الأخص

ذكرى المجد الذي احرزوه اسلافهم ، والمطلوب التي حلت بهم .

الاستاذ - حقيقة ! وذلك لانك ميراث يرثونه عن آباؤهم ، كما



ورثوا أرضهم ، وسوف يورثون أبناءهم وأحفادهم .

الثليذ - نعم عبارة عن أسرة : كالأسرة المصرية .

الاستاذ - هذا ما كنت أريد أن أقوله لك ؛ فانظر كيف كان ذلك هو الحق لا محالة .

البلد الذي يعيش فيه المصريون معاً ؛ هو عبارة عن المسكن الذي تقطن فيه تلك الأسرة الكبيرة التي تتكوّن منهم جميعاً . وكلهم أبناء « مصر » ؛ فكأنهم اخوان يشتغل كل منهم من جهة لفرض واحد ، هو غبطة ذلك المسكن .

الثليذ - اذا كان الوطن هو عبارة عن أسرة كما ذكرنا ، فلا بد إذن أن تكون الواجبات المفروضة على الوطنيين نحو الوطن ، هي عين الواجبات المفروضة على الاولاد نحو منزلهم .

الاستاذ - نعم ؛ وليس هناك الا اتساع المكان ، وازدياد السكان . أما الواجبات ، فانها لم تتغير وان اتسع نطاقها .

انظر كيف قسمنا الروابط التي تربط الاسرة : ذكرنا أولاً واجبات الوالدين نحو الاولاد ، وواجبات هؤلاء نحو الوالدين ؛ ثم واجبات الاولاد بعضهم نحو بعض . فلنطبق هذا على تلك الاسرة الجديدة .

« فالوطن » ، وهو تلك الارض التي يجب علينا ان نحبها بكل جوارحنا ، وندافع عنها باموالنا وأرواحنا ، اعترافاً بما لها علينا من الافضال ؛ بمثابة الوالدة لا محالة . لذلك كان من الواجب علينا ان

تضاني في شكره ، والدفاع عنه ؛ كما تدافع عن أمنا التي ولدتنا .  
وكما ان للأسرة أباً يجب ان تخضع له - كذلك للأمة أب هو  
الوطن يجمع بين حنو الأم وكرامة الأب كما تتعلق قوانينه وشرائعه  
التي ما وضعت الأظهير أيضاً وللدفاع عنهم ولذلك كان من المحتم  
عليهم بحق ان يخضعوا لأوامره المقدسة . وكانت الواجبات والحقوق  
المفروضة نحو الوطن ، هي نفس الواجبات والحقوق المفروضة نحو  
الأسرة . وعلى هذا القياس ، تكون واجبات الأولاد نحو أنفسهم ؛  
هي التي يمكننا أن نلخصها قبا بلى :

« محبة . مدافعة . اخلاص »

ألم تكن هذه هي نفس الواجبات المفروضة على كل وطني نحو  
مواطنيه ؟

أنا كما عبرنا عما يجب على الأخوة والأخوات نحو أنفسهم ؛  
كذلك يمكننا ان نعبر عما يجب على الوطنيين نحو أنفسهم . لأن  
الوطنيين عبارة عن أبناء جنس واحد ، يجرى في عروقهم دم واحد ،  
لم لغة واحدة ، وخلق واحد ، وماضٍ واحد ، وكلهم يدافعون عن  
بلد واحد ، كما يسمعون وراء فرض واحد : هو مجده وسعادته .

أما أبناء تلك الأسرة الكبيرة ؛ فقد يكون منهم الكبير والصغير ،  
القادر والضعيف ، الغني والفقير . وكلهم يجب عليهم أن يتعاونوا  
ويتصافروا ، ولا يعمل كل منهم ما يعود عليه شخصياً بالفائدة ؛ بل ما

يعود عليه وعلى مواطنيه تشریفاً لذلك الاسم القوي يتسبب له الجمع .  
مصرى واحد ، لا يمكنه ان يدنس اسم مصر ؛ كما ان فرداً  
واحداً لا يدنس اسم أسرة . الأ ان جرعة ذلك الفرد ، قد تسبب  
الى المجموع . ولذلك ، مَنْ يلصق بغيره تهمة ، أو يتسبب له في  
حزن لا يمكن أن يُعدَّ محباً لأسرته ووطنه .

### « الملخص »

أرض الوطن ، وخيراته ، وتاريخه ؛ هي عبارة عن ميراث  
تداوله القدرارى على ممر الأحزاب . لذلك كان الوطن في الحقيقة ،  
عبارة عن أسرة .

### « ٢ — الوطن عبارة عن جمعية »

الاستاذ — ليس الوطن أسرة فقط ؛ بل هو جمعية أيضاً ، ينطبق  
عليه تمام الانطباق كل ما ذكرناه عن الهيئة الاجتماعية .

الطيب — نعم ؛ ولقد ابتدأنا بشرح ضرورتها وفضائلها .

الاستاذ — أظن ان الدفاع عن الوطن ، لم يكن من واجبات  
الانسان ؟

ان الانسانية هي عبارة عن مجتمع عظيم جداً ، وأعضاؤها  
متشرون أيما انتشار ؛ فلا يبسر الاشرار في المصالح ، ولا الاتحاد

في الشعور بين أعضاء الجمعية البشرية بمعناها الحقيقي .

نعم - لا أجهل ان الاسكيمو ، والهنود ، والزنوج ، كلهم اخواني ؛ كما تقتضيه الطبيعة والعقل . ولكن ما أبعد ارتباطي بهم ! وما أشد سرورى لو استطعت ان أقدم لهم ما أقدر عليه من الخدم ، وأتبادل معهم المحبة والعطف ؛ ولكن هيهات ان يتحقق لنا ذلك .

ان الرجال المقام ، والمخترعين الكرام ؛ أمثال (جينر) مكتشف « تطعيم الجدري » و ( فرنسكابن ) ؛ مخترع « مائة الصواعق » ؛ و ( باين أو فولتون ) ، اللذين هما أول من عرف استعمال البخار . وكذلك رجال الحكومات ، أمثال أولئك الذين أعطوا حقوق الانسان وأبطلوا الرق ؛ يمكنهم ان يخدموا الانسانية . أما نحن سكان هذه القرية الصغيرة ؛ أو أنت يا ولدي الصغير ؛ كيف يمكننا ان نفيد الجمعية البشرية . وإنما هي مكونة من جملة جمالك ، وشعوب وأمم ، كل واحدة منها يتكلم أعضاؤها بلغة واحدة ، ويخضعون كلهم لعادات واحدة ، ولشرائع واحدة ؛ وكذلك يدافعون عن أنفسهم أمام عدو واحد .

فكل واحدة من تلك الأمم ، تنشأ بالاتفاق في بقعة من الأرض ، فتربط معها بكافة الروابط التي نعلمها ، تكون جمعية مستقلة نسي وطناً . قانون هو الحد الأوسط بين الأسرة القليلة الاتساع ، التي نضع آمال الانسان ولا تفي بها حاجاته ، والجمعية البشرية التي امتدت

أطرافها ، فضمت بين شقيها الناس أجمعين ، فضغت بانعائها  
أسباب الأهداد بينهم بل استعالت

وما قناه عن الجمعية البشرية وفضائلها ، ينطبق أيضاً على الوطن  
الذي فيه يتحقق معنى الاشتراك وتقسيم العمل . وقد ذكرنا المزايا  
التي لولائها ماتم النجاح المادي ، ولا توفر رغد العيش . لأن الاشتراك  
في العمل وتقسيمه ، لا يمكن حصوله بين أعضاء الجمعية البشرية ؛ بل  
يكون أسهل بين أعضاء البلد الواحد

وهل لك يا بيني ؛ أن تصف مقدار الفوائد المعنوية التي يكتبها  
الانسان من وجوده في الوطن ؟

القليد - بكل تأكيد وبلا أقل عنا : ان قرينا هذه المقبرة ،  
كان بها من مدة خمسة أعوام ، منزل حقير فيه مدرسة لا تسع أكثر  
من خمسين تلميذاً ؛ وذلك كان المعلم يضطر ان يطرد عشرين طالباً ،  
او أكثر في كل عام . أما الآن ، فقد تأسست بها مدرسة فاخرة  
تحتوى على كل ما يلزم للتعليم ؛ وانتقل كل الفضل في ذلك للوطن ،  
ومشروعات حكومة الوطن .

الاستاذ - وفي الكنوز المجاورة التي لا تبعد عنا بأكثر من ستة  
كيلومترات ، كيف كان يتيسر لأهلها ان يرسلوا اولادهم الى تلك  
المدرسة ؟

القليد - انما ما كان يأتي منها الأقليل ، من لا يزيد عددهم

عن الاثنين او الثلاثاء ، من كبار التلاميذ ؛ اما الصغار ، فأنهم لا يستطيعون ان يمضوا ثلاثة فراسخ في اليوم  
الاستاذ - اذاً ، لقد كان ذلك ظمأً فاحشاً ؛ لأن سكان الكفور الصغيرة التي لا يتجاوز مقدار أهلها ثلثائة نفس ، لا يمكنهم انشاء مدرسة على حسابهم . أما الآن ، فقد أصبح في كل كفر مدرسة خصوصية ، وابتدأ كل الوطنيين يتعلمون ويتورون ؛ والفضل كل الفضل في ذلك ، لجامعة الوطن .

ان الوطن لم يخصص خيرات في التعليم الابتدائي قط ؛ ولكنه أنشأ كثيراً من المدارس العليا والجامعات ( حيث يتخرج فيها الاطباء والحامون والمهندسون والأساتذة وغيرهم ) ، وكذلك جميع المعاهد العلمية ، والمراسد ، ودور الآثار . فان كل ذلك مما تنفق عليه الحكومة . وبالجملة ، فان كل ما كان مفيداً لتعليم الأمة ، او داعياً لنجاح الانساني ، او مساعداً على انتشار العلوم والفنون والصنائع ، فمن مديون به للوطن .

التليذ - وكذلك قد تحققت الآن ، ان جميع الفوائد الأدبية التي نتاجها من الاجتماع ، هي بفضل الجامعة الوطنية .

الاستاذ - اتك لم تحفظي يا بنيتي ؛ أتذكر اذ كنت أشرح لك كيف ان العدل والاحسان ، لم يكونا من الفضائل التي يختص بها فرد من الأفراد ؛ بل أصبحا من النظام العام . فقد كنت أعني بذلك الوطن ،

فأنة - لكي تكون قواعد العدل ثابتة جلية - كان من الواجب ان تكون مقررة باتفاق سكان الوطن الواحد ، ملحوظة بنفس ذلك الشعور ، ومحترمة لدى الجميع . وعلى هذا المثال ، يكون الاحسان أيضاً ؛ لأن أعضاء الجمعية البشرية متفرقون ، ولا يعرف بعضهم بعضاً ، فلا يمكنهم أن يتبادلوا المساعدة .

أما أبناء الوطن الواحد ؛ فيمكنهم القيام بذلك ، بواسطة تأسيس المستشفيات والملاجئ ، التي يلجأ اليها المرضى واليتامى ؛ وبدون الوطن وجماعته ، لا يتيسر للانسان ان يتمتع بمزايا العدل والاحسان .

التفيد - لقد علمت الآن ، ان من الواجب أن يحب الانسان وطنه ؛ ولذلك سأغتنق في حبه طول حياتي .

بلادي وان جارت علي "عزيزة" وأهل وان ضئوا علي "كرام"

### « الملخص »

الوطن ليس عبارة عن أسرة فقط ؛ بل هو جمعية ضرورتها وفضائلها واضحة جلية . والمهيشة الاجتماعية قبل كل شيء . لا يمكن ان تقوم لما قلناه الأ بالوطن الذي يقرب الناس بعضهم من بعض ، ويجعلهم يتعاونون على اكتساب الفوائد المادية ، والأدبية ، والعقلية التي تستوجبها المباشرة .

« ٣ - الوطنية »

الاستاذ - الوطن عبارة عن أسرة وجمعية كما قدمنا ؛ ومن الواجب ، ان يكون لنا قوة نفس الشعور والاحساسات التي نشعر بها نحو الأسرة والانسانية . أتعرف بماذا يعبرون عن هذا الشعور ، اذا كان المراد به الوطن ؟

التلميذ - الوطنية .

الاستاذ - نعم ؛ وبماذا تقضي الوطنية ؟

التلميذ - تقضي بأن يخضع الانسان وطنه ، بصدق واخلاص .

الاستاذ - نعم يجب على الانسان ، ان يحب وطنه ، كما يحب أمه ، وبطبيعة اطاعته لوالده . أما من جهة الحية ؛ فان الطبيعة تختم علينا ذلك بأرقم منا ، والأ ، فمن هو ذلك المصري الذي لا يرقص قلبه طرباً ، عند ذكر اسم مصر ؟ ومن ذا الذي لا يسر لسرورها ، ويحزن لحزنها ؟

التلميذ - نعم ، لقد فهمت ان الانسان يجب عليه ان يحب جميع العالم ؛ الا انه لا يستطيع ان ينكر أمر تفضيله المصريين على سواهم .

الاستاذ - نعم ، ومن ذا الذي يولمك على مثل هذا الشعور ؟ انه وان كلت من الواجب على الانسان ان يحسن معاملة أقرانه وخلاته ، الا انه ليس من الهرم ، أن يحب أقله اكثر من غيرهم .



وعلى هذا القياس ، تكون الحال فيها يختص بالبلد . فحبة بلدياً ، يجب أن تفوق محبة جميع البلاد الأخرى ؛ وأنه لمو العدل لا محالة . فكما أن الوطن خيراته علينا أهم وأكثر من غيره من الأوطان ، يجب أن تكون محبتنا له أكبر

ليس من الصعب أن يحب الإنسان وطنه ؛ إنما الصعب هو احترام شرائعه ، والخضوع لقوانينه وأحكامه .

التليذ - ليس هناك أدنى صعوبة في ذلك ؛ خصوصاً إذا علمنا أن هذه القوانين أساسها العدل .

الاستاذ - كلاً ؛ فإنه ليس أصعب على الإنسان من أن يخضع للقوانين التي تقديس الحقوق الصريحة المعترف بها من الجميع ؛ إلا أن الوطن قد يكون من مصلحته أحياناً ، أن يحدد بطريقة مخصوصة ، شكل الحكومة وطريقة الإدارة ؛ وربما تتج عن ذلك أن تمس آمال وذكري بعض أبنائه . ومع ذلك ، فإن إرادة الشعب ( أى الوطن ) يجب أن تطأها لها الرؤس ، وتخضع أمامها جميع الناس . هذه هي الواجبات التي يفرضها الوطن نحو أبنائه بصفة أسرة . أما فيما يتعلق بوجعية ؛ فإنه يفرض عليهم أموراً أخرى ، ينحصر معناها في كلمتين : التضامن والأخاء ، ، ولا أخالك تجهل معناها .

إن اتحاد المصلحة والشعبة ، لن يكون كما أخبرتك إلا بواسطة الوطن ؛ فهو الذي يسهل طرق الاجتماع ، سواء كان ذلك فيما يختص

بالاعمال الحسنة ، أو بمتزمات العدل والاحسان . ولست في حاجة لأن أشرح لك وجه ارتباط مصلحة الشخص بمصالح الآخرين ؛ كما اننا ليس من الضروري ، ان أوضح لك أيضاً ، ان جميع العالم يجب أن يكونوا اخواناً . . . فالوطن كما ذكرنا هو أوجد طريقة تربط الأسرة بالانسانية ، وتساعد على تحقيق قسدهما . وكل هذه الواجبات يمكن حصرها وتلخيصها في شيء واحد : وهو « الاخلاص » . فالوطنية على العموم هي فضيلة انكار الذات ، وتضحية النفس ؛ وهي تناول جميع درجات الفضيلة ، من أول فرض على الانسان ، وهو اداء ما يجب عليه نحو وطنه ، الى أرقى الخلال درجة وهي الشجاعة

ومن أرقى درجات الشجاعة ، الشجاعة الحربية ، وهي التي تقضي على الانسان أن يعرض حياته للأخطار ، حفاظاً لكرامة بلده وسلامته . وهو أصدق برهان بقدمه الانسان على شديد اخلاصه ، وصدق وطنيته .

ويوجد أمر آخر : هو ان يدعو الانسان أياً كان — بالقول والعمل — الى السلام والعدل والأخاء ؛ ويقم البراهين القوية عليها ؛ وبذلك يكون قد خدم بلاده خدمة جليلة تستحق الاعجاب . أما أمرٌ وأشرف ما يسمى اليه الانسان الحرّ ، فهو ان يتل لقب ( وطني ) عن أهلية واستحقاق .

## « الملخص »

ان الشعور الواجب علينا نحو الوطن ، ينحصر في كلمة (وطنية)  
بما أن الوطن هو عبارة عن أسرة ، فيجب علينا أن نحبهُ ونخضع  
لقوانينه ، كما نحب ونطيع والدينا .  
وبما أنه عبارة عن جمعية ؛ فن الواجب علينا أن نكون مرتبطين  
بجميع أعضائه ، بالشعور والأخاء الذين معناها في الحقيقة (الاخلاص)

## « تمرين »

١. ما وجه الشبه بين الوطن والأسرة ؟ - مِمَّ يتكوّن الميراث  
العمومي لسكان الوطن الواحد ؟ - كيف يكون لوطن سلطة علينا ،  
تضارع سلطة الوالد والوالدة على الأولاد ؟ - اشرح كيف يستجلب  
وجود هيئة اجتماعية ، إذا لم يعرف الانسان له وطناً ؟ - ولماذا يكون  
العدل والاحسان بدون الجامعة الوطنية لا معنى لها ؟ - لماذا كانت  
اطاعة قوانين البلاد من شروط الوطنية ؟



## الفصل الثاني — الواجبات الوطنية

### ٦ — الضرائب

الاستاذ — لقد تكلمنا عن الوطن بوجه الاجمال ، واكتفينا بأن نبين الواجبات العمومية المفروضة على كل انسان ؛ الأنة لا يجعل بنا أن نتف عند هذا الحد من الشرح والتفصيل ، فلنشر في مباحثنا من الواجب أن نشرح الآن الواجبات ، والحقوق الخصوصية التي له نحو ابلاتو ؛ لأنه ليس المراد أن تكون الآن غلاماً صالحاً ، ثم تصير بعد ذلك رجلاً شريفاً ، تحترم أبنا ذهبت ، وحيثما حلت ، سواء كانت في إنجلترا ، او ايطاليا ، او غيرها ؛ بل تكون مصرياً حقيقياً ، ثم بعد ذلك وطنياً صحيحاً ، تحيد اقرانك ، أي أقربك ومواطنيك .

وأول واجب تفرضه مصر على ابلاتها ؛ انها هي الضريبة ، وهي عادة وضرورية . فهل لك أن تخبرني على قدر ما يستطيع تصورك وجه ذلك .

التليذ — لأنه اذا لم تدفع تلك الضريبة ، لا يوجد عند الحكومة نقود تنفق منها على تنظيف الطرق ، والمرة الشوارع ، ودفع مرتبات الموظفين العموميين ، ورجال الضبط ؛ حيث جرت العادة أن يفر

المجرم حسب ارتكابه الجرمية . لذلك كان من الضروري أن تبين  
الشرطة لاقتناء أثره ، والمحققون لسواله واستجوابه ؛ والقضاة لتبرئته  
أو الحكم عليه ، حسب ما يظهر لهم من برائته أو أدانته .

وكذلك أمتثال المرافق العمومية ، كالترج والتمائل والطرق . . .  
فليس من الممكن اتساؤها ، إذا لم يشترك في ذلك جميع الناس .

والجيش ؛ وهو ما يستلزم أكثر التفتتات - عشرون ألف رجل  
يتغنون ، ويلبسون ، ويتسلحون ؛ فقتلهم لم المدافع ، والبنادق ،  
وتبني لهم الحصون ، والقلاع - كل ذلك بأموال لا يستهان بها .

الاستاذ - لك الحق يا بنى ! فإني المضرائب هي التي تقوم بدفع كل  
ما يلزم لذلك ؛ وهي ضرورية وعادلة كما قدمنا . فإنه لما كان الانسان  
عجاً للرفاه ، كان من الواجب عليه اذاً ، أن يضحي شيئاً من ثروته  
في سبيل ذلك ؛ كما هو متبع في جميع البلاد المتقدمة . فالضرائب بناء  
على ذلك ، ضرورية لاجراء جميع الاعمال العمومية ، وحفظ النظام ،  
وما أشبه ذلك . والضريبة يجب أن تكون عمومية والزامية ، بمعنى  
انها تقسم على جميع الاعمال بلا استثناء ؛ كما انها يجب أن تكون  
عادلة ، بمعنى انها تفرض على جميع الناس بطريقة واحدة ؛ وان تكون  
بنسبة ثروة من تفرض عليهم ، لا فرق بين زيد وعمرو ، ولا  
تمييز بين الغني والفقير ، والعالم والجاهل . فالحكومة تقدر الاموال  
على حسب أهمية الأماكن والاطيان ؛ فكلما ازدادت تلك الاهمية ،

ازدادت الاموال . وعلى ذلك تكون العوائد ، أو الضريبة بحسب ثروة الممول . وانى لا أنشك نجهل معنى ذلك ؛ لأنه ليس من العدل أن يتساوى في ذلك نصيب الفلاح الذى لا يملك سوى بيته وفدان أو فدانين ، بذلك القى الذى يستغل من أرضه مئات من الدنانير سنوياً . وما قيل عن الزراعة ، يمكن أن يقال عن التجارة أيضاً ؛ بمعنى ان الخابوت الذى لا يزيد ربحه على بعض آلاف من القروش مثلاً لا يساوى مع ذلك الذى يزيد ربحه عن آلاف الجنيهات . اذ العدل يقتضى بأن يدفع كل وطنى جزءاً من النفقات اللازمة للومان ؛ بشرط أن يكون ذلك على قدر حاله المالية . فأصحاب الاراضي النسيحة ، والتجارات الواسعة ، مكلفون بأن يدفعوا للحكومة أكثر من غيرهم ؛ كما أنهم يكلفونها في حراستهم أكثر . والحدودى الذى يملك عشر مركبات تشغل الطريق طول النهار ، لا يصح أن يؤخذ منه ، ما يؤخذ من ذلك الذى لا يملك سوى مركبة نقل صغيرة - وبالجملة ، فان كل وطنى صادق ، يجب عليه أن يؤدى ما للحكومة كل عام بطيب خاطر ؛ وكل من يتأخر عن القيام بمقدمة الوطن ، يكون أخط وأحقراً من ذلك الذى يأبى ان يسى للاتفاق على أسرته .

### « الملخص »

ان الوطن الوحيد الذى يجب علينا أن نعرفه وتنفق في خدمته

انما هو (مصر). وهي التي لها علينا واجبات خصوصية ، أولها الضريبة التي هي ضرورية وعادلة . والضريبة في مصر عمومية والزامية ، كما انها عادلة ونسبية .

### « ٢ - الانتخابات »

التليذ - لقد فهمتُ يا سيدي الأستاذ ، ان دفع الضرائب ، انما هو من الواجبات المفروضة على كل شخص نحو وطنه ؛ ولكنني لا أرى لزوماً لاشتراك جميع الناس في تقدير تلك الضرائب . فإذا أنا أثبتُ عني غيري ، أو كان عندي ما يشغلني عن الانتخاب - فأني ضرر هناك في امتناعي عن الحضور عند انتخاب النواب ، وأعضاء الشورى ، ولتقدير الضرائب ، وتقرير كيفية سرياتها ؟

الأستاذ - لستُ مصيداً يا سيدي ؛ ولكنني قبل أن أظهر لك خطاك ، أريد أن أوجه اليك سؤالاً : ألم يكن المتعوبون والاعضاء مكلفين بشئٍ غير تقدير الضرائب ؟

التليذ - اعلم يا سيدي ، انهم مكلفون أيضاً بسن القوانين التي تحتاج اليها المعارف والحقايق ، والداخلية والاشغال ، والحربية وغيرها ولكن ، ألا يقل ضمناً ، ان الانسان متى كان وانتم بالحكومة ؛ قائماً بفضل عدم الاشتغال بالسياسة ، وانتم يعيش هادئاً ، لا يراحم انساناً في انتخاب زيد ، أو اسقاط عمرو ؟

كنت ذات ليلة بالطاحونة لعمل خالص ، فسمعت الطحان يقول : « انتى لى أنت داخل فيما لا يعنى . لقد مضى على عشر سنوات وأنا لا أُنخب ، فلينشأحن على ذلك خلانى ؛ أما أنا ، فلا احرك ساكناً ؛ فأنا أكبر من ان أعرض نفسى لثل ذلك » أليس له الحق يا سيدى الاستاذ؟

الاستاذ - هب انك كنت جدياً ، وكنت فى احدى المواقع ؛ وانك بمجرد ان اشتبك القتال ، ودارت رحى الحرب ؛ اجهدت فى ان تكون بأمن من الثيران ، بينما ترى الآخرين يقاتلون مستمتين . ثم أنت تقول « ومالى أعرض نفسى للهلاك ؛ — دعهم يقاتلوا كما يشاؤون ؛ « أتظن انك تكون قد أحسنت عملاً ؟  
الطيب - كلاً... كلاً...!

الاستاذ - عرفت ما تريد ان نصيب به... أنت تريد ان تقول ان السياسة ليست الأعباء عن اشتغال الانسان بالاعمال العمومية ، ولم تكن موقعة من مواقع الحرب ؛ حيث يمرض الانسان نفسه للاخطار ، فلا عدو يرجى قيده ، ولا بلد يراصد الغارة عنه ؛ وان هى الأمشاحة ، والحقيقة ان كليهما واحد . لأن ذلك العمل لا يقصد به الأسلامة الوطن ومستقبله . فبعضهم يود ان يدير ادارته على طريقة مخصوصة ، والآخر يفضل على تلك الطريقة غيرها . فهذه الآراء المختلفة ، تجتمع فى نقطتين متضادتين ؛ ويأخذ



كل فريق يدافع عن رأيه ، ويسعى في استقالة الآخرين اليه ؛  
وبذلك تسير الحكومة في الطريق الأصح .

فإذا كان لك رأي صائب مفيد لوطن - ألا تدري انك تجني  
أكبر جناية ، اذا لم تحض غمار تلك الموقف السلية ؛ ان جنائتك في  
هذه الحالة ، لا تقل عن جناية ذلك الجندي الذي يفر من مواقع القتال .  
أما ما قاله الطحان ؛ فهو حديث رجل يستسلم لجميع الاشياء ،  
فلا يهتم الا بأمر نفسه ؛ وانه لرجل خائن ، لا يحب وطنه ، ولا يعلق  
أدنى أهمية على سماعته وشرفه . فإذا ما فعلت أنت كذلك ، فانظر  
الى أين يكون المصير ؟

ان الامتناع قد يكون خطأ ، الأ أنه قد يتحول في بعض الاحيان  
الى جريمة ؛ لأن الضرر قد ينشأ أحياناً من القعود عن عمل الخير .  
القليد - لك الحق ياسيدي ؛ الا انه من الصعب أن يعرف  
الانسان كيف ينتخب .

الاستاذ - انه لكذلك حقيقة ؛ ولكن الانسان يجب عليه ان  
يحاط بكل الوسائل ، ليكون في جانب الحق والعدل . فينتخب قبل  
كل شيء ، بهام الحرية ، وحسب ما يوافق ذمته وضميره . ولكي  
يكون الانتخاب حراً ونزيهاً ؛ يجب على من ينتخب ، ان يبحث  
بحناً دقيقاً عن حالة من سيتخبه . فمما يطلع على الصحف ، ويعقد  
النية على الاشتغال بصالح بلده ، يسعى في معرفة صناعة ومكانة المصنوع

الذي سيقرر انتخابه ؛ وكذلك يسأل عن ماضيه ، وأخلاقه ، وآرائه ؛  
حتى إذا ما سئل عن سبب انتخابه لذلك العضو ، أفتع سائليه . ولذلك  
يجب ان يكون المنتخب مستقلاً ، ومن العار ان يخون العهد .

### « الملخص »

يجب على الانسان أن يهتم بأعمال بلده ؛ كما يجب عليه ان يحضر  
الانتخاب ، لينتار بواسطة من يتخيه الطريقة التي رأها صالحة  
للسير على مقتضاها . أما الامتناع فهو خطأ . وقد يكون أحياناً جريمة .  
الانتخاب يجب أن يكون حرّاً وعلانياً . فإذا ما انتخب العضو وجب  
أن يحترم استقلاله ؛ كما يحترم ذلك الأمر الذي عهد به اليه .

### د ٣ — الخدمة العسكرية

الاستاذ — هل ذلك هو كل ما يجب على الانسان نحو وطنه ؟  
أليس هناك أمر هو أكثر أهمية ، وأوفر حظاً من كل ما تقدم ؟ تذكر .  
التليف — الخدمة العسكرية .

الاستاذ — نعم ؛ هي بعينها ؛ وهل تقدر أن تذكر أهميتها ؟  
التليف — أرى يا سيدي انه إذا كان لـصـر جيش ، كلفت من  
الواجب على جميع المصريين ان يكونوا من أفراده ؛ ولكنني لست  
أدرى ما ضرورة الجيش . أليس من الممكن أن تنفق مع جميع الأمم

الأخرى ، على ابطال الحرب ؛ او - اذا كان ولا بد من ذلك - فلم لا تقوم الأمة عن بكرة أبيها ضد العدو عند الاقتضاء ، ان الجنود لا يشتغلون طول حياتهم بنير التمرينات العسكرية ، والأعمال الحربية ؛ ثم هم يجرمون أسراتهم وجودهم بينها ، وينسون صلتهم التي تملؤها .  
الامتياز - هذا من التصور الخيالي يا بني ! هذا فرض المستحيل !

وأنت قد جمعت في قولك هذا ، نوعين من هذا الخيال

فأما الأول ، فهو ظنك انه من الممكن ان تتفق مع جميع الأمم الأخرى على ان يسود السلام . فكلم فكر المتكبرون في ذلك ، وكلم تكلموا عن ضرورة نزع السلاح ، وتعيين لجنة تحكم ، يكون الغرض منها الفصل في المنازعات التي تقع بين بعض الأمم وبعضها بالطرق الحية . . . اعتقد اننا اذا قررنا نزع السلاح ، فان الآخرين لن يتبعونا في ذلك ؛ بل بالعكس يتجهزون للفرصة للانفازة على املاكنا ومصالحنا . والبلد الذي ليس فيه جيش عامل ، ولا جنود مدرَّبون في وقت السلم ؛ يتعرض لكثير من الاخطار ، ويقع في قبضة جله الذي يكون أكثر احتراقاً منه .

وأما الثاني ، وهو اقتراحك ان تخرج الاهالي دفعة واحدة لمقاتلة العدو ؛ فلقد كان ممكناً في سنتي ١٧٩٢ و ١٧٩٣ ، وبه تخلصت فرنسا ، وما ذلك إلا لأن ( السونكي والقراينه ) ، كانتا هما السلاح الوحيد لجميع المحاربين . أما الآن وقد اخترع ما يردى الانسان عن

يُجد ، بحيث لم تعد تنفيذ الشجاعة ؛ فقد أصبح النظام ، وضبط استعمال الأسلحة ، واتقان الحركات العسكرية وغير ذلك ، وامكان حشد جيش عظيم وقت الحاجة من أهم الضرورات .

التليذ - ولكن ؛ هل من الضروري أن يندمج جميع الشبان ، في سلك العسكرية ؟

الاستاذ - اننى لا أقول انه من الضروري ؛ بل أقول انه من المفيد جداً . لأن وفرة عدد الجنود ، أصل النجاح ؛ وهو الذى عليه المعمول الآن كما أسلفنا ، فضلاً عن كونه مما تقتضيه المساواة . لأنه ليس من العدل ، أن يعرض بعضهم حياتهم للأخطار ، ويحاطروا بأرواحهم ؛ بينما يكون الآخرون في منازلهم هادئين مطمئنين ، لا يؤذون للوطن أدنى خدعة .

أما واجبات الجندي في فرقته ، أو (ألايه) - ولا أظنك تجهل ذلك - فأولها النظام ؛ وبدونه لا يمكن أن يكون الجيش قوياً متيناً ، ذا بطش ؛ كما انه لا يمكن أن يكون النصر حليلة .

والنظام ينحصر في اطاعة أوامر الرؤساء ، ومحبة العلم المصرى واحترامه لأنه هو الذى يمثل الوطن ، ومجده ، واحسانه ، وواجباته المقدسة لدى كل وطنى . أما في مواقع القتال « فالأقدام والاخلاص » ومنها تكون الشجاعة .

من الواجب ان يكون الجيش أفضل مدرسة للوطن ؛ اذ

عليه تتوقف سعادته وشرفه ، وفيه تنحصر كل آماله . انه لم يكن كجزء منصل عنها ؛ بل هو الأمة بتمامها ، تدافع عن نفسها أمام صدمات العدو ، وتطلب من كل عضو من أعضائها الإخلاص والمساعدة الذين يُنتظران من كلِّ منهم ، متى كان سلباً لا علة فيه . وان الجيش ليكون أشدَّ اخلاصاً وأكثر اتحاداً مع الأمة التي هو منها ؛ متى تمرن جميع أفرادها على خدمته منذ الصغر .

فالنظام المدرسي الذي يتعلمه الاطفال منذ طفولتهم ، قد يستهل عليهم التعليقات العسكرية . قلن أطفال اليوم ، هم رجال المستقبل الذين سيدافعون عن وطنهم بكلِّ قوة وحماة .

### « الملخص »

ان الخدمة العسكرية ، لا تقلُّ في الأهمية عن الضرائب والانتخابات وهاتان هما من أقدس واجبات الوطني . فن الضروري ان يكون لكل بلد جيش عامل ، يحفظ كيانه واستقلاله ؛ والخدمة العسكرية يجب ان تكون إجبارية للجميع ، وهو العدل لا محالة . ليس الجيش الأمانة كلها ، تدافع عن نفسها أمام العدو ، وتتمدد بواسطة النظام والتدريب ، لحفظ ميراث الأقدمين

« محرن »

لماذا كانت الضرائب من أهم الواجبات المفروضة على كل وطني نحو وطنه ؟ — اذكر ما تعلقه عن ضرورة الضرائب وشروعيتها — لماذا يعد اهتمام الانسان بشؤون بلده وسير أعماله فرضاً واجباً ؟ — كيف يعبر الانسان عن رأيه وفكره ؟ — ما رأيك في أولئك الذين يمتنون عن اعطاء أصواتهم في الانتخابات المهمة ؟ — لماذا كان من الواجب على كل أمة — والحالة هذه — ان تعد لها جيشاً عظيمياً قريباً ؟ — لماذا لا يكون قيام الأمة بأكملها دفعة واحدة للحرب ، من الأمور المفيدة ؟ — لماذا كانت الخدمة العسكرية إلزامية ؟ — ما الذي يقتضيه النظام ؟ — لماذا كانت من الضروري ان كل قوة مسلحة يجب أن تخضع لنظام مخصوص ؟ — ما فائدة التدريب العسكري المدرسي ؟



الفصل الثالث — الحقوق الوطنية

« ١ — المساواة »

التليذ — لقد أوضحت لي يا سيدي الاستاذ — فيما سبق — جميع الواجبات المفروضة على الوطني نحو وطنه ؟ ألا أنك لم تذكر شيئاً عن واجبات الوطن نحو ابنائه ؟

الاستاذ — الحقوق يا بنى نتيجة القيام بالواجبات .

التليذ — وما معنى ذلك ؟

الاستاذ — معناه ان الحقوق تنشأ من نفس تأدية الواجبات ؛ لأن الواجبات المفروضة على غيرنا لنا ، هي حقوق لنا . ولذلك كل كل حق مرتبطاً بواجب ، وكل واجب مرتبطاً بحق ؛ كما هو الحال في جميع الجمعيات المنظمة .

التليذ — اذآ ، يجب على من يريد معرفة الحقوق ان يبدأ بمعرفة الواجبات المفروضة على كل مصرى قانوناً .

الاستاذ — نعم يا بنى ؛ وقد تنقسم هذه الواجبات الى ثلاثة أقسام :

الاول — دفع الضرائب ( أعني مقاسمة الوطن في نفقاته ) ؛

الثاني — حق الانتخاب ( أعني الاشتراك فعلاً في ادارة

حكومة البلاد ) ؛

الثالث — الخدمة العسكرية ( أى الدفاع عن الوطن ، والمجاهدة

عنه أمام العدو) . ولتبحث عن الحقوق التي تترتب على هذه الواجبات .

ان في فرض الضرائب على الممولين ، بلا فرق ولا تمييز بين

رتبهم ووظائفهم ، برهاناً على ان جميع أبناء الوطن سواء في نظر

القانون وجميعهم — بما اهتم مكلفون بدفع نفقات ادارة البلاد كل

بحسب ثروته — لهم حقوق شرعية واسدة ، كحق التملك لجميع ما يرثه

الانسان ، أو يكتبه بعده ، طبقاً لقوانين الرعاية . والجميع — كما

أنهم متضامنون في حاجيات الوطن - لهم حق الاشراف على طريقة  
توزيع الاموال العمومية على تلك الحاجات .

وما تقدم ، ينتج ثلاثة حقوق للوطن :

الاولى - المساواة المدنية ؛

الثانى - حق الملكية ؛

الثالث - حق الرقابة على استعمال الاموال التى تعقدت برأى الامة .

وليس المراد من تساوى الافراد ، ألا يكون بينهم الضعيف  
والقوى ، أو الفقير والغنى ، أو الوضع والرفع ؛ بل كل هذه الفوارق  
الظاهريّة التى هى نتيجة الاتفاق والمصادقات ، لا تزال موجودة ؛  
ولكن لا تأثير لها في الحقوق العامة . بمعنى أن الغنى القادر اذا اعتدى  
على القانون ، هو مل كما يعامل أحرص صانع أو مزارع ؛ وبالعكس كل  
من خدم بلاده بصدق واخلاص ، كانت له المكافأة الحسنى ، ولو  
كان وضعياً

ولما كان الناس متساوين لدى القانون ، وجب أن يتمتع كلٌ بما  
يملكه من ثمار أعماله بأمان وطمأنينة تامة . أى أن يكون محترماً في  
شخصه ، محترماً في ماله ، ووجوب على الهيئة الاجتماعيه أن تؤيد له  
احترام جميع حقوقه ، وذلك بواسطة القضاء العادل .

ولما كان كل فرد يدفع جزءاً من نفقات الادارة العمومية للبلاد ؛  
كان له الحق في مراقبة صرفها في الشؤون العمومية .



وتكون هذه المراقبة بواسطة النواب المتدوين عن المديرية أو المركز ، في مجالس المديرية ، أو المجالس التأسيسية الأخرى ؛ وهم الذين يعرضون للحكومة مطالب ورغبات المنتخبين من قبلهم .  
فالافتراع العام ، هو المؤيد لبدا المساهمة بين أبناء الوطن ؛ وبواسطة المتدوين يتيسر لجميع مراقبة الشؤون العمومية .

## « ٢ - الحرية »

الاستاذ - قال الاحف معاوية يوماً : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ، اذاً فجميع الوطنيين مثلواون . ولم ذلك ؟ لأنهم جميعاً أحرار . لذلك كان لهم حق الانتخاب الذي بواسطته يمكنهم أن يبدوا وغائبهم المتعلقة بالطرق التي يجب ان تنبها الحكومة في ادارة شؤون البلاد .

وقد ينشأ عن الانتخاب ثلاثة حقوق أيضاً :

الاول - الحرية المدنية ، والسياسة ؛

الثاني - حق ابداء الرأي ، والاشترك الفعلي في حكومة البلاد بواسطة الانتخابات ؛

الثالث - السلطة السياسية المتعرف بها بلافيد ولا شرط ، لجموع أهل الوطن الواحد ؛ أعني السيادة الأهلية ، أو سلطة الأمة .

فقد قضت القوانين ان يكون الانسان مستقلاً مشرلاً عن

عمله ، له الحق في أن يشتغل ويعيش بلا خوف ، ولا اعتداء عليه من أي إنسان .

وما سبى تلك الحرية التي خولتها لنا الحكومة ؟ أمعتها أن يفعل الإنسان كل ما يحب ويختار ، بلا شرط ولا قيد ؟ كلا ! فإن الحرية تقضى بالأفعل الإنسان ما فيه ضرر لغيره ؛ وما عدا ذلك فلكل إنسان الحق أن يروح ويبدو حينما شاء ، ويستغل ويستخرج كيفما شاء . مع حرية القول والفعل ما شاء . لأن القانون لا يجرم إلا الأعمال المضرة بالمعيشة الاجتماعية ؛ وكل ما لا يكون محظوراً ، فهو مباح لا عناية . وليس لأبي إنسان الحق في عمل ما لا تبيحه القوانين . إن احترام النوع الإنساني هو القاعدة التي تأسست عليها المعيشة الاجتماعية . وبما أن الإنسان حر - بشرط ألا يتخلل بالظلم العلم - فهو حر أيضاً في أفكاره ومعتقداته ؛ وهو ما يعبر عنه بحرية الضمير كما أنه مستقل الفكر والرأي أيضاً . فإن لكل وطني أن يشكلم ويكتب ، وينشر ما يشاء بكل حرية ، ما دام ذلك غير خارج عن دائرة القانون .

قال ميلتون شاعر الإنكليز : « أعطني حرية القول والنظم ، فإن لا أخاف بعد ذلك على الحق من عواصف الآراء ، واختلاف المذاهب . فإن الحق يملئ المولى عز وجل في المرتبة ؛ ولذلك لا يحتاج في نصرته إلى الكذب أو الحيل »

ولما كان كل انسان حرّاً فليئة الاجتماعية يجب ان تكون كذلك ؛ كما يجب ان تكون لها الحرية التامة في ادارة شؤونها بنفسها. وهذا هو الحق الثاني الذى يشمل الاستقلال السياسى لأهل الوطن . كل أمة أو حكومة ، انما هي عبارة عن جمعية ؛ أعضاؤها ( وهم الوطنيون ) لهم مصالح عمومية لا يتمكنون من مباشرتها شخصياً . لذلك وكلوا أمرها الى مأمورين تعينهم الحكومة ؛ الآ انهم على كل حال ، يحفظون لأنفسهم الحق فى ابداء رأيهم ، فيها يختص بالطرق التى تتبع فى حكومتهم ، والأشراف على اعمال أولئك المأمورين فالجمعية السياسية ، هي عبارة عن اجتماع جملة أشخاص ، لهم حقوق وواجبات ، ومصالح مشتركة ويكون العرض من اتحادهم النظر فى شؤونها العامة ؛ وبالأخص للنظر فى أمر سعادة الوطن . وبما تقدم فهم ان مبدأ الحرية والمساواة بين جميع الناس ، قد فُتد معالم النظام السياسى ؛ لأن كل انسان بما له من المصلحة فى الهيئة الاجتماعية - أى علاقة الأمة بالحكومة فى ادارة المصلحة العمومية - وبما له من الارادة التى لا تقبل فى الاحترام عن ارادة أى انسان كان ، وجب عليه ان يجاهر بها ، ويصل لتأييدها . وكما ان للانسان حقوقاً فى الهيئة الاجتماعية ، هي الحقوق المدنية ؛ فان له أيضاً حقوقاً نحو الحكومة ، وهي الحقوق السياسية . فالأمة هي منبع السلطة ، وباسمها أو بلسم الممثل لها يصدر الأمر

والنهي ، فأصل كل سلطة يجب ان يستمد من الأمة ، وهو ما يعبر عنه  
بالسلطة الاهلية .

### « الملخص »

الواجب الذي يحتم على كل انسان الاهتمام بأعمال الحكومة ،  
له ثلاثة حقوق :

الأول - الحرية المدنية ، والسياسة لكل وطني ؛ ومن ضمنها  
حرية الضمير ، والعمل ضمن دائرة القانون .

الثاني - حرية الاشتراك مع الحكومة ، بواسطة المندوبين  
المنتخبين في الانتخابات .

الثالث - أحقية الوطنيين في ادارة شؤون الوطن ( بلسم  
السلطة الأهلية ) .

### « ٣ - الاخاء »

التفليذ - وواجب الانضواء تحت لواء الوطنية ، والموت في الدفاع  
عن الوطن ؛ ألا يترتب عليه وجود حقوق أخرى ؟  
الاستاذ - نعم يا بني ؛ حق من أقدس الحقوق وأشرفها ، ذلك  
هو « الاخاء » .

اذا ضحى أحداً حياته في خدمة الوطن ؛ فذاك الأ لأنة  
يعتبره كالأأم الواجبة مساعدتها والدفاع عنها . واذا قدم نفسه فداء

أبناء وطنه ؛ فما ذلك إلا لاعتقاده بأنهم اخوته الذين سوف يقدونهم بأرواحهم يوماً ما ، إذا جاء دورهم .

فن حقوق الاخاء ، عناية الوطن بتربية ابناءه صبية صغاراً ، بإنشاء المدارس والاصلاحيات ؛ وبكفالتهم شيوعاً ضعافاً ، بتأسيس الملاهي والمستشفيات .

ومن حقوق الاخاء ، اقتضار الوطني بابناء وطنه ، اذا أتى أحدهم امرأً جليلاً أو فعلاً جهيلاً ، بهتراً فرحاً اذا رأى العلم المصري خفاقاً يحمل في ثيابه مجد مصر الأثيل ، ويحزن في غربته حين الوطن لتذكرى ذلك البلد الأمين .

ومن حقوق الاخاء ، حماية الشبان لكل ضعيف : من شيوخ وأطفالهم وربات حجال ، كما يهين الفتى أباه الكبير ، وأخاه الصغير عند حلول الأخطار ، وتغير الأحوال .

واذا مات الوطني في ساحة الوغى والقتال دفاعاً عن وطنه ، بكاه قومه بكاء الأبح لأخيه ، ووضعوا على رصم أكاليل المجد والفخر ، وخطبوا ذكراه مدى الأيام بالحمد وحماس الأثر .

فالاخاء هو سلوان النفوس ، وميثاق القلوب ، والفداء المدوح عند الحاجة إليه .

« تمرين »

ما معنى كل واجب يترم ان يكون مقروناً بحق ؟ - كيف يكون جميع الوطنيين سواء أمام القانون ؟ - اذكر حقوق الملكية - لماذا كان لكل من يدفع الضرائب ، حق الرقابة على ما يصرف من تلك الأموال - ما معنى الحرية ؟ - ما حرية الضمير ؟ ألا يعد القانون عقبة في سبيل حرية الشخصية - ما السلطة الاهلية ، وكيف يكون لكل وطني نصيب منها ؟ - ما الواجبات ، والحقوق التي ينشأ عنها الاخاء بين جميع الوطنيين ؟

•



تم الجزء الثاني ويليه الثالث وأوله ( القانون العام )

# فهرست

## الجزء الأول

سجدة	سجدة
٢٨ (٢) قانون الوضع	الجزء الاول
٣٠ (٣) الادب	الباب الاول - في الادب
الياب الثاني	الفصل الاول - الحرية
(١) الاسرة	٥ (١) النواحي الطبيعية
(٢) واجبات الآباء للابناء	٧ (٢) النفس والارادة البشرية
٣٨ - الاعتداء المادي	٩ (٣) الحرية الشخصية
الواجبات العقلية والادبية	الفصل الثاني - القانون الادبي
(٣) السلطة الابوية	١٢ (١) الضمير
(٤) احترام الوالدين	١٣ (٢) المشولية
(٥) الاعتراف بحبيل الوالدين	١٦ (٣) القانون الادبي او قانون الاخلاق
(٦) واجبات الاولاد نحو أنفسهم	الفصل الثالث - في الخير
(٧) واجبات الاطفال في المدرسة	١٨ (١) شرف الالسانية
(٨) الخدم	٢٢ (٢) الزراعة وحب الذات
(٩) الحيوان	٢٥ (٣) خلود النفس
(١٠) روح الاسرة	الفصل الرابع - في الواجب
	٢٧ (١) الواجب

﴿ الجزء الثاني ﴾

سجفة	سجفة
١١٣ (٣) فضائل الاحسان	﴿ الجزء الثاني ﴾
الباب الثاني	الباب الاول - الهيئة الاجتماعية
الفصل الاول - الوطن	الفصل الاول
١١٩ (١) الوطن عبارة لسرة	٦٩ (١) فصل الجمعيات
١٢٣ (٢) الوطن عبارة جمعية	٧٥ (٢) الحاجة الى الاجتماعية
١٢٨ (٣) الوطنية	٨٠ (٣) قائمة الاجتماع
الفصل الثاني	الفصل الثاني
الواجبات الوطنية	(١) العدل في الهيئة
١٣٢ (١) الضرائب	٨٥ الاجتماعية
١٣٥ (٢) الانتقابات	٩٠ (٢) مستلزمات العدل
١٣٨ (٣) الخدمة العسكرية	٩٨ (٣) معاملة المرء لغير أهل
الفصل الثالث	ديته
الحقوق الوطنية	٩٩ (٤) فضائل العدل
١٤٢ (١) المساواة	الفصل الثالث
١٤٥ (٢) الحرية	(١) الاحسان
١٤٨ (٣) الاخاء	١٠٩ (٢) الاحسان في الجمعية





# مبادئ الأخلاق

رابعة

ابن واصف بك

مدير الجزيرة

علموا اولادكم قائلهم  
علموا لزمان غير زمانكم  
• السلام على •

قررت نظارة المعارف استعمال هذا الكتاب  
في المدارس الابتدائية والثانوية

الجزء الثالث والرابع

في النظام الاداري والاقتصاد السياسي

مطبعة المعارف بشانجanghai بمصر

١٣٣٠ - ١٩١٢ م



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على جميع أنبيائه وأمهاته



## مقدمة

الغرض من هذا الكتاب

معرفة الانسان لنظام وطنه الاجتماعي والسياسي ، أعني معرفة حقوقه واجباته نحو مواطنيه ، وحكومة بلاده ، والقوانين التي يخضع لها ، وشكل الهيئة الحاكمة ، المفروض عليها مباشرة احترام هذه القوانين وإنفاذها ، وحدود سلطان هذه الهيئة ، فرض عين على كل وطني ؛ لا يختص به رجال القانون دون غيرهم ، كما يتوهم بعضهم ، بل القانوني ، والمهندس ، والطبيب ، والفلاح ، والصانع ؛ والتاجر كلهم سواء من حيث يجب عليهم معرفة هذا النظام ، كما يجب على كل امرئ ان يعرف تاريخ بلاده وجغرافيتها

هذا هو الغرض الذي لأجله وُضع مثل هذا الكتاب في المالك  
التي أخذت نصيبتها من العلم والمطالعة ، وعلى بقائه في المدارس .  
حتى إذا ما خرج التلميذ من حوز التعليم ، إلى ميدان العمل ؛ خرج  
بصيراً بأحوال الوسط الذي هيّئ ليعيش فيه . والله الموفق لما فيه  
خير عباده

محمد امين واصف



## جزء الثالث

# الباب الأول

## أصل القانون العام

القانون العام هو مجموع القوانين الخاصة بنظام البلاد (الاجتماعي والسياسي) ويجب ان تكون هذه القوانين مدونة الأصول الأساسية؛ بعد موافقة الأمة عليها - بجمهورية تامة - ( هذا هو شكل الحكومات التمدنية الآن ) .

ولقد كانت القوانين والاحكام - قبا مضى - مشيئة الملوك والأمراء ؛ وكانت تلك المشيئة غير محدودة الأطراف ، كما كانت طاعة الأمة طاعة لانهاية لها - على ان المصادقات أتاحت في بعض الآونة وجود ملوك وأمراء عادلين ؛ أخذوا يد أمهم فأحلوها خدوة المجد والسعادة غير ان لأمثال هؤلاء العظام في التاريخ صحفاً قليلة أقامت الأمم على استنائها أجيالاً طويلاً ، صامسة لا تتكلم ،

عامدة لا تتحرك ، تهيأ كفة ونمينا كفة ؛ حتى هس الدهر في  
آذان الأمة الفرنسية فاستيقظت من رقدتها ونهضت من غفلتها ،  
وكانت الثورة الكبرى في سنة ١٧٨٩ ميلادية . فخطمت صروح  
الملك القديم ، ودكت معالم الحكومة الجائرة ، وأعلنت حقوق الانسان .  
وهي الحجر الأول في بناء القانون العام لجميع الممالك اليوم



## اعلان حقوق الانسان

### ١ - الحقوق المدنية

وضع اعضاء الجمعية الدستورية - في سنة ١٧٨٩ - نظام  
الحكومة الفرنسية الجديد على قواعد ثابتة ، وحقائق عقلية ؛ بحيث  
يكون بعبداً عن جميع المؤثرات والظوائى . ولذا صدروا قانون  
اعلان حقوق الانسان ببادئ اديية ، واصول حكمية ؛ ولم يهتسوا  
بوضع قوانين سياسية . فجاءت موافقة لكل زمان ، متعقة مع كل  
مصالحة ؛ لأنها بُنيت على العدل والتسامح ، وقصد منها ان يتبع  
اعضاء الجمعية - في عملهم هذا - سبباً طبيعياً مأموناً . فاشتغلوا  
بإقرار حقوق الفرد ، قبل البحث في تحديد نظام الحكومة وشكلها ؛  
لأن الوطن عبارة عن مجموع افراد ساكنيه . فلذا تحققت لكل منهم

حريته وكرامته ، كان الوطن حراً عزيز الجانب .

واقف أنصف نواب الأمة ، اذ اعتبروا الجهل بحق الانسان ،  
وتركها في زوايا النسيان ، أو الاستهانة بها - مع كونها حقوقاً طبيعية  
مقدسة لا يجوز التنازل عنها - أسّ المصائب العامة ، وعلّة اختلال  
الحكومات ، فقرروا للانسان حقوقاً جعلته مستقلاً مستولاً من  
أعماله ، وهي :

( ١ ) - د يولد الناس أحراراً ، ويموتون أحراراً - ( المادة ١ )

( ٢ ) - د حقوق الانسان الطبيعية التي لا تسقط بمضي المدة :

هي الحرية ، والعلانية ، ودفع الظلم - ( المادة ٢ )

فما تكون اذاً حدود هذه الحرية ؟ يفعل الانسان ما يشاء بلا  
مبالاة ؟ الجواب : كلاً ؛ الحرية هي عمل المرء ما لا يضرّ غيره  
شرعاً ولا أدباً ؛ أما استعمال الانسان حقوقه الطبيعية فحده : ان  
لا يسّ حقوق الآخرين فيمنهم ان يتمتعوا بها مثله على السواء  
( المادة ٤ ) . وبعد هذا هو حرّ في غداك وروحك ، حرّ في كده  
وراحته ، حرّ في أقواله وأفعاله . انفت عن مجموع تلك الفوارق  
الظاهرية التي كانت لتلك العهد نشطر الناس الى شطرين : أحراراً ،  
وعبيد ؛ أو تجعل للدولك والأمراء حقّ التصرف الاختياري في رقاب  
الرعايا وأموالهم وحرّيتهم .

لا يجوز القبض على أي انسان ، أو اتهامه وسجنه ، الا في

الأحوال المعينة في القانون ، وبالغارق المينة في - ( المادة ٧ )  
لا يحرم القانون الأ أفضل الضارة بالمينة الاجتماعية ؛ وما لم  
يحرم القانون فهو مباح ولا يكلف انسان بأداء أي عمل لم يأمر به  
القانون - ( المادة ٧ )

بذلك أصبح الانسان محترماً في شخصه ؛ وعلى هذا الاحترام  
قامت دعائم النظام الاجتماعي الجديد : حرية العقائد نتيجة من نتائج  
الحرية الشخصية للانسان ، وتولى أبناء الوطن مقاليد الوفاة - بلا  
تفاوت بينهم الأ بالعلم والفضل - أمر من أمر المساواة .  
والملكية أصبحت من حقوق الانسان المقدسة ؛ لأنها من  
مستزمات الحرية والمساواة ؛ فكل ما يمتلكه الانسان لا يجوز نزع  
من يده ، ولا حرمانه الاكتفاح به بنهر وجه شرعي .

## ٢ - الحقوق السياسية

الحقوق السياسية التي أقرتها الجمعية الدستورية هي : ( ١ ) حق  
الاشتراك في وضع القوانين . ( ٢ ) تشكيل الحكومة . ( ٣ ) تكوين  
القوة المسلحة ( الجيش والبوليس ) التي تعمل لاحترام هذه القوانين .  
( ٤ ) فرض الضرائب ، مراقبة وجوه صرفها .  
إذا اشترك ثلاثة نفر في استنجاز ضيقة ( عزبة ) بمائة جنيه  
( فدفع كل منهم فيها مائتين ) ؛ ثم زرعوها وربحوا منها بعد نفقات



الزراعة ألباً وماكين ، قسم ذلك الربح مبلغاً الى ثلاثة أقسام متساوية  
فقال كل منهم أر بمثابة جنيه ؛ ومنى ربحت شركتهم استمروا فيها .  
وفي مثل هذه الشركة ، يكون لكل شريك حق مباشرة العمل ، وما  
يرجعه يكون ملكاً للجميع على السواء ؛ وما يفتقهُ أو يتعهد به يلزم  
الجميع كذلك .

غير ان كل شركة لا يتفق ان يكون أعضاؤها ثلاثة أو أربعة ؛  
فقد تتكون من ألف ، أو عشرة آلاف شريك اجتمعوا للقيام  
بمشروع عظيم ؛ كانشاء سكة حديدية ، أو مصنع من المصانع الكبرى ؛  
على ما يشاهد في تأسيس الشركات التجارية والصناعية المعروفة .

فتمه الشركات ، لا يستلج القيام بأمرها ؛ جميع الشركاء ؛ بل  
يتخبط لها - عادةً - وكل يدير أعمالها باسم كلغة الشركاء . وعلى  
حسابهم . والمرافقة هذه الادارة ، يجتمع الشركاء ، من وقت لآخر  
- بهيئة جمعية عمومية - ليقرروا فيما بينهم نظام الادارة ، وطريقة  
الاستغلال ؛ لأن نجاح العمل عائد عليهم ، وفشله لاحق بهم . وعند  
اختلاف الآراء يرجح رأى الأغلبية . وإذا يجب على الأقلية القبول  
والاذعان مادامت الشركة قائمة .

كذلك الحكومة جمعية أعضاؤها جميع الوطنيين ؛ لأن لهم  
مرافق واحدة مشتركة فيما بينهم ، وان كل ما يعود بالنظر على الوطن  
عائد عليهم ، ولم - كلهم - ان يعملوا على تقدم البلاد وسعادتها .

هذه الآراء الحديثة ، كانت فيما مضى مجهولة لدى الأمم قاطبة ؛ حتى جاءت بها الأمة الفرنسية ، وبحثت بأشعتها على العالم ؛ فأضحت الآفاق على اختلافها ، وزهرت حجب الظلام شيئاً فشيئاً . ولكن ، من الأمم من أهملها ، ومنهم من قلدها ؛ ومنهم من تباطأ حتى تنهأ الأسباب وتفتح الأبواب . إذ ليست الأمم على استعداد واحد ؛ فقد ينفع نظام مخصوص أمة ، وهو قسره بغيرها إذا اتبعته وسلكت سبيله .

فإنك هي المبادئ التي بنت عليها ( الجمعية ) الدستورية بيان الحقوق السياسية للإنسان .

أما تلك الحقوق فهي : الحرية ، والمساواة ، والملكية . ولا سبيل الاحتفاظ بهذه الحقوق ، إلا بوضع قوانين تبين علاقات الأفراد بعضهم مع بعض ؛ حتى لا يعتدى ذو قوة على أضعف منه . والقانون هو الضامن لحقوق الأفراد ؛ لأنه يحتم عليهم واجبات يؤدونها لمصلحة جميعهم .

ومن ذا الذي يضع هذه القوانين ؟ يضعها الجميع ؛ لأن القانون يعتبر نص إرادة الأمة ، ما دام لكل فرد حق الاشتراك في وضعه وتكوينه ؛ أما بنفسه ، وأما بواسطة نوابه - ( المادة ٦ )

ليس لأحد ما سلطة خارجة عن القانون ، وكل عمل اختياري آخر يعاقب قاعده - ( المادة ٧ )

ويجب على الجميع احترام القانون ، فكل فرد طلب للحضور ،  
أوقبض عليه بمقتضى القانون ، وجبت عليه الطاعة ؛ والأعتبر  
مقارماً - ( المادة ٧ )

لحل الناس على احترام القانون ، ودفع كل اعتداء على الأمة  
- داخلاً وخارجاً - وجدت القوة العمومية ( الجيش والبوليس )  
ووضعت تحت تصرف الحكومة لحماية المصالح العامة لا لمصلحة خاصة  
بالتين يتولون أمرها - ( المادة ١٢ )

وفرض على كل وطني دفع الضرائب التي بدونها لا تستطيع  
الحكومة ان تقوم بالتفقات العمومية ؛ ولكن ، بعد أخذ رأيي في وضعها  
مع مراعاة حقه في المراقبة على وجوه صرفها كذلك .

## سلطة الأمة

الأمة المكوّنة من أفراد متشعبين بحقوقهم : المدنية والسياسية ؛  
شعبية - من كل الوجوه - بشركة أناس لاتعين لادارة شؤونها  
ومصالحها . ولهذا الأمة الحق المطلق في وضع نظام حكومتها ؛ وتبقى  
على السوام المرجح الأعلى لكل سلطة : وهذا ما يسمونه بسيادة  
الأمة أو سلطة الأمة .

ومن هنا يعرف الفرق بين الأمة في هذه الأيام ، والشعب في  
الزمن السالف . فالأمة هي مجموع أهل الوطن الواحد ، المتشعبين بالحرية

والمساواة والملكية ، المتضمنين على مباشرة مصالحهم ؛ بالاشتراك فيما بينهم ، وحماية الحكومة المكونة بناء على هذا الاشتراك .

أما الشعب فكان مجموع أفراد يسكنون بلداً واحداً ، أو عدة بلاد يجمعهم قوة قاهرة حتى إذا ذهبت تلك القوة غرقوا أيدي سبأ . بخلاف الأمة ، فلها متحدة المرافق العامة ، مشتركة المصالح الكافية ؛ تجمعها قوة الحاجة للدفاع عن تلك المرافق والمصالح . سواء بقيت القوة القاهرة أو حالت .

ولا بد للأمة من رأس لقيادتها وحماية الضرائب ، وإنفاذ القوانين ؛ أعني لا بد من ( حكومة ) ، والأحكام فوضي : بلا أمر ولا نهي ، واستحال العيش . هذا من البديهيات المتفق عليها عند جميع الأمم : بادئها وحاضرها ، قديمها وحديثها . وكانت هذه السلطة من القدم للملوك والأمراء ؛ وليس لها من أسباب الأقاليم الموروثة ، وميل الإنسان إلى احترام القديم وتقديسه . أما أسلافهم ، فكانت لهم هذه السلطة بحكم القوة والبطش ، الذين كانوا عبدة الغلبة والاستئثار في سالف الأزمان .

ليس طيشة من الهيئات - إدارية كانت أو قضائية أو سياسية - سلطة ، صغيرة أو كبيرة ، ما لم تكن مستمدة من الأمة بنص صريح ( المادة ٣ )

أيما فرد أو هيئة تدبى الأمة ، للقيام بعمل ما ، لم يترتب عليه

تتألف من جانب من السلطة ؛ بل للأمة حق الاشراف ، ومناقشة الحساب كما رأيت موجباً لذلك ( المادة ١٥ )

هذه أم اركان الحكم في فرنسا وهي آراء حديثة ؛ تجرى عليها جميع ممالك الأرض اليوم - شيئاً فشيئاً - كما تبينت لها الأسباب ، واستعدت الأمم لقبول تلك المنظمات .

والحقوق السياسية الممنوحة للمصريين ، هي نفس الحقوق الممنوحة للمغربيين بمنحى الأمر السلطاني المعروف ( بالخط الشريف ) الصادر بتاريخ ٢٦ شعبان سنة ١٢٥٥ ( ٣ نوفمبر سنة ١٨٣٩ )

وهذه الحقوق : هي المساواة ، والحرية الشخصية ، واحترام الملكية ، وحرية الأديان والتعليم ، واحترام الساكن



# الباب الثاني

## الحدودية المصرية

كانت مصر في القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر فرضى يحق فيها القوي الضعيف ، وكان الناس كالأنعام ، تسوقهم الأمراء المالك بصا الجهل على هوى السلطة . وكان الاقليم الواحد ملكاً لفرء واحد منهم ، يتصرف في أهله وأمواله وأعراضهم ؛ كما شاء ، وشامت أغراضه ، وكلف ضرب الرقاب كخلق الشعر ، أو أيسر خطباً .

فأت الزرع ، وجفّ الضرع ، وهجر الناس مواسمهم وتمّ بذلك خراب القرى والضباع . الى أن ظهر في مجرى الحوادث الجلى التي اتاب البلاد — بطل الأبطال ، ونابغة الرجال — : المرحوم محمد على باشا الكبير ؛ فاستل سيف العزم وأعمله في الجذوع والأعتاق ، حتى أباد تلك الدولة الطاغية : دولة المالك العاتية . ثم أخذ يرتق الفتق ، ويقوم المعوج ، ويمهى الثوات ؛ حتى كانت قواعد المدنية الحاضرة ، وهذا النعم العظيم الذي نحن فيه اليوم .

وقد اقتضت الحوادث السبابة - في تلك الأيام - زحف

الجيش المصرية على بلاد الشام والأناضول ؛ فاتحم الجيشان :  
المصري والتركي ، في عدة مواقع كانت الغلبة والنصر فيها للأول على  
الثاني . فلم يرَ محمد علي باشا بدءاً من الزحف على الاسكندرية أيضاً ،  
والاستيلاء عليها . فوقف في وجه دول أوروبا ، ووقف هو أمامها  
موقف الأسد فرأوا وجوب استيائه باعطائه ملك مصر - له ولقريته  
من بعده - ونالت مصر بذلك استقلالها الداخلي ( معاهدة لندن  
في ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ )

### « السلطة الخديوية »

جاء في فرمان تولية سمو الخديو المعظم : عباس باشا حلي الثاني  
الذي جلس على عرش الأريكة الخديوية المصرية يوم ٨ يناير  
سنة ١٨٥٣ ما يأتي :

..... خديو مصر يكون مأذوناً له بوضع المنظمات اللازمة  
لداخلة المتعلقة بهم ( بأهالي مصر ) وتأسيسها بصورة عادلة ويكون  
خديو مصر مأذوناً له - أيضاً - بتقيد وتجديد الشرائع مع مأموري  
الدول الأجنبية ، في خصوص الجرك والتجارة ، وكافة أمور الخديوية  
الداخلة . . . . مع أمور ضابطة الأجانب ، بشرط عدم وقوع خلل  
في معاهدات دولتنا العلية السياسية . . . . ويكون - أيضاً - حائزاً  
لتصرفات الكاملة في أمور المالية - ( المادة ٢٤ )

## « سيادة الدولة العثمانية »

تتخصر سيادة الباب العالي على حكومة مصر في ثلاثة أمور :

( الأول ) فيما يختص بالمالية :

(١) يكون تحصيل الضرائب بأجمعها في مصر باسم الحضرة

الشاهانية ؛

(٢) لا تقترض حكومة مصر، إلا بعد استئذان الباب العالي ؛

(٣) تدفع حكومة مصر سنوياً لحكومة الباب العالي ( الوريكو ) ،

وقدره سبعمائة وخمسون ألف ليرة عثمانية ؛

(٤) تضرب الحكومة المصرية قوداً — غير عقود الدولة —

ذات عيار واسعار مخصصة ؛ ولكن يجب ان يكون مقوشاً عليها

اسم الحضرة السلطانية .

( الثاني ) فيما يختص بالأمور السياسية :

(١) يتبين خديو مصر بفرمان يصدر من لدن الحضرة الشاهانية ؛

(٢) لا يجوز للحكومة الخديوية التنازل عن أية قطعة من أراضي

القطر المصري وملحقاته كالسودان ، وجزيرة طورسينا — لأية دولة

(٣) ليس للحكومة الخديوية عقد معاهدات سياسية مع الدول

الأجنبية . وجميع المعاهدات السياسية التي تعقدها الدولة العلية ، تسرى

على الحكومة الخديوية المصرية ؛



(٤) السفارات العثمانية بالبلاد الأجنبية هي القاعة بكافة شؤون مصر السياسية باعتبارها جزءاً من السلطنة العثمانية ؛

(الثالث) فيما يختص بالقوات العسكرية

(١) تحدد قوة الجيش المصري بثمانية عشر ألف عسكري في وقت السلم وفي الحرب تزداد الى الحد المناسب

(٢) لا يكون للحكومة المصرية اساطيل بحرية (مدرعات) ولكن لها ان تنشئ سفناً عادية

(٣) يجب ان تكون الملابس العسكرية والرايت وسائر شارات الملك مماثلة لما هي عليه في الجيش العثماني

(٤) يجب ان تكون الرتب والنياشين واحدة في الحكومتين وللخديو الحق ان يمنح الرتب الى الرتبة الثانية للعلماء والى رتبة اميرالاي العسكريين وما فوق ذلك له الحق في منحه ولكن يخطر به الباب العالي ويطلب براءاته من الحضرة السلطانية



# الباب الثالث

## السلطة التشريعية

### « ١ - مجالس المديرية »

يؤلف مجلس المديرية من المدير، رئيساً، ومن مندوبين لكل مركز من مراكز المديرية .

يُنتخب المندوبون المذكورون بواسطة مندوبي البلاد، لمدة ست سنوات، ويؤدون وظائفهم مجانياً .

ويشترط في عضو مجلس المديرية ان يكون حائزاً للشروط الآتية :

(١) ان يكون بالغاً من العمر ثلاثين سنة كاملة ؛

(٢) ان يكون عارفاً بالقراءة والكتابة ؛

(٣) ان يكون ممن يدفعون مدة ستين أموالاً أحياناً قدرها

خمس وعشرون جنياً مصرباً سنوياً على الأقل - ان كان حائزاً

شهادة عالية، وخمسون جنياً ان كان غير حائز شهادة عالية - ؛

(٤) ان يكون اسمه مكتوباً في دفتر الانتخاب، مدة خمس سنوات

(٥) ألا يكون موظفاً في الحكومة، ولا ضابطاً بالجيش العامل ؛

(٦) ألا يكون عضواً في مجلس مديرية أخرى .

يخلف العضو الجديد ، في مجلس المديرية ، أمام المدير — قبل مباشرة العمل. — بين الإخلاص للجناب الخديوي ، وانخضوع لقوانين البلاد .

تجتمع مجالس المديرية كلما دعاها المدير . وثلاث الأعضاء حق طلب اجتماع المجلس في أي وقت ، إذا طلبوا ذلك من المدير كتابة . لا يجوز لأحد خلاف الأعضاء ، الحضور بجلسات المجلس ، إلا بدعوة منه ، أو من المدير ، أو أحد النظار عند النظر في أمر يتعلق بأحدى المصالح التابعة لفقارته ؛ ولا يكون له رأي معدود في مداورات المجلس .

يعتبر المدير عضواً في جميع لجان المجلس ويرأس كل جلسة بحضورها . لا تكون جلسات المجلس قانونية ، إلا إذا حضرها أكثر من نصف الأعضاء .

عند غياب المدير يرأس المجلس وكيل المديرية .

### « اختصاص مجلس المديرية »

لمجلس المديرية أن يقرّر رسوماً مؤقتة في المديرية ، انصرفها في منافع عمومية ؛ ومنها التعليم .

قرار المجلس في دفع الرسوم ، وفي تخصيصها ، يكون قطعياً ،

ويصدر به الأمر العالي ، ما دام لا يتجاوز الحصة في المائة من مجموع الضرائب في المديرية ؛ والأوجب تصديق الحكومة على الزيادة .  
المجلس ان يبدى من نفسه للتدبير ، ولكل ما تخطر بواعثه ، وكذلك لمجلس النظار ورفقائه فيما يتعلق بمجالات المديرية العمومية ؛ وعلى الأخص في شؤون الزراعة ، والرى ، وطرق المواصلات ، والأمن العام ، والصحة العمومية ، والتعليم .  
لكل ما تخطر من نظار الحكومة ان يستشير المجلس في كل مسألة يرى أخذ رأيه فيها .

تعرض جداول نقارة الأشغال العمومية السنوية المتعلقة بالمديرية في مسائل انشاء الترع ، والمصارف العمومية ، وتطهيرها ، ومناوبات الرى ، على المجلس لأخذ رأيه فيها .  
لا يقام مولد أو سوق في أية جهة من جهات المديرية إلا بعد الترخيص به من المديرية بموافقة رأى مجلس المديرية .  
يقرّر المجلس بمصادقة الداخلية عدد خفراء البلاد ومرتباهم .  
يعين المجلس في كل ستة لجنة من المجلس للفصل نهائياً في الشكاوى من توزيع رسوم انظر بالبلاد التي ليست بها مجالس محلية لا تنشأ عزبة في المديرية ، إلا بعد الترخيص بها ، بموافقة مجلس المديرية ، وله ان يقرّر هدم عزبة اذا صارت ملجأً للذوى السيرة السيئة . أو مأوى للأشقياء .

لمجلس كذلك ان يقرّر انشاء أو امتلاك مدارس في المديرية  
واتخاذ ما يلزم لادارتها .

وله كل السلطة التي نحب لترقية التعليم بأنواعه ودرجاته كافة في  
المديرية .

وله ان يقبل المال أو العار الذي يوجب في شؤون التعليم ،  
وكذلك الاكتابات التي توجه لعميل من الأعمال لخاصة به .

### « ٢ - مجلس شورى القوانين »

يتألف هذا المجلس من ثلاثين عضواً ، أربعة عشر منهم  
دائمون ، والآخرون مندوبون .

أما الأعضاء الدائمون ، فيعينون من قبل الحكومة بأمر عالي ،  
ولا يبرنون إلا بأمر عالي ، و يطلب مجلس النظار ، بناء على قرار  
يصدر من المجلس نفسه ، برأى ثلثي أعضائه على الأقل .

والأعضاء المندوبون ينتخبون من بين أعضاء مجالس المديرية ،  
بالاقتراع السري .

لكل مديرية مندوب ، وللعاصمة مندوب ، وللإسكندرية وباقي  
الثغور المصرية مندوب . ومدة هؤلاء المندوبين ست سنوات

ورئيس مجلس الشورى ينتخب من بين أعضائه الدائمين ،  
ويعين بأمر عالي ؛ ويكون له وكيلان : أحدهما عضو دائم ، والآخر  
مندوب .

### « اختصاصه »

لا يجوز إصدار أى قانون ، أو أمر يشتمل على لائحة ادارة عمومية ؛ ما لم يقدم ابتداءً الى مجلس شورى القوانين لأخذ رأيه فيه . وان لم تعول الحكومة على رأيه ، فليها أن تعله بالأسباب ولا يترتب على اعلانه بذلك جواز المناقشة فيها .

ويسوغ للمجلس أن يطلب من الحكومة تقديم مشروعات قوانين ، أو أوامر عالية متعلقة بالادارة العمومية . وكذلك ترسل الحكومة فى كل سنة ميزانية الإيرادات والمصروفات العمومية ليدى المجلس رأيه فيها ؛ وعلى ناظر المالية ان يبين الأسباب كما دعت الحالة لعدم الموافقة على ما رآه المجلس فى ملاحظاته على الميزانية .

ويجوز للتظار ان يحضروا جلسات مجلس الشورى وحدهم ، أو ان يصحبهم كلر الموظفين بنظراتهم أو ان يقيمهم عنهم . والمجلس — حيثنر — ان يطلب منهم الابضاحات التى يرى لزومها ، من موضوع المشروعات ووجه تقريرها .

ويجوز لكل مصرى ان يقدم عريضة بشرط ان تكون عن حقوق وشؤون عمومية . وليس للمجلس حق المداولة فيها يطلق ( بويركو الاساتنة ) ، ولا المعاهدات الدولية المقودة مع الحكومة ؛ لأن سلطه منصورة على الأمور الداخلية .

يقدم المجلس في اليوم الخامس عشر من شهر نوفمبر من كل سنة ؛  
ويكون دور انعقاده لغاية شهر مايو من السنة الثانية .  
ويجوز انعقاده في أى وقت ، بأمر عال ، كلما قضت الضرورة  
بذلك .

ولا بد لصحة الاجتماع من حضور ثلثي الاعضاء على الأقل .  
وجلسات مجلس الشورى علنية ؛ يحضرها الجمهور في أماكن  
معدة للزائرين بقاعة الجلسات .

ويجوز للحكومة ان تعطل المجلس بأمر عال ، اذا دعت الضرورة ؛  
وانما يعاد انتخاب الاعضاء في ظرف ثلاثة أشهر من ترويج حله

### « ٣ - الجمعية العمومية »

هذه الجمعية هي اكبر هيئة نيابية مصرية وأعضاؤها هم :  
اولاً - نظار دواوين الحكومة ؛

ثانياً - جميع أعضاء مجلس شورى القوانين ؛

ثالثاً - ستة وأربعون مندوباً عن المديرية والمحافظات ؛

ولا يكون عضواً بالجمعية العمومية، الا من كان حائزاً للشروط الآتية :

(١) ان يكون عمره ثلاثين سنة على الأقل ؛

(٢) ان يكون عارفاً بالقراءة والكتابة .

(٣) مؤدياً منذ خمس سنوات - بالأقل - مالا مقرراً على

عقار أو أرباح قدره ألفا قرش سنوياً .

(٤) مدرجاً اسمه في دفتر الانتخاب منذ خمس سنوات على الأقل .  
وقد أعتق مندوبو الغور من شرط المال ، لعدم إمكان توفير ذلك في تلك المدن .

ويختلف الأعضاء المندوبون بين الصدق للجناب المندوبى ،  
والطاعة للقوانين قبل مباشرتهم لوظائفهم .

ومدة توظيف أعضاء الجمعية العمومية ست سنوات . ورئيس  
الجمعية العمومية هو رئيس مجلس شورى القوانين نفسه .

### « اختصاص الجمعية العمومية »

للجمعية العمومية نوعان من القرارات : قرارات فعلية ، وقرارات  
استشارية .

فالأول يتعلق بالأعمال التي نصت عليها المادة (٣٤) من القانون  
النظامى وهي :

« لا يجوز ربط أموال جديدة ، أو رسوم على منقولات أو  
عقارات ، أو عوائد شخصية في القطر المصرى ، إلا بعد مباحة  
الجمعية العمومية في ذلك ، وإقرارها عليه » .

والثانى يتعلق بالأعمال التي نصت عليها المادة (٣٥) من القانون  
النظامى وهي :

« ١ - كل سلفة عمومية ، أى كل قرض من القروض التي  
تتخذها الحكومة ؛ »



د ب — انشاء أو ابطال أية ترعة ، أو خط من خطوط السكة الحديدية يمر في جملة مديريات .

د ج — فرز عموم أعيان القنطر لتقدير درجات أموالها .  
ويجوز للحكومة ان تستشير الجمعية في كل مسألة ، وفي كل مشروع ترى لزوم أخذ رأيها فيه . وكذلك يجوز للجمعية ان تبدي آراءها ورغباتها من تلقاء نفسها ، في جميع المواد المتعلقة بالثروة العمومية ، والأمور الادارية او المالية .

وعلى الحكومة ابلاغ الجمعية الاسباب ، كما دعت الضرورة ، لعدم التعويل على هذه الآراء والرقبات ولكن لا يترتب على هذا الابلاغ جواز المناقشة في هذه الاسباب .

( الجلسات ) تعقد الجمعية كل سنتين مرة على الأقل ، وتكون جلساتها علنية .

للجناب العالي انطويوي حق حل الجمعية العمومية ؛ وفي هذه الحالة تعاد الانتخابات من جديد في مسافة ستة أشهر .

### « الانتخابات العمومية »

حتى الانتخاب — يقضى قانون سنة ١٨٨٣ — يكون لكل مصري بالغ من العمر عشرين سنة كاملة ومن رعيا الحكومة المحلية ، لم يسبق الحكم عليه بالأشغال الشاقة ، أو السجن ، أو التقي ، أو بسبب

مرفقة ، أو نصب ، أو خيانة ، أو تزوير ، أو انتهاك حرمة الآداب ،  
أو الرشوة ، ولا يكون من المزدولين من وظائفهم الأميرية بمقتضى  
أحكام قضائية ، أو المحكوم عليهم بالافلاس ، أو المحجور عليهم ؛  
ولا من رجال العسكرية الذين تحت السلاح .

من هو المصرى ؟ - المصريون هم :

أولاً - الشوطين في القطر المصرى قبل أول يناير سنة ١٨٤٨  
وهو كبريخ منح مصر الاستقلال الداخلى ؛

ثانياً - رعيا الدولة العلية ، المولدون في القطر المصرى من أبوين  
مقيمين فيه ، متى احتفظ الرعايا المذكورون بمحل اقامتهم فيه ،

ثالثاً - رعيا الدولة العلية ، المولدون والمقيثون في القطر المصرى  
الذين يقبلون المعاملة بقانون الترقية ؛

رابعاً - الأطفال المولدون في القطر المصرى من أبوين مجهولين -  
ويجوز كذلك للرعايا العثمانيين الشوطين بالقطر المصرى أكثر  
من خمس عشرة سنة ان يصيروا مصريين ، وينالوا الحقوق المنوحة  
في قانون الانتخاب ، متى أعلنوا رغبتهم في ذلك للمحافظة ، أو  
المديرية التى يقيمون بدائرتها .

وليس لانسان ان يستعمل حقه في الانتخاب ، الا في المحافظة ،  
أو المديرية التى بدائرتها موطنه السياسى .

والوطن السياسى هو محل الاقامة المعدلباشرة الشؤون المدنية  
ويجوز لكل مصرى ان يتوّد موطنه السياسى \* من جهة الى

أخرى ، بإعلان رغبته في ذلك للمحافظة أو المديرية التي بدانيتها  
كل من الجهتين

(دفتر الانتخاب) يوجد في كل بلد دفتر مفيد به جميع الحائزين  
لشروط الانتخاب ، مرتب على حروف المعجم . وتوجد صورة منه  
بديوان المديرية .

ويعدل ذلك الدفتر كل عام ، لحذف أسماء المتوفين ، والذين  
يفقدون الشروط الأساسية . ويضاف اليه أسماء من تتوفر فيهم  
الشروط المذكورة . وكذلك يوجد دفتر بكل قسم من أقسام  
القاهرة والاسكندرية ، وبكل بندر من بقى الجهات . ويعلق هذا  
الدفتر سنوياً من أول يناير الى (٣١) منه على باب العمدة أو المديرية .  
وبذلك يحق لكل مصري الاطلاع عليه ، والظن في صحة ما جاء  
فيه ؛ وذلك من أول فبراير الى (١٥) منه .

ويقدم الظن للمدير أو المحافظ ؛ وهو يحيله الى اللجنة المختصة  
بالتظر في ذلك . وتسنّف قرارات اللجنة أمام محكمة الاستئناف .  
(مندوب الانتخاب) تنتخب كل بلدة واحداً من أهلها ،  
الحائزين للشروط ، لمدة ست سنوات بسن مندوب الانتخاب ،  
ينوب عنها في انتخاب أعضاء مجلس المديرية ، والجمعية العمومية  
ويعلق تذكرة اعتماد من ناظر الداخلية .



# الباب الرابع

## السلطة التنفيذية

رأس هذه السلطة سموّ الجناب العالي انظديوي ؛ كما هو رأس كل سلطة أخرى في البلاد : وفقاً لقرائنات الشاهانية ، التي منحت حق الولاية على مصر وأمورها الداخلية . غير أن المنقول له اسماعيل باشا خديو مصر الأسبق ، رأى رغبة في تقدم البلاد ، أن يتنازل عن شيء من هذه السلطة لمجلس يشكل من نظار دواوين الحكومة . فأصدر بذلك إرادة سنية في ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨ ( ١٠ رمضان سنة ١٢٩٥ )

### « مجلس النظار »

دواوين ونظارات الحكومة سبع وهي :  
نظارة الداخلية ، ( ويتبعها الصحة والسجون ) ؛  
نظارة المالية ، ( ويتبعها الجمارك - ومصالحة البريد - وخفر السواحل - ومصالحة المساحة ) ؛  
نظارة الخارجية ،

نظارة الحربية والبحرية ؛

نظارة المعارف ؛

نظارة الحفانية ، ( ويتبعها المحاكم الاهلية . والشرعية . والمختلطة ) ؛

نظارة الاشغال ، ( ويتبعها مصلحة الزراعة والآثار والسكة

الحديدية والتلغرافات ) ؛

وكل نظارة من هذه النظارات ، يرأسها وزير يسمى « الناظر »

ولم رئيس يدعى « رئيس النظار » ؛ ينتخبه سمو الخديو ، وهو يتخب

زملاءه بالأصحاح مع الحضرة الفخيمة الخديوية . ويشكل مجلس النظار

بلجاتهم ، تحت رئاسة سمو الجناح العالي الخديو ، أو رئيس

النظار - حسب أهمية الأمور المنظورة - للمفاوضة والمدولة في

شؤون البلاد ، وتخصير القوانين ، والأوامر العالية . وكل ناظر من

النظار ، مكلف بتنفيذ ما يخص نظارته من هذه القوانين والأوامر .

قرارات مجلس النظار ، ان كانت موقفاً عليها من سمو الخديو ،

سميت أوامر عالية ( ذكريات ) والأفعى قرارات وزارية .

والنظار مسئولون امام الحضرة الخديوية عن جميع الأعمال التي

من شأنها التأثير في أحوال القطر داخلاً وخارجاً .

« المديرين والحافظون »

يتقسم القطر المصري الى أربع عشرة مديرية ، وخمس محافظات ؛

يرأس كلاً منها موظف كبير يسى مديراً أو محافظاً .

فالمدير هو النائب الوحيد عن كل ناظر من نظار الحكومة في مديريته . ولذلك يتعين عليه انفاذ قوانين النظارات على اختلافها ، في دائرة اختصاصه ؛ وهو المسئول أمام الحكومة عن حفظ الأمن والنظام بانحاء الاقليم الذى يحكمه . وعليه مراقبة سير الاحوال بوجه عام : وخصوصاً سير التحقيقات الجنائية المؤدية الى نجاح الدعوى العمومية ، وعقاب المجرمين .

### « مأمور والمراكز »

تقسم كل مديرية الى عدة اقسام ، يطلق على كل قسم منها اسم ( مركز ) ؛ ويرأسه موظف نائب عن المدير يعرف باسم ( مأمور المركز ) .

ومأمور المركز هو المنفذ لاوامر الحكومة في مركزه . وعليه منع وقوع الحوادث الجنائية بالطرق الصائبة ، بواسطة رجال الحفظ والدوريات ، ومراقبة الاشقياء ، ونزع السلاح من ايديهم واذا وقعت جنابة ، عليه بذل الجهد في كشف الحقيقة ، والاستدلال لمعرفة الفاعل واثبات الجريمة ؛ حتى تتمكن النيابة من اقامة الدعوى العمومية لها . يقوم المأمور باداء وظيفة النيابة العمومية - لدى محاكم المراكز - في التحقيق واقامة الدعوى وانفاذ الاحكام واستئنافها . ويساعد المأمور

في اداء واجباته ضباط البوليس ومعاونو الادارة المعينون في مركزه .

### « العمدة »

كل مركز ينقسم الى عدة بلاد ، لكل بلدة منها رئيس يسمى  
( العمدة ) : وهو نائب الحكومة بها ، ومستول - قبل سواها - عن  
استياب الأمن العام ، ونفوذ القوانين والوضع المرعية الاجراء ،  
وجميع الاوامر التي ترد اليه من المأمور الذي هو رئيسه الاول ؛  
ويعاونه في اداء واجباته عدد من المشايخ حسب أهمية البلدة .

يعين العمدة والمشايخ في لجنة تعرف ( بلجة الشياخات ) وتعد  
هذه اللجنة مرة في كل شهرين - على الأقل - للنظر في التعيينات  
والمحاكمات .

ويشترط في العمدة ان يكون بالغاً من العمر خمساً وعشرين  
سنة ، وان يكون مالكاً لعشرة أفدنة - على الأقل - والا يكون  
محكوماً عليه - من المحاكم النظامية - بسبب جناية او جنحة حكماً  
فضائياً يمس حسن سمعته واستقامته .

وهذه الشروط ، يجب ان تتوفر فيمن يراد تعيينه ( شيخاً ) ؛  
وانما يكفي ان يكون مالكاً خمسة أفدنة .

وتتألف لجنة الشياخات من المدير رئيساً ومندوب من الداخلية  
وآخر من النيابة العمومية ، واربعة من العمدة أو الاعيان . ولا تكون

قراراتها نافذة ، إلا بعد اعتمادها من الداخلية .

### « امتيازات العمد والمشايع »

يعنى كل عمدة من دفع مال خصة أفدنة من الاطبات التي يمتلكها في نفس الجهة التي هو معين عليها

والعمد والمشايع امتيازات أخرى وهي :

أولاً — اعتناؤهم هم وأولادهم من الخدمة العسكرية ؛

ثانياً — اعتبارهم من موظفي الحكومة في اقامة المعهود العمومية

عليهم بسبب ما يقع منهم اثناء تأدية وظائفهم .

أما العقوبات التأديبية التي يجوز التدبير تأديب العمد والمشايع

بها فهي : الانذار ، فالنوبيخ ، فالغرامة لغاية مائة قرش مع التوقيف

عن الوظيفة مدة التحقيق عن أعماله .

وأما الجزاءات التي تحكم بها لجنة الشبايات فهي : الغرامة الى

خمسائة قرش ، والحبس الى ثلاثة أشهر ، والرفق ؛ وتبلغ الاحكام

للداخلية ، ولها ان تمدها أو تبدلها بأخف منها .

والعمد قبائل العربان ومشايع الفرق ، نظام شبيه بنظام الشبايات

تماماً من جهة تعيينهم ، وتأديبهم عند تقصيرهم في واجباتهم .





# الباب الخامس

## السلطة القضائية

السلطة القضائية هي الهيئة القائمة بفصل الخصومات بين الأفراد ،  
والقصاص من المجرمين ، وتنقسم الى محاكم أهلية ، ومحاكم مختلطة ،  
ومحاكم شرعية ، ومحاكم قصلية ، ومحاكم ادارية .

## المحاكم الأهلية

هذه المحاكم لا تنظر الآ في القضايا التي بين الوطنيين : من مدنية ،  
وتجارية ، وجنائية . وهي درجتان . ابتدائية واستئنافية .

محاكم الدرجة الأولى تشمل المحاكم الجزئية ، ومحاكم المراكز ،  
والمحاكم الابتدائية ( الكلية )

( المحكمة الجزئية ) لقاضي الجزئي حق الفصل في المواد المدنية  
 والتجارية فيما لا يتجاوز عشرة آلاف قرش

فاذا كان المدعي بـ ألف قرش ، والدعوى عينه عقارية ؛ أو  
كان المدعي بـ ألفي قرش ، وكانت الدعوى شخصية ؛ كان حكمه  
نهائياً ؛ والأقل قابلاً للاستئناف .

والقاضي الجزئي اختصاص استثنائي يجوز له الحكم ابتدائياً ، الى ما لا نهاية له : طبقاً لقيود المينة في المادة (٢٦) من قانون المرافعات . ويحكم أيضاً انتهائياً في جميع المنازعات التي يتفق الخصوم على رفعها اليه بالغة ما بلغت وله حق النظر في المسائل الوقفية ، أو الأمور المستعجلة التي بغشى عليها من فوات الوقت : كمتعين غير لاثبات أكثر حريق ، أو غرق ، قبل زوال معالته .

( في المواد الجنائية ) يحكم القاضي الجزئي في المخالفات والجنح ؛ إلا ما أحيل منها على محكمة المركز وله الموافقة على الحبس الاحتياطي أي حبس المتهمين في الجنائيات والجنح ؛ بناء على طلب النيابة العمومية . ( محاكم المراكز ) تنظر هذه المحاكم في قضايا المخالفات ، وبعض الجنح ، وتحكم بالحبس الى ثلاثة أشهر ، وبالغرامة الى عشرة جنيهات . وبعض هذه المحاكم اختصاص في المواد المدنية التي لا تتجاوز قيمتها عشرين جنيهاً مصرياً ويقوم بأعمال المحكمة الجزئية أو المركزية قاضي واحد ، يتدبره نلخر الحفانية .

( المحكمة الابتدائية ) جلسات هذه المحكمة تؤلف عادة من ثلاثة قضاة لكل دائرة ؛ وهي المحكمة الكلية التي تنظر في القضايا المدنية والتجارية التي ليست من عمل المحاكم الجزئية والمركزية . وتفصل - بصفة استثنائية - في الاحكام الصادرة من هذه المحاكم في الأحوال التي يجوز فيها الاستئناف قانوناً

وتنظر هذه المحاكم - كذلك - في الطعن الذي يقدم لها في  
انتخاب أعضاء مجالس المديرية  
وعدد هذه المحاكم سبعة : مصر ، والاسكندرية ، وطبعا ،  
والقزوين ، وبنى سويف ، واسيوط ، وقنا .

أما محاكم الدرجة الثانية ، فهي : محكمة الاستئناف العليا  
بالقاهرة ؛ وهي تنظر - بصفة استئنافية - في القضايا التي تحكم فيها  
المحاكم الابتدائية : المدنية والتجارية .

وتنظر كذلك أي جميع قضايا الطعن في انتخاب أعضاء مجلس  
شورى القوانين ، والجمعية العمومية ؛ ولما حق النظر - بناء على طلب  
قوى الشأن - في قرارات اللجنة المكلفة بالنقل في الطعن في  
دفتر الانتخاب .

ومن قضاة هذه المحكمة بدمب : أولاً قضاة محاكم الجنايات التي  
من اختصاصها الحكم في الجنايات التي تعال عليها من قاضي الاحالة ،  
بناء على طلب النيابة العمومية . ثانياً - قضاة محكمة النقض والابرار  
التي تفرض منها المحافظة على نصوص القوانين ، وتأويلها تأويلاً  
صحيحاً ، دون البحث في الموضوع . فهي تنظر في الحكم المطعون فيه  
أمامها من حيث استيفاءه الشروط القانونية المينة في قانون تحقيق  
الجنايات والعقوبات ككون الواقعة معاقباً عليها ، وان الوصف الذي  
وصفها به الحكم الأول مطابق للواقع ، وان جميع الاجراءات القانونية  
المهمة قد روعيت تماماً .

وتؤلف جلسات محكمة الاستئناف - عادة - من ثلاثة قضاة لكل دائرة ؛ ما عدا محكمة النقض والابرام فانها تؤلف من خمسة قضاة . ويسمى قضاة الاستئناف ( بالسنتارين )  
وتصدر الاحكام باسم الجنب العالى الخديوى

### « النيابة العمومية »

تقام الدعوى العمومية على مرتكبى الجرائم أمام المحاكم ، والذي يقيمها هيئة قضائية تُعرف باسم ( النيابة العمومية ) ؛ والذي يبلغ هذه الحوادث الى النيابة هم رجال الضبط .

الحكمة في ذلك ، ان الجرائم من شأنها الاخلال بالأمن ، واضطراب النظام ، فهي تعنى المجتمع الانسانى أكثر مما تعنى واحداً أيما كان . ولو أهملت محاكمة المجرم ، أو ترك المجنى عليه وشأنه في القصاص ممن يعتدى عليه ، ساءت الأحوال العمومية ، وقلت الطمأنينة ؛ بسبب ما يداخل أكثر الطبائع البشرية من الجبن والخوف والتساهل ، ومن أجل ذلك أنشئت النيابة العمومية لمقاومة المجرمين ، وانفاذ العقوبات التي يعاقبون بها أولاً فأولاً حتى يسكب الأمن ، ويحيا العمران .

والرئيس العام للنيابة العمومية هو النائب العمومى ، ويساعده في إقامة الدعوى العمومية - أمام المحاكم - عدد من وكلاء النيابة بحسب ما تقتضيه الأعمال في دائرة وظائفهم .

## المحاكم المختلطة

الامتيازات الأجنبية - بوضع الأهالي ، والمستوطنون لقوانين وشرائع الحكومة المحلية ( هذا أصل من الأصول الأساسية لنظام الحكومات ) وتصدر الأحكام باسم حاكم البلاد الشرعي . الآن سلاطين آل عثمان عقدوا مع دول أوروبا معاهدات سياسية وتجارية ، تعرف ( بالهودنكات ) سمحت فيها السلاطين العظام للأجانب بامتيازات جمة ، غوّلت لهم حق فصل خصوماتهم ، ومحاكمة مرتكبي الجرائم منهم ، على أيدي قضاة منهم ، يحكمون بشرائع بلادهم وقوانينها . وأقدم هذه المعاهدات معاهدة سنة ١٥٣٥ أبرمت بين السلطان سليمان الأول وحليفه فرنسا الأول ملك فرنسا وهذه الامتيازات فسيان : مالية وسياسية - وأهم الامتيازات المالية ، حق امتلاك الأجانب للأراضي والعقارات ، بلذالك العثمانية ، عدا البلاد الحجازية ( فرمان ١٨ يونيو سنة ١٨٦٧ ١٢ صفر سنة ١٢٨٤ . و فرمان سنة ١٨٦٩ م . سنة ١٢٨٥ هـ ) . وقد حوّال الأجانب بمقتضى هذين الفرمانين حق التصرف التام في الملكية كالأرمايا العثمانيين . وكان الأجانب في ذلك العهد يتمتع عليهم امتلاك أي عقار يبلاد الدولة .

الامتيازات القضائية - جميع الأجانب خارجون عن القوانين المصرية الأهلية ، ويحاكمون من حيث المواد الجنائية ( الجنائيات

والجنح ) أمام المحاكم التصليية . أما من حيث المواد المدنية والتجارية  
والخاصات ، فيحاكون أمام المحاكم المختلطة .

**المحاكم المختلطة** — تلك الامتيازات أحدثت فوضى في القضاء  
المصري ، لاختلاف الأحكام باختلاف شرائع الأمم الشخاصة . فلما تولى  
احماعيل باشا الخديو الأسبق سنة ١٨٦٣ ، وجه عنايته لهذه الحالة واشتغل  
بمزم وجد ، بمساعدة وزيره الأول نوبلر باشا ، حتى تمكنا من انشاء  
المحاكم المختلطة باتفاق الدول : ألمانيا والنمسا ، والبلجيك ، والدانمارك ،  
واسبانيا ، والولايات المتحدة ، وفرنسا ، وانجلترا ، واليونان ، وإيطاليا ،  
وهولاندا ، والبرتغال ، وروسيا ، والسويد ، والترويح .

اختصاص هذه المحاكم — تفصل هذه المحاكم في الدعاوى المدنية  
والتجارية التي تحدث بين الأهل والأجانب ، أو تحدث بين الأجانب  
معي كلوا مختلتي الجنسية . أما الدعاوى الخاصة بالمقارات التي قام بين  
أجنيين ، فدخل في اختصاصها ولو كان الشخاصان من جنس واحد .  
والمحاكم المختلطة — كالمحاكم الأهلية — درجتان : ابتدائية  
واستئنافية . فللابدائية بمصر ، والمنصورة ، والاسكندرية ؛ وفي كل  
من هاتو المدن محكمة جزئية يقوم بالعمل فيها أحد القضاة الأجانب .  
ويوجد لدى كل محكمة قانس يُعرف باسم (قاضي الأمور المستعجلة)  
لتنظر في المسائل التي يخشى عليها من فوات الوقت .

وتشكل المحاكم المختلطة من قضاة : وطنيين وأجانب . وتصدر

الاحكام باسم الجنب الطدبوى . وتوافق الدائرة في المحكمة الابتدائية من خمسة قضاة : ثلاثة أجنب ووطنيين . وفي الاستئناف من ثمانية : خمسة أجنب ، وثلاثة وطنيين .

ويجب ان يكون رئيس المحكمة - سواء كانت ابتدائية أو استئنافية - وطنياً . أما الوكيل فمن القضاة الأجنب ؛ وإنما الأول لا عمل له إلا رئاسة الجمعيات العمومية (فهو رئيس شرف) وأما الثاني فهو الرئيس العامل في كل ما يختص بالرئيس ، في المحاكم الأهلية .

ومن اختصاص محكمة الاستئناف المختلطة وهي منعقدة بهيئة جمعية عمومية :

أولاً - الموافقة على لوائح المخالفات التي ترى الحكومة المصرية سنّها وسرياتها على الأجنب كأوطنيين .

ثانياً - تعديل القوانين المختلطة أو الاضافة عليها ، ما عدا لائحة ترتيب هذه المحاكم فإنه لا يجوز تعديلها إلا بمصادقة الدول التي وافقت على انشاء المحاكم المختلطة .

ثالثاً - للجمعية العمومية ان تبلغ بانظر الحفاية الاقتراحات المتعلقة بالتعديلات التي ترى ادخالها في القوانين المختلطة وهو يلقها للحكومة لتنظر فيها حتى اذا وافقت عليها عرضتها على الجمعية العمومية بصفتها مشروع ومركز محكمة الاستئناف المختلطة الاسكندرية ؛ والصفات الرسمية بهذه المحكمة هي : -

العربية ، والفرنسية ، والابيطالية ، والانكليزية . وبها نائب

عمومي عن - الحضرة الظهيرية - يعاونه في العمل أمام كل محكمة من هذه المحاكم ، عدد من الوكلاء والماعدين . وتختص المحاكم المختلطة بالمحكمة في الحالات التي تقع من الاجانب ؛ ولا تنظر في الجنائيات والجنح الا في احوال مخصوصة .

## المحاكم القنصلية

بمقتضى الامتيازات كانت المحاكم القنصلية تحكم في قضايا رعايلها ؛ ولكن انشاء المحاكم المختلطة قصر اختصاص المحاكم القنصلية على الآتي :  
أولاً - القضايا المدنية والتجارية بين خصمين من جنس الدولة التابعة لها القنصلية ، الا الدعوى العقارية ( كما قدمنا ) .

ثانياً - جرائم الجنائيات والجنح غير الداخلة في اختصاص المحاكم المختلطة التي تقع من رعايا الدولة التابعة لها القنصلية .  
ثالثاً - مسائل الاحوال الشخصية .

وتحكم كل محكمة قنصلية بقانون الدولة التي هي تابعة لها .

### « محاكم الأحوال الشخصية »

الاحوال الشخصية هي كل ما يتعلق بشخص الانسان كازواج والطلاق ، والنسب ، والموارث ، وثبوت الرشد ، والولاية ، وأصل الوقف . وهي من اختصاص المحاكم الشرعية للمسلمين ، والبطريكانيات للمسيحيين . والمحاكميات لليهود .

وتحكم هذه المحاكم بمقتضى شريعة الدين التابع له ذوو الشأن .



# الباب السادس

## المجالس الحسبية

إذا توفى أحد الأهالي الغاضعين لأحكام الحاكم الشرعية فيما يخص بأحوالهم الشخصية عن حل مستكن أو ورتة قصر أو عادي الأهلية أو غائبين غيبة شرعية وليس لهم وصي أو قيم أو وكيل فيكون تنصيب هؤلاء بحسب الأحكام الآتية :

بشكل في كل مركز مجلس حسي بالكيفية الآتية

أولاً - مأمور المركز أو من ينوب عنه بصفة رئيس

ثانياً - أحد علماء المركز تعينه نظارة الحفانية

ثالثاً - أحد الأعيان بينة المدير مع اقرار نظارة الداخلية

تشكل المجالس الحسبية في المديرية والحافظات بالكيفية الآتية

أولاً - المدير أو المحافظ أو وكيل المديرية أو المحافظة بصفة رئيس

ثانياً - أحد علماء المديرية أو المحافظة يعينه ناظر الحفانية

ثالثاً - أحد الأعيان بينة ناظر الداخلية ويكون انتخابه بقدر

الإمكان من ساكني البلدة

رأياً - أحد أعضاء الأسرة ( العائلة ) ذات الشأن اذا وجد أحد منها في الجهة التي بها مركز المجلس والآيئتماس بواحد من الأعيان  
تحتة نظارة الداخلية

تنظر المجالس الحسينية في تنصيب الأوصياء أو تعيينهم أو عزلهم  
وفي استمرار الوصاية الى ما بعد السنة الثامنة عشرة اذا دعت الضرورة  
لذلك طبقاً للمادة الثامنة من أمرنا هذا وتنظر ايضاً في الحجر على  
علمى الأهلية وتنصيب أو عزل القوام وفي رفع الحجر وفي تعيين أو  
عزل وكلاء الغائبين وفي مراقبة أعمال الأوصياء أو القوام أو الوكلاء.  
وكذلك تنظر في الحسابات التي تقدم لها وتنظر ايضاً في الاحياطات  
اللازمة التي يقتضى سرعة اتخاذها لصيانة حقوق القمصر علمى الأهلية  
أو الغائبين .

تكون هذه الاختصاصات للمجالس الحسينية في المراكز فيما يتعلق  
بتركات المتوفين الذين كانوا متوطنين في دائرة المركز، والمجالس  
الحسينية في المديرية أو المحافظات فيما يتعلق بتركات المتوفين الذين  
كانوا متوطنين ببنتم المديرية أو المحافظة

وتكون هذه المجالس تابعة لنظارة الختانية وهي تراقب سيرها  
وفي مواد الحجر يكون المجلس المختص هو الموجود بدائرة محل  
توطن الشخص المتتضى الحجر عليه أو الموجود عليه . ويجوز رفع الأمر  
للمجلس الحسبي بناء على طلب أحد أعضاء العائلة أو طلب النيابة العمومية

تتلى الوصاية متى بلغ القاصر الثامنة عشرة من عمره إلا إذا قرّر المجلس الحسي استئجارها .

يجب على المجالس الحسية ان تعين الأوصياء والقوام والوكلاء أو تثبتهم في مدة لا تتجاوز ثمانية أيام من ترويج الاخبار بالوفقة .

ليس للأوصياء ولا للقوام ولا للوكلاء أن يبيعوا أو يشتروا أو يرهنوا عقار أو أعيان القصر ومن في حكمهم أو ان يسددوا ديناً إلا بعد الاذن بذلك من المجالس المذكورة .

تصيب الأوصياء بالتطبيق للاحكام السابقة يكون أمام القاضي الشرعي أو نائبه .

لا يجوز لأي سبب من الأسباب ولا لأية حجة كانت ، اقامة أية دعوى على الحكومة بسبب التركات التي وضعت بدعها عليها بأية كيفية كانت ولم يطالب أحد بها مدة ثلاث وثلاثين سنة كاملة من ترويج الوفقة .

تستأنف قرارات المجالس الحسية أمام المجلس الحسي العالي المشكل بالأمر العالي الصادر بتاريخ ٥ مارس سنة ١٩١١ وعضاؤه :

أولاً - ثلاثة مستشارين وطنيين من مستشاري الاستئناف الأهل .

ثانياً - عضو من المحكمة العليا الشرعية .

ثالثاً - أحد الموظفين الموجودين في الخدمة أو المتقاعدين .  
وتعيين الثلاثة المستشارين والرئيس الذي ينتخب منهم يكون  
بمعرفة ناظر الحفانية بناء على ما يعرضه رئيس محكمة الاستئناف الأهلية .  
وفي كل من الحالتين يكون التعيين لمدة سنة ، ويجوز تجديد  
ينتخب التعيين .

وإذا غاب أحد الاعضاء أو حصل له مانع ، نوب عنه عضو  
بالطريقة عينها ممن توفرت فيهم شروط العضو النائب .

لناظر الحفانية ان يرفع الى المجلس الحسبي العالي أى قرار صادر  
من مجلس حسبي يكون متعلقاً بإدارة الاوصياء أو القوام أو الوكلاء أو  
تصويبهم أو عزلم في ظرف ثلاثة أشهر من ترويج صدوره وذلك إما  
بناء على بلاغ من النيابة العمومية أو من أى شخص ذى شأن أو من  
تلقاء نفسه .

والنيابة العمومية ولكل ذى شأن ان يتأنف الى المجلس الحسبي  
العالي أى قرار صادر من المجالس الحسبية في طلبات توقيع الحجر أو  
رفعه أو في رفع الوصاية أو استمرارها .

ويرفع الاستئناف بعريضة تقدم الى ناظر الحفانية في ميعاد شهر  
من ترويج صدور القرار المتأنف .

للمجلس الحسبي العالي متى رفع اليه الامر بالطرق القانونية : —

أولاً — أن يلقى أو يعدل أى قرار صادر من المجلس الحسى أو  
يمنع انفاذه مؤقتاً عند الاقتضاء.

ثانياً — أن يبين فى القضية التى تكون مرفوعة امامه طريقة السير  
اللازم اتباعها بمعرفة المجلس الحسى

ثالثاً — أن يقرّر اتخاذ الاجراءات المستعجلة التى كلف للمجلس  
الحسى اتخاذها للمحافظة على حقوق القصر أو عديمى الاهلية أو الغائبين  
رابعاً — ان يقرّر توقيع الحجر أو رفضه

خامساً — ان يقرّر استمرار الوصاية الى ما بعد سنّ الثمانى عشرة  
سنة أو رفضها

سادساً — أن يبين الاوصياء والقوام والوكلاء أو يعزلهم أو يستبدلهم  
ويجوز له أيضاً بناء على طلب نائز الحقانية ان يحيل الى مجلس حسى  
المديرية أى قضية من اختصاص مجلس حسى المركز اذا تبين أن  
لفترة أو للأموال من الأهمية ما يدعو الى هذه الاحالة .

قرارات المجالس الحسية واجبة الانفاذ ولو استوفت الى المجلس  
الحسى العالى ولناظر الحقانية عند رفضه قراراً صادراً من مجلس حسى  
الى المجلس العالى أن يؤجل انفاذه حتى يصدر قرار المجلس فيه متى  
رأى ان المصلحة تقضى بذلك

## ٥ المحاكم الادارية أو المحاكم المختصة »

الأصل ان كل نزاع يجب ان يكون الفصل فيه من اختصاص المحاكم القضائية ولذلك يسمونها ( بالقضاء الطبيعي ) غير ان بعض المخالفات تستدعي الفصل فيها بمرقة الجهات الادارية : إما لأن الفصل فيها يستلزم معلومات خاصة وإما لان سرعة الفصل فيها توجبها المصلحة العامة . وهذه المحاكم أو اللجان الادارية عديدة : منها

لجنة الجمارك - وتنظر في مسائل تهريب البضائع وتشكل من مدير الجمارك وثلاثة أو أربعة من كبار موظفيها

لجنة مخالفات الترع والجسور - وتنظر في جميع المخالفات التي تقع على الأعمال الصناعية لمصلحة الري والترع والجسور ومخالفات ري الشراقي لأن هذه الأعمال انشئت لمصلحة الزراعة وتدير مياه النيل لكي يتيسر لجميع المزارعين الانتفاع بها في الاوقات المناسبة للري والصرف

وتشكل من المدير أو وكيله بصفة رئيس ومن باشمهندس المديرية وثلاثة من الأعيان بصفة أعضاء

ولجنة مخالفات النيل - وهي تنظر في المخالفات التي تقع من الأفراد المكلفين بخدمة خفر النيل مدة الفيضان . وتشكل في

المديريات : من المدير أو وكيله بصفة رئيس وباشتهاد من المديرية  
واثنين من العمدة . وفي المراكز : من مأمور المركز بصفة رئيس  
واثنين من العمدة .

لجنة الشياخات الخاصة بتأديب العمدة والشايخ وتعيينهم ورفقهم  
وتتركب من المدير أو وكيله بصفة رئيس ومنتدوب من نظارة الداخلية  
وأحد وكلاء النائب العمومي وأربعة من الأعيان .

الى غير ذلك من اللجان مثل لجنة مخالقات اعادة الجراد ولجنة  
السكك الزراعية الخ الخ .



# الباب السابع

## معنى المملكة في القانون الدولي

المملكة جمعية مستقلة يشؤونها تولف من أشخاص قلّ عددهم أو أكثر يسكنون أرضاً محددة ولم حكومة تتولى إدارة شؤونهم العامة .  
يفهم من هذا التعريف ان حكومة الجبل الأسود مملكة كالكثيرا  
وفرنسا وان محاولة ضمّ جملة ممالك بعضها الى بعض لتكون مملكة  
واحدة كما فعل الاسكندر وشارلمان و نابوليون وأمرخيالى وبيد عن  
الحقيقة بمراحل بل بنالى طبيعة الوجود ، والتاريخ أصدق شاهد على ان  
هذه الممالك وقعت في الأتحلال ، بمجرد زوال القوة القاهرة .

غرض كل حكومة : صيانة المصالح الحسية والمعنوية للأمة ، وحماية  
حريتها ، وبالجملة جميع الحقوق المرتبطة بكيانها المؤدية الى سعادتها .

كل مملكة توفرت فيها الشروط السابقة نسي ( شخصاً  
سياً ) وهو في القانون الدولي كالشخص المعنوي في القانون المدني

السيادة السياسية للمملكة - كل مملكة ذات سيادة داخلية

أى سلطة أهلية تحفظها حق إصدار القوانين وإدارة حركة الجمعية السياسية



( الأمة وحكومتها ) برادة تامة، لها الحق التام في السيادة الخارجية أو السياسية بمعنى أنها تكون جمعية سياسية ذات استقلال محترم بالنسبة للممالك الأخرى

هذه السيادة الدولية أو السياسية لا تتغير بتغير شكل الحكومة حتى أن الانقلاب السياسي أو الثورات التي قد تؤدي إلى تعديل في نظام الحكومة الداخلي لا تؤثر في شخصيتها القانونية . فالملوك والتعهدات التي كانت للحكومة السابقة تبقى كذلك للحكومة الجديدة لا محالة - والأحكام المعاملات الدولية عرضة للضياع ولا ضمانتها لها إذا سقطت إسقوط الحكومة الماقدة لها .

## حقوق الممالك واجباتها

بعضها نحو بعض

كل إنسان يشعر من نفسه أن له حقوقاً لازمة لحياته ولا تنام المواعيد التي أودعها الخالق جل شأنه فيه كذلك المملكة متى وجدت كان لها حقوق عامة أصيلة لم تخلقها معاهدات ولا ظروف مخصوصة ومقابل هذه الحقوق يكون عليها واجبات من شأنها حفظ كيان المملكة واحترام شخصيتها .

وهذه الحقوق العامة الضرورية لوجود الشخصية السياسية للملكة :

( ٤ )

هي حق السيادة ، وحق الاستقلال ، وحق المحافظة والدفاع ، وحق  
المساواة ، وحق الملكية .

حق السيادة والاستقلال — هذا الحق بالنسبة لكل مملكة  
جارية عن نعمتها باستقلال تام يملكها من تحقيق الرقي والسعادة لأمتها  
بلا أقل تداخل أجنبي في شؤونها .

(١) قواعد عمومية — كل مملكة لها الحق في وضع قواعد  
نظامها السياسي وشكل حكومتها ومجموع شرائعها . واستعمال هذا الحق  
لا يتوقف على تصديق الدول الأخرى ولكن عندما يتغير شكل  
الحكومة واسمها يجب تصديق الدول حتى تتوفر للمملكة السيادة  
السياسية أو الخارجية .

وحق الاستقلال يستلزم احترام أراضي المملكة وعدم تجاوز  
حدودها . فلا يجوز لرجال السلطة العمومية في مملكة أن يدخلوا  
أراضي مملكة تجاورها للبحث عن جان أو لافاذا حكم ، كما لا يجوز لها  
أن تساعد أو تشجع الحركات الثورية ، أو العصابات أو غيرها مما يهدد  
سلامة الممالك المجاورة ، بل على العكس يجب عليها ان تعمل على اجتناب  
مثل هذه الحركات التي من شأنها ايجاد نزع الفتيل الداخلية في تلك الممالك  
المجاورين السياسيون اذا التجأوا الى مملكة وجب عليها أن  
لا تسمح لهم بالتآمر على مملكتهم ، ولا تسهل لهم سبيل الاستعداد  
والفلسح ، وانما تؤويهم ابواء ليس الأ .

لا يمكن رفع دعوى على مملكة أمام محاكم مملكة أخرى لاستقلال  
الممالك بعضها عن بعض .

حق المحافظة والدفاع تخول المملكة أن تقيم ما تشاء من الحصون  
والمعاقل ، وتجمع ما تشاء من الجيوش والأساطيل ، بلا ممانعة من مملكة  
أخرى لأى سبب كان .

جميع الممالك متساوية ليس لاحداها امتياز خاص على الأخرى ،  
مهما كانت هذه كبيرة وتلك صغيرة . ولا تفضل لغة على لغة حتى  
أن معاهدة ( فينا ) سنة ١٨١٥ حررت بلجنة الفرنسية ولكن نص  
في المادة (١٢٠) منها على ان ذلك لا يمس قاعدة المساواة القانونية  
بين الممالك . ومملكة هولاندا فضلت الحرب مع المهتمرا في القرن  
السابع عشر على قبول اقتراح انكسار وجوب رفع اشارات التعظيم  
كما مرّت سفينة الكابرية على أخرى هولاندية وبالعكس في المياه  
البريطانية كما كان اصطلاح ذلك الوقت .

كل مملكة لها الحق في امتلاك اراضٍ ومبانٍ ، ويجب ان تحترم  
أملاكها في نظر القانون الدولي كاحترام أملاك الافراد في نظر  
القانون المدني .

كل مخالفة لما تقدم تعتبر في عرف القانون الدولي اعتداء أو  
إهانة ، ويترتب عليها وجوب تقديم الترضية الكافية ، والأ كان  
الحسام الفاصل بين الطرفين .

## العلاقات الدولية في حالة السلم

علنا مما تقدم حقوق المالك وصفتها وحدودها ونريد الآن معرفة كيف يمكن الاحتفاظ بها والتحقق من احترامها ومباشرة العمل بمنطوقها ومعناها . ذلك ينسب بان يكون لكل مملكة وكلاء يمثلونها تشيلاً حقيقياً . وما كان الملك هو المثال الخي للحكومة ، كان السفراء هم الذين يمثلونها لدى الحكومات الأجنبية لمباشرة الاشتغال السياسية الخارجية ، وكان القاصم هم الذين يمثلونها لحماية رعاياها والسهر على مصالح بلادهم التجارية .

الملوك — الملك رئيس الحكومة والسلطة العليا فيها . وكان في سابق الأيام الكل في الكل أعني ان السلطة بأنواعها المختلفة كانت بيده . أما القواعد الحديثة فلها تفرق بين السلطين التشريعية والتنفيذية وتشكل كل سلطة منها الى هيئة منفصلة عن الأخرى .

وفي القانون الدولي لا فرق بين الملك والامبراطور والقيصر بل جميعهم سواء في الحقوق . وكل مملكة لها أن تعطى ما نشاء لمعوكها من الأسماء والألقاب ، بشرط ان لا يؤثر ذلك في حقوق المالك الأخرى أو في منح نفس تلك المملكة سيادة عليا غير السيادة السياسية التي لنغيرها ، وقد جرى الاصطلاح ان تبلغ المملكة الدول

الآخري ما تقره من تلك الانقلاب ليترغن لها بها حتى يكون لها قبة  
حقيقية عملاً بقرار موتمر (أكس لاشيل) سنة ١٨١٨ ميلادية حيث  
اتفقت الدول الأوروبية على ان لا يقل تغيير في ألقاب الملوك في  
المستقبل ، إلا اذا تم الاتفاق بينها مقدماً على ذلك .

وأهمية الملك اليوم بالقوة الحقيقية ، أما الانقلاب فقد ضاعت  
معانيها وعجبت قيمتها

وإذا كان السياسيون لا يعلقون أهمية كبرى على الانقلاب فتمهم  
يهتمون كثيراً بان يمرضوا تاج أية مملكة تخلو من ملكها على أمير من  
أمراء مملكة أخرى لأنه يزيد لها قوة على قوتها فتحصل على شيء من  
السيادة والتفوق على غيرها . ففي سنة ١٨٣١ منعت الدول الكبرى  
(دوق نيجور) من قبول تاج مملكة البلجيك ، وفي سنة ١٨٦٢  
انتخب بالاقتراع العام (البرنس ألبرت) ملكاً لليونان فعارضت فرنسا  
وروسيا ، وكذا رشح أمير من أمراء بيت هوهنزولرن لكرسي مملكة  
اسبانيا فكان ترشيحه السبب الظاهر لحرب فرنسا ومانيا سنة ١٨٧٠  
امتيازات الملوك — الملوك امتيازات عظيمة في مقابلتهم  
وغنائمهم وروحانهم ومعاملاتهم ومصالح عليها في حكوماتهم وتختلف  
بانتلاف الأمم في أخلاقها وعاداتها ورفيها فإذا عزم ملك على زيارة  
مملكة غير مملكته دارت المحادثات بين الحكومتين ، لتقرير خطة  
السفر ، والمقابلة ، والتعظيم اللائق بمقام الملك

ولم كذلك امتيازات في البلاد الأجنبية ألا يحاكم أحدهم امام محاكمها ، ولو ارتكب جنابة ، وهذا الامتياز يشمل رجال معيته أيضاً ، ولا يدفع ضرائب لها ، وبالجملة لا يخضع لقانون فيها بلطرة . والعلة في احترام الملوك ، بحاملة أهمهم لأنه لا اهانة اكبر من مصادرة أمة في ملكها ، وهو رأسها واكبر مثال لها .

الوكلاء السياسيون - الوكالة السياسية - هي مباشرة الأعمال الدولية من حيث ضمانه حقوق المالك وصيانة شرفها ومصالحها الشرعية ببلاد الأجنبية .

فهى فن دقيق لأن التوفيق بين أطماع الشعوب المختلفة ، وادارة المفاوضات السياسية ، تحتاج الى حسن تمييز واختبار كبير .  
والموظف السياسى يجب أن يضع نصب عينيه مصلحة بلاده ، ولكن عليه أن لا يتدفع مع تيار عواطفه القومية ، ولا ينسى أن الاحتفاظ بحقوق العدل والأنصاف هو المصلحة الأولى للأمم . لأجل هذا وجدت وظائف السفراء والقناصل من قديم الزمان . غير أن هذا النظام لم يقرر بصفة دائمة إلا بعد معاهدة ( وستاليا ) سنة ١٦٥٨ . وتعيين السفراء والقناصل يكون بأوراق رسمية مبين فيها حدود مأمورية السفير ، والمهمة التي لوفد من أجلها . وتقدم هذه الأوراق لحكومة البلاد التي عين فيها .

ليس لمملكة أن توفد سفراء لدى مملكة أخرى إلا اذا كانت

مملكة مستقلة استقلالاً تاماً ، ومعترفاً بها من الدول الأخرى . ولكل  
مملكة سفير واحد معتمد من قبلها لمباشرة مصالحها لدى مملكة أخرى  
ولا يتعدد السفراء من المملكة الواحدة إلا في المؤتمرات وحفلات  
التسوية والجليزات ونحوها .

يجوز أن يكون السفير نائباً عن مملكتين فأكثر .

الوكلاء السياسيون درجات (١) السفير (٢) الوكيل المفوض  
(٣) الوزير المقيم (٤) الوكيل المكلف بأمورية مستديرة أو وقتية .  
ولم رئيس واحد هو ناظر الخارجية ، وهو يعطيهم جميع التعليمات التي  
تليق بأدوية مأموريتهم .

جميع هؤلاء الوكلاء ، لم الامتيازات المقررة في القانون الدولي  
بلا تمييز لأحدهم على الآخر لأن كلاً منهم وكيل أمنه في مصالحها  
العامة ، وإنما يختلفون في تقديم أوراق تعيينهم : فرجال الثلاثة الأنواع  
الأولى يقدمون أوراقهم للملك والآخرين يقدمونها لناظر الخارجية  
والأوليين رسوم خاصة بهم في مقابلاتهم وتعظيمهم ، أرقى مما للآخرين  
بسبب سمو مقامهم وطبيعة وظيفتهم .

الوكلاء السياسيون الذين من درجة واحدة يكون ترتيبهم في  
الاحتفالات والتشريفات ، على خطة الأقدم فالأقدم ، وتعتبر الأقدمية  
بتاريخ تقديم أوراق التعيين .

مق حصل تغيير في حكومة المملكة وجب تجديد اعتماد تعيين

السفراء المقيمين لديها . وقد وقع خلاف بين سفيري انكلترا والبرتغال في ١٩ فبراير سنة ١٨٧٥ حين ارتقاء (الفونس الثاني عشر) على كرسى المملكة اسبانيا وكان الأول أقدم من الثاني إلا أن أوراق تهديد اعتماد الثاني سبقت أوراق الأول ، فقرر مجمع السفراء بمدريد تأييد طلبات السفير الانكليزي .

وقد جرت العادة أن يؤخذ رأى الملك الذي سيعين السفير لديه ، حتى لا تكون الكراهة الشخصية عفة في سبيل تأييد السلم أو الوفاق بين الملكين فيضر ذلك بمصالحهما العمومية .

## وظائف الوكلاء السياسيين

(١) يجب على الوكيل السياسي أن يكون خبيراً بأشور المملكة التي هو مقيم فيها ، واقفاً على اسرارها كأن يعرف حالة الجيش وسائر الأحوال السياسية والتجارية وموارد الثروة ومواطن الضعف فيها وحركة الأعمال البشرية على اختلاف أنواعها ، ويقدم تقاريره من وقت لآخر عن ذلك .

(٢) بما أنه وكيل لسوك ، عليه ملاحظة انفاذ المعاهدات السياسية والتجارية المعقودة بين الملكين ، والسعى في عقد معاهدات أخرى تنفيذ مصالح بلاده ، متى رأى ذلك ، وملاحظة كل ما من شأنه المساس بمحقوق بلاده ومصالحها ، لينبه عليه ويرشد اليه .



(٣) حماية رعياً دولته اذا وقع على أحدكم جور أو اعتداء ، بشرط  
الاتجاه الى السلطة المختصة أولاً حتى اذا لم يجد انصافاً لجأ الى الطرق  
السياسية في رد الظلم وتعويض الضرر .  
وتكون مفاوضات الوكلاء السياسيين مع نظائر الخارجية بحيث  
يكون السفير هو الواسطة بين الحكومتين في جميع مفاوضاتها  
جميع المفاوضات السياسية للملكة تنشر في وقت معلوم من السنة  
في كتاب يعرف اسمه بلون غلافه فيقال الكتاب الأزرق لانكائرا  
والكتاب الأصفر لفرنسا الخ  
وليس للسفير أثر تداخل في الشؤون الداخلية للملكة التي هو  
معيّن لديها .

## امتيازات الوكلاء السياسيين

أولاً - للوكيل السياسي ويسى أيضاً بلوزير العام حرمة الشيء  
القدس : الحماية المطلقة والاحترام التام فهو امانة الملكة الموقدة لة  
لدى شرف الملكة المعين لديها . كل اعتداء يقع عليه مادياً كان أو  
أدياً يلحق بالملكة النائب عنها . ولا يعتبر ذلك جريمة من جرائم  
القانون العام بل جريمة خارقة لحرمة القانون الدولي .

وتنظر محاكم البلاد في مثل هذه الجرائم كما تنظر الجرائم العادية  
أما اذا كانت الاذاعة وقعت من الحكومة نفسها فتقدم الترضية

إما بالاعتذار لو بإيضاح يزيل سوء التفاهم

وتكون هذه الحرمة لشخص الوكيل السياسي بمجرد دخوله أرض المملكة التي هو معين لديها ولو لم يقدم أوراق تعيينه . وإذا استدعى لمملكة اخرى كانت له هذه الحرمة حتى يفارق أرض المملكة .

وتكون هذه الحرمة أيضاً لجميع موظفي مأموريته وأتباعه وسعاة بريده وكذلك سائر المحررات والعقود والأوراق الخاصة بوظيفته أو بشخصه لا تمس لاية عنه كانت .

ثانياً - استقلال الوكيل السياسي - فلما ان لكل مملكة السيادة الداخلية أي السلطة العليا على كل شخص تقاً قدمه أرضها ، ويستثنى من هذه القاعدة الوكلاء السياسيون في الأمور الآتية .

(١) المواد الجنائية - لا يحاكم الوكيل السياسي أمام محاكم المملكة التي هو معين لديها ولا تسرى عليه قوانين الشرطة ( البوليس ) .

نعم يجب على الوكيل السياسي أن يحترم لوائح البوليس بلا خلاف لأنها وضعت لحفظ الأمن والنظام . والامتياز الممنوح للوكلاء السياسيين لا يذهب بهم الى مجاوزة حدود النظام العام ، وإنما في حالة مخالفة تلك اللوائح ، لا تتخذ مع الوكيل السياسي لاجراءات التي تتبع مع الافراد ، مثل تحرير المحاضر أو القبض عليهم ، بل يكتفى في ذلك بالاحتجاز أو التنيه البسيط . وإذا لم يفد وجب الاتجاا الى الطرق السياسية بواسطة المفاوضات مع نظارة الخارجية .

كذلك لا يحاكم الوكيل السياسي في المسائل الجنائية أمام أية محكمة من محاكم السلطة المحلية . فإذا ارتكب جناية أو جنحة يطلب من حكومته استدعاؤه أو يُدعى الى مفارقة البلاد . إلا إذا تكن الاعتداء مهدداً لسلامة الملك أو حكومته

كذلك لا يجوز اعلانه بالحضور بصفة شاهد في قضية . فإذا كانت شهادته ضرورية لاثبات جناية طلب بالطرق السياسية بواسطة نظارة الخارجية .

ويدخل في هذا الامتياز أيضاً موظفو السفارة أو الوكالة، ثم توسعوا بحكم العادات المرعية الآن الى ان أدخلوا أسرة الوكيل السياسي وتواهم حتى غير الرسميين في هذا الامتياز ، ولوزير المام الحق في أحالة محاكمهم على محاكم السلطة المحلية أو محاكم بلاده الداخلية .

(٦) المواد المدنية - كذلك في المواد المدنية لا يجوز رفع دعاوى مدنية على الوكيل السياسي الأمام محاكم بلاده . والاسباب : أولاً - ان طبيعة وظيفته أو مأموريته تستدعي أن يكون آمناً من كل خوف حتى يكون مستقلاً لا يخشى تهديداً باعلانت قضائية أو حجباً أو نحوها .

ثانياً - انه يمثل حكومته وليس لحكومته على أخرى سيادة أو سلطة كما قدمنا .

والنوى المحقوق اللانجا، الى نظارة الخارجية في طلب حقوقهم

وهذه تخاطب الوكيل السياسي صاحب الشأن فإن لم تجد نفعاً في ذلك  
كاتب نظارة خارجية بلاده .

ويتمتع بهذا الامتياز كذلك مستشارو السفارات والوكالات  
السياسة وكاتبو أسرارها وأسرة الوكيل السياسي ومن في خدمته  
الخصوصية .

جميع منقولات وأثاث الوكالة السياسية سواء كانت للمصاحبة أو  
لاستعمال الوزير العام الشخصية لا يجوز الحجز عليها مطلقاً .

ويستثنى مما تقدم المسائل العقارية فإن قضاياها تنظر أمام محاكم  
السلطة المحلية ما عدا منزل السفارة أو الوكالة السياسية ولحقائها لأنها  
يعتبر جزءاً من مملكة الوزير العام فلا يجوز الحجز عليه ولا رهته ولا  
الدخول فيه إلا بإذن الوكيل السياسي ورضاه .

ولوزير العام أن يقبل في الوكالة السياسية كل مجرم سياسي التجأ  
اليه وطلب حمايته دون المجرمين العاديين فإنه يجب عليه تسليمهم  
للسلطة المحلية بمجرد طلبها والآ كلف لها الحق في محاصرة الوكالة  
والدخول بالقوة إذا اقتضت الظروف .

وكذلك جميع الاشغال التجارية التي يتعاملها لمهاتمه الشخصية  
تنظر قضاياها أمام المحاكم المحلية أيضاً .

الضرائب — يعنى الوكلاء السياسيون من جميع الضرائب  
الشخصية والرسوم الجمركية وبعض المالك بعضهم من كل ضريبة الأ  
الضرائب العقارية .

## القناصل

القنصل هو الوكيل العام المكلف برقابة مصالح بلاده التجارية في الخارج وحماية رعايا دولته .

والقناصل يرثت لبلاد الأجنبية من القرون الوسطى ، فظالمهم أقدم من نظام الوكلاء السياسيين . وهم أربع درجات : القنصل الجنرال ، والقنصل ، ونائب قنصل ، وأمور أشغال قنصلية . وبالجملة لاتساع دائرة اختصاص كل منهم يكون بعد القنصل الجنرال جملة قناصل وبعد القنصل جملة من نواب القناصل وهكذا .

اختصاصات القناصل — مأمورية القناصل تجارية صرفة لأنهم لا يتوبون عن حكوماتهم في مسائل السياسة العامة .  
أما يجوز في البلاد التي لا يوجد فيها وكلاء سياسيون أن يكلف القنصل بالمأمورية السياسية بنص صريح في أوراق تعيينه علاوة على أعمال وظيفته .

وفي هذه الحالة ، عليه تبليغ حكومته جميع المسائل التي لها ماس سياسيها ومخاطبة تخطر انظر الخارجية كما رأى مخالفة في تنفيذ المعاهدات المعقودة بين الحكومتين .

أما اختصاصهم في المسائل الأخرى فهي :

(١) المسائل التجارية — مأمورية القناصل في المسائل التجارية

أكبر مهمة في وظائفهم ، فأنه يجب على القنصل أن يبلغ حكومته عن الأحوال التجارية أو الصناعية في المملكة التي يقيم بها مع بيان سير الرقي فيها وحركة المعاملات وشروطها ، وأن يرسل لبلاده من وقت لآخر ، أشياء من المصنوعات أو المحصولات الأجنبية ، كما رأى فائدة تعود على مصلحة بلاده التجارية من دراسة هذه الأشياء ، أو مفاستها بثمنها عندهم . وعليه أن يعلن لمواطنيه وعلى الأخص أهل التجارة والملاحة صنوف الحقوق والفوائد المقررة بالمعاهدات ، وأن يسهل لهم أمثالهم ويزيل بهارته العقبات التي قد تعترض تقدم التجارة أو الملاحة .

(٢) المسائل الإدارية — يختص القنصل بصرف جوازات السفر ، والتصديق على الشهادات ، وأعمال القرعة العسكرية ، وتفسير رعايا دولته الفقراء إلى بلادهم ، وسائر الأعمال التي تختص بالسفن التجارية ، والحجر الصحي عليها وغير ذلك .

(٣) المسائل المدنية — كفقود الزواج والطلاق ، وقيد المواليد والوفيات ، والتصديق على العقود والوصايا ، والطجر على المتوهمين والسفهاء ، وإقامة الأوصياء على القصر ، وحصر التركات . . ونحوها .

(٤) المسائل القضائية — ليس للقنصل اختصاص قضائي في البلاد الأجنبية ، وعلى الأخص البلاد المسيحية . أما في البلاد غير المسيحية فلم يخصص في المواد يختلف باختلاف المعاهدات المبرمة بهذا الشأن .

في مصر مثلاً ، لتفانيل الحكم في قضايا الجرح والجنايات التي تقع من رعيا بمالكهم ، أما المحاكم فتحكم فيها المحاكم المختلطة . وكذلك لهم حق الفصل في المسائل المدنية والتجارية ، إلا ما يتعلق بالمقارنات ، فإنه من اختصاص المحاكم المختلطة ولو كان الطرفان من جنسية واحدة .

## امتيازات القناصل

ليس للقناصل من الامتيازات المنوحة للوكلاء السياسيين في البلاد المسيحية ، إلا بعض امتيازات قليلة ، مساعدة لهم في اداء مأموريتهم . أما في البلاد غير المسيحية ، وعلى الأخص بلاد الشرق الأدنى ، غالب القناصل جميع الامتيازات التي للوكلاء السياسيين ، وذلك بمقتضى المعاهدات الموقعة بين دول أوروبا ودولة آل عثمان في القرن السادس عشر الميلاد .



# الباب الثامن

## الدين العمومي

تولى المتفوق له اسماعيل باشا خديو مصر الأول ، عقب وفاة  
المرحوم محمد سعيد باشا رابع ولاية مصر ، من الأسرة المحمدية العلوية  
وعلى مصر دين عمومي قدره ثلاثة ملايين من الجنيهات أو يزيد  
قليلاً. الأمانة كان ملحوظاً إلى العلى ، شغوقاً بحاسن الحضارة العصرية  
فهم بتشيد القصور العديدة ، وحفر الترع الصومية ، لاسيا الاسماعيليه  
والابراهيمية ، وانشاء معامل السكر بالوجه القبلى ، ومعامل حلبج  
القطن ، وكوبرى قصر النيل ، ومدت السكك الحديدية في الوجهين ،  
وبتأسيس المدارس في جميع أنحاء القطر . وساعد في انشاء شركات  
المياه والنور بالقاهرة والاسكندرية ، الى غير ذلك مما لا يحصره هذا  
المؤلف الصغير ، هذا فضلاً عن انشاء المحاكم المختلطة وتعديل نظام  
الوراثة الأريكة الخديوية ، وفتح خيال السويس .

كل هذه الاعمال أفضت الى تنقيل كاهل الفلاح المصرى بأنواع  
الضرائب الفادحة ومع ذلك لم تسد حاجة اسماعيل ولا أرضت مطالبه  
فدّ به الى المالىين الأوربيين واستعان ديوناً طائلة بفوائد وآجال



مختلفة ، ولم يمضِ أكثر من أربع عشرة سنة من ترويج جلوسه على الأريكة الخديوية حتى بلغت الديون ٩١ مليوناً من الجنيهات واختلت أركان المالية المصرية. وبسبب قصر آجال بعض السلف، حلت مواعيد دفعها وانظرية خنوية على عروشها ، فتوقفت الحكومة عن الدفع ، فهاجت هذه المسرة أصحاب الديون وشرعوا في مقاطعة الحكومة أمام المحاكم المختلفة ، وكان ما كلن من اضطراب الأحوال واختلال الأمور التي أدت الى تداخل الدول في شؤون الحكومة ، فارة بتعيين مندوبين لفحص حساب الحكومة ، وفارة لتصفية ديونها ، وفارة لمراقبة أعمالها الى ان خضت بمنزل الخديو اسماعيل ، وتولية المغفور له محمد توفيق باشا الذي عني بالأمر ، وشكل لجنة لتسوية الديون جميعا من سائرة ومستقلة ، وأصدر قانون التصفية الشهير بتاريخ ١٧ يوليو سنة ١٨٨٥ . وكان قبل ذلك قد تشكل (صندوق الدين) بناء على طلب الدول وأعضاؤه ستة ، كل واحد منهم مندوب عن دولة من الدول الكبرى .

وكان الغرض من إيجاد صندوق الدين ملاحظة حقوق الدائنين ، والدفاع عنها من جهة ، ومراقبة الحكومة المصرية وتصرفاتها من جهة أخرى

ويعتضى قانون التصفية أصبحت الديون العمومية هي :

دين الدائرة السنية ، ودين الدومين (أراضي الميري الحرة) ،

والدين الموحد ، والدين الممتاز ، وزيد عليها بعداً الدين المضمون .

(١) أما دين الدائرة السنية فقد انتهى ويعد الأراضي التي كانت مرهونة بسببه وكانت ٤٨٥,١٣١ فداناً

(٢) وأما دين الدومين فقد كان ثمانية ملايين ونصف من الجنيهات أخذت من بنك روتشيلد لتسديد الدين السائرة ، ودهنت بسببها أطيان تنازل عنها الخديو اسماعيل عن نفسه وعن أعضاء أسرته للحكومة المصرية في ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٧٨ مراعاة للأحوال المالية وتخشياً . وهذا الدين انتهى في ختام سنة ١٩١٢ وسفاح أطياته أيضاً وهي الآن ٣١٩,٧٨٨

### (٣) الدين الموحد

يشمل ديون الحكومة التي اقترضتها في سنة ١٨٦٢ وسنة ١٨٦٨ وسنة ١٨٧٣ وضمت بعضها الى بعض ووضعت لها قواعد واحدة من حيث الأرباح ودفعها وطريقة الاستهلاك أي وُحدت . وخصص لاستهلاك هذا الدين صافي إيرادات الكسارك وإيرادات مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط . وقدر الدين المذكور بمجموعه ٦٠,٩٥٨,٢٤٠ جنيه مصري

### (٤) الدين الممتاز

هو عبارة عن جزء مخصوص من الدين العمومي ، رهنهت وخصصت من أجل سداد أرباحه واستهلاكه دون غيره أي بالأفضلية على غيره ، إيرادات معينة تغلر تنازل أصحابه عن بعض سداداتهم واستبدالها بأخرى أقل من الأصلية ، وجعلت فوائده  $\frac{3}{4}$  في المائة وكانت ٥ ٪

وخصت له إيرادات السكة الحديدية والتلفرات وميناء  
الاسكندرية ، وبلغت حقه ٣١,٥٨١,٢٠٠ جنيه مصرى .

### (٥) الدين المضمون

عبارة عن تسعة ملايين ونصف من الجنيهات اقترضت على  
أثر الحوادث العراقية وثورة السودان لدفع التعويضات ، واصلاح مالى  
اقتضت الأحوال ، بضمان انكلترا وفرنسا والمانيا واطاليا والروسيا .  
وقرر تسديده ان يؤخذ كل سنة ٣١٥,٠٠٠ جنيه من الإيرادات  
المخصصة لضمان القرضين الممتاز والوحيد .

وفى سنة ١٩٠٤ تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا على فك الرهن  
عن جميع المصالح والمديريات المخصصة للدين وان تحتل الأموال  
العقارية ( ما عدا عشور التخليل ) فى جميع المديريات ، الامديرية  
قنا ، تسديد المقر السنوى للدين وهو ثلاثة ملايين ونصف تقريباً  
والزائد يدفع نظرية المالية مباشرة .

وبمقتضى هذا الوفاق أصبحت الحكومة تقدر مصروفات ادارتها  
بالطريقة التى تراها بلا دخل لصندوق الدين كما كان قبلاً ، ولما أن  
تعرض بغير اذن منه ايضاً

واختلاصة أن صندوق الدين أصبح بعد ذلك الوفاق لا عمل له  
سوى أنه خزينة مخصصة تتسلم من إيرادات الحكومة قيمة المقر  
للدين وتقوم بتوزيعه على الدائنين .

( تم الجزء الثالث )



# الجزء الرابع

## مبادئ الاقتصاد السياسي



# الباب الأول

## « ١ - الاقتصاد السياسي »

### الاقتصاد السياسي هو علم الثروة

لا يعني أن يصبح الانسان بواسطه غنياً من الاغنياء ، بل يعني علم يبحث فيه عن المنافع العامة للبيئة الاجتماعية سواء في الصناعة او الزراعة او التجارة ، وعن علاقات العمال مع أرباب المصانع والمناجم ، وعن الاعتصامات او الاضراب عن العمل ، الى غير ذلك مما تقروءه كل يوم في الصحف السيرة .

وتعريفه عند علماء الاقتصاد ، انه علم يبحث به عن التوازن الطبيعية ، وعلاقات الأفراد والمجاميع المنظمة بإيجاد الثروة وتوزيعها وتداولها واستهلاكها ، ولذلك سمي الاقتصاد السياسي بعلم الثروة .

### « ٣ — حاجات الانسان »

الانسان في هذه الحياة له حاجات لا يحصل عليها إلا بعمل يقوم به أو مال ينفقه  
فحاجته للغذاء ، دفع الجوع ، ولباس اتقاء البرد ، والمسكن  
الالتجاء اليه هو وأسرته متى جن الليل ، أو اشتد هجير الصيف ، أو  
زمهرير الشتاء ، فهو بالجملة يكون مأواه ومأوى أسرته يدبرون فيه  
حاجة العيش وشؤون الحياة .

ولست الحاجة الى المأكل والملبس والسكنى كل ما يطلبه  
الانسان ، في وسط من أوساط الحضارة ، بل الحضارة تجعله يشعر بحاجته  
الى التعلم والتروض ، وهذه الرغبة منه تخلق له حاجات فوق هذه  
الحاجات الثلاث .

إذا حاجت الانسان كثيرة ، تختلف باختلاف الأوساط التي  
يوجد فيها . فالتأخرون في الحضارة لا يبحثون إلا عن الغذاء ، وقد  
لا يهتمون بلباس أو السكنى ، على ان أهل الحضارة يرون حاجتهم  
للتعلم والترقية كحاجتهم للغذاء واللباس حيث يرون من ضرورات  
الحياة الأدبية ، اتساع القوى المنتجة في الانسان التي عليها مدار تقدم  
الأفراد والجماع

فحاجات الانسان إما ضرورية ، أو ناعمة ، أو مرغوب فيها ليس

الآن ، كلطلى والجواهر . وسد تلك الحاجات يكون بعمل يقوم الانسان  
به ، كما يفعل الصياد اذا اصطاد طيراً لياً كله ، أو بصرف شئ من  
المال مناسب لقيمة تلك الحاجة ، فاذا كلن المال الذى أنفق اكثر  
منها كلن اسرافاً وصاحبه يعد قليل الحزم

٥ ٣ - المنفعة والثروة والقوى المنتجة »

كل شئ يسد حاجة فهو شئ نافع

كل شئ نافع يسد ثروة

يجب التمييز بين الثروة المادية والقوى المنتجة التى تولد

الثروة

القوى المنتجة الأولى من نوعها ، هى قوة الانسان . فالنيط ثروة  
لأنه ينتج المحصول ، والقمح ثروة لأن فيه الغذاء ، والنزل ثروة  
لان فيه السكنى ، والآلة البخارية ثروة لأنها تولد القوة المحركة ،  
والجواهر ثروة لأنها سد حاجة الرغبة فى الزينة ، والكتاب ثروة  
لأنه يعلم الانسان .

وهكذا يمكن أن يقال عن كثير من الاشياء ، حتى استشارة  
الطبيب قائمها شئ نافع ، لان المريض ينتفع بمزايا العلم الذى قد  
يقده الشفاء

و ثروة كل أمة هى مجموع الاشياء النافعة التى تملكها .

وفي العادة يقال ان الانسان غنى متى كان يملك أموالاً بكثرة  
وعند الاقتصاديين لا يقال فقير لمن لا يملك أموالاً بل عندهم  
ان ثوب الفقير وخطاه الذي قد تعافه النفس ثروة .

والثروة الطبيعية ، هي المنافع التي تجود بها الطبيعة . فالبلاد المعروفة  
بخصب أرضها أو معادنها تكون أغنى من البلاد القاحلة طبيعاً .

الثروة التجارية ، أعني الثروة التي تتداول في المنجر ، هي الثروة  
التي يوجد بها الانسان وعمله بواسطة الزراعة أو الصناعة أو التجارة التي  
يبحثها لسد حاجاته ، لأن الثروة الطبيعية تصبح ثروة تجارية متى هيأها  
الانسان وجعلها ذات قيمة بحدده ، وعلى هذا النوع تتكون ثروة الأمم .  
والثروة تتكون من اشياء مادية - مثل الأرض فلها من عوامل  
إيجاد الثروة بتربتها ووادعها الأولية وقوى الطبيعة المؤثرة .

ومثل الكسب<sup>(١)</sup> الذي هو ثمرة عمل الانسان كالقمح والبقول  
وصنوف المحصولات والآلات الميكانيكية وضروب المصنوعات التي  
تصنع إما لاستفاد الانسان بها مباشرة ، او تستخدم في عمل  
مصنوعات أخرى .

ولتقدير موارد الثروة سواء للأفراد أو للأمم ، أو بعبارة أخرى  
لمعرفة القوة الاقتصادية - عند كل من الفريقين - لا يعول على  
ما يملكه الشخص أو الأمة حلاً بل الممول على القوة المنتجة -

(١) الكسب ( produit ) والكاسب ( producteur )



مثال ذلك - رجلان أحدهما ورث مالا قليلاً ولكنه جامد يلبس  
وآخر لم يرث شيئاً إلا أنه تعلم تعليماً صحيحاً وهو ذو عزم وذكاء، فلا  
يبعد أن يحصل مثل هذا بعدد على أنصاف ما ورثه الأول في زمن  
قريب لما أودعه التعليم فيه من القوة المنتجة العليا . وفي الواقع يوجد  
نوعان من القوى المنتجة .

أولاً - قوى الطبيعة - كالضوء والحرارة والكهرباء - فهي  
من الثروة الطبيعية متى كانت غير مملوكة لأحد - والثروة التجارية  
متى هيأتها يد الانسان لغرض ما ، مثل استعمال الماء المنحدر في ادارة  
الآلات الميكانيكية

ثانياً - القوى المنتجة التي يولدها عمل الانسان وادراكه ، وهي  
في الحقيقة أكبر عوامل الثروة - لأن الانسان هو الذي يستخدم  
قوى الطبيعة والثروة الطبيعية والتجارية لاييجاد ثروة أخرى .  
فلقوة الاقتصادية للأمة اذاً تتكون من الثروة بأنواعها والقوى  
المنتجة .

### « ٤ - الطبيعة والانسان »

الانسان يوجد الثروة باستخدام المواد وقوى الطبيعة .  
توجد ممالك خصت بوفرة الثروة الطبيعية وأخرى جردت منها ،  
أعني من العناصر الصالحة لاييجاد الثروة .

جميع المواد التي تتكوّن منها الثروة أية كانت ، توجد في الطبيعة وكذلك جميع القوى التي يستخدمها الانسان لتكوينها .

فالانسان عندما يوجد الثروة ، لا يخلق المادة ولا القوة ، لوجودها في الطبيعة ، وانما يستخدمها فقط باستعمال القوة لتحويل المادة أو تشكيلها ماذا يصنع النجار يصنع صندوق مثلاً ؛ يأخذ الواح الخشب المجلوبة من الغابات الطبيعية ، ويفصلها تفصيلاً بحدده ، ثم يأتي بالفراء وهو مادة عضوية مستخرجة من بقايا الحيوان ، ثم بالسامير وهو من حديد مستخرج من معدن بالأرض . ومن ذلك يتضح ان الصانع لم يخلق الخشب ولا الفراء ولا الحديد ، انما استعمالها لتحقيق غرضه وهو صنع الصندوق .

ومما يلاحظه في بناء المنازل - لم يخلق الحجر ولا الأجر ولا الجير والجبس ولا سائر أنواع المونة وانما يستعملها من محاجرها لاتمام مشروعه وهو بناء المنزل

هذا ما يسميه علماء الاقتصاد (بإيجاد الثروة ) اعني توتّر المواد الطبيعية وجعلها صالحة لمنافع الانسان ولذلك ترى كثرة السكان في الممالك الغنية ، أو التي خصت بالمعادن أو النعم الحجرى ، وترى قلة في البلاد الفقيرة حيث لا يجد الانسان من القوى الطبيعية ولا المواد الأولية ما يقوم بحاجاته

وعلى كل حال فان الانسان لا يوجد الثروة الا بقوة العمل

لأن المواد أو الثروة الطبيعية لا توجد عادةً على سطح الأرض  
ف تكون سهلة التناول قريبة المأخذ .

المعادن لا توجد إلا في بطن الأرض على أعماق مختلفة ،  
واستخراجها قد يستدعي مشقات جمة . كذلك الفضة ، فهي فضلاً  
عن نخلها أبعد الاعماق لا توجد إلا في اراضٍ جبلية جرداء . لا ماء  
فيها ولا زرع ، فتأمل كيف يكون العمل والعيش فيها .

### « ٥ - التمدين »

التمدين الاقتصادي يخصص في توفر أنواع الثروة والقوى  
المنتجة ، ومحتاج ذلك الى نظام اجتماعي مفيد وانتشار التربية  
والتعليم وحكومة عادلة

مصر بلا شك من البلاد التي خصها الله بعمائه وأجرى فيها  
النيل السعيد فأخصبت به أرضها وعاش مواتها  
ثم انظر كيف فعلت يد الانسان فزادت في جمال الطبيعة . نرى  
في الأقاليم السكك الحديدية والزراعية لتسهيل المواصلات وتقريب  
المسافات ، ودواب الحمل تنقل المحاصيل من أراضي المزارع الى القرى  
والبلدان ، والقناطر المشيدة على النيل والترع لتدبير مياه الري ولعبور  
الناس والمواد وقطارات السكة الحديدية من جهة لأخرى ، والسفن

التي تجري في النيل والفرع الرئيسية لقضاء المصالح الزراعية والتجارية ،  
وغير ذلك مما تقوم به الحكومة والشركات لراحة بني الانسان ورفعيتهم ،  
ونرى في الأقاليم كذلك المروج الأريحية والرياح الأريضة والمزارع  
النضرة ، ونرى في المدن المباني الشاهقة والشوارع المتظمة المرصوفة  
بالبلاط أو الأحجار المضغوطة ونحتها المجري المدة لتصرف مياه  
الامطار ونحوها - وأنابيب توزع المياه وغاز الاستصباح والكهرباء  
على المساكن ، عدا أسلاك البرق ( التلغراف ) و ( التلغون ) ومركبات  
الركوب والنقل التي تجري في الشوارع وكلها منافع للناس ، ومحال  
التجارة المنتشرة في جميع أنحاء المدن مما يحتاج اليه الشعب التمددين  
على اختلاف مشاربه واغراضه

هذا ما يسونه بالتمددين او الحضارة .

فالتمددين هو ثراث الأولين منا وثمرة كدحم وبجهداتهم منذ  
القرون الاولى جيلاً بعد جيل ، كل جيل يأكل من غرس سابقه  
وينعم بمنافع الاعمال التي أنما وينتج خطوتهم في سبيل الرقي القومي  
نبى كما كانت اوائلا تبنى وتفضل مثل ما فعلوا  
والحضارة من الوجبة الاقتصادية تنحصر في الآتى : -  
أولاً - الثروة بأنواعها سواء كانت عقارات أو منقولات  
ثانياً - القوى المنتجة التي تتولد في الافراد بفضل الحرية  
العليا والأدبية والنشاط وممارسة الفنون اليدوية والفنون الجميلة .

والحضارة درجات . الأمم السابقة لغيرها هي الأمم التي لديها  
ثروة أكثر من ثروة غيرها لاسباب القوى المتبعة التي تستلزم صفات  
معنوية خاصة كالعزم والثبات في العمل والشعور والبصر و ارادة  
التوفير والاقتصاد وانتشار التعليم وحسن نظام المجتمع الانساني ، لأن  
التعليم العام والتعليم الصناعي والنظام الاجتماعي هي أسس التقدم في  
الحضارة كما ان الحكومة الرشيدة هي أساس كل نظام اجتماعي مفيد .

# الباب الثاني

## ايجاد الثروة

« ١ - العمل »

لا يمكن ايجاد الثروة بنير العمل . العمل النافع هو الذي يوجد الشيء ، النافع .

قلنا ان العمل هو العامل الأول لايجاد الثروة ، وفي الواقع ان الانسان اذا لم يشتغل ، لا يمكن أن يجهد في الكون كل ما يحتاج اليه حاضراً . بل ان ما يوجد في الكون انما هو المواد الأولية أو الثروة الطبيعية ، ويد الانسان هي التي تحولها الى ما نشاء حاجته وتهدى نفسه . فالأرض لا تخرج زرعها الا اذا حرثها الانسان ويذرها وسقاها ، والذهب أو أى معدن آخر من المعادن النفيسة ، لا يوجد حتى يستخرج من بطن الأرض بعد أعمال شاقة ومتاعب جمة وهكذا .

فالعمل النافع هو الذي يفيد صاحبه في ايجاد الثروة التي يشدها . والعمل غير النافع هو الذي لا ينال صاحبه فيه الا التعب والنصب على

غير جدوى كمن يحرث أرضاً ثم لا يزرعها فإذا يفيد عمله هذا ؟  
لا شيء ، فإذا دخلت دسكرة ( عزبة ) وجدت الفلاح القدي يزرع .  
ذلك الفلاح عمله نافع لأنه يوجد الفلال ، وكذلك الكاتب عمله  
نافع لأنه يقيد الحساب ويكتب المحررات ، ونظير الدسكرة (العزبة)  
عمله مفيد لأنه يراقب حسن ادارة الاعمال ، وعلى هذا يقاس .

## « ٢ - العمل اليدوى والعمل العقلى »

كل عمل يحتاج لمجهود عقلى وجسمانى  
التفاوت بين الناس فى القوى العضلية هو تفاوت محدود  
والتفاوت بينهم فى القوى العقلية تفاوت غير محدود  
كما نمت القوى العقلية والأدبية فى الافراد أوجدت التروية  
بكثرة وسهولة . ولأجل أن يكون العمل نافعاً يجب ان يديره رأس  
ذو ادراك ، ومهما كان العمل صغيراً كعمل الفاعل مثلاً ، فإنه يحتاج  
لشيء من الادراك ولو قليلاً . يفهم ذلك بين قاعلين متفاوتين فى  
الادراك بحفران حفرة فترى أحسنها ادراكاً يصل بسهولة وسرعة  
بينما الآخر يصل بتمب وصعوبة ، أو بين عاملين فى محطة لو مياه ،  
ترى أحدهما يرفع عدة أشياء على كتفيه أو ذراعيه بهارة وترتيب  
لادراك فيه ، بينما الآخر يرتبك فى رفع ثلاثة أشياء صغيرة

وكذلك الرجل السكران الذي يفقد ادراكه أحياناً تراه غير مستعد لاداء واجبه في كل حين كما ينبغي .

في كل عمل يقود العقل اليدين .

كما كان العمل بقوة العضلات سمي العمل يدوياً كعمل الناجل والحداد والنجار فان ركني عملهم الأصل القوي العضلية ، أما القوي العقلية قانونية عديم . وكما كان العمل بقوة الفكر والعقل سمي عقلياً ، كعمل المهندس والطبيب والمدرس ، فان عماد أعمالهم العقل والادراك ، أما القوي التكليفية قانونية عديم . العمليعية

قلنا أن التفاوت في القوي العضلية محدود ، بمعنى أن الفرق بين الرجل القوي البنية جداً والضعيفها جداً كالفرق بين ١ و ٣ لا أكثر أما التفاوت في القوي العقلية فغير محدود ، بمعنى أن الفرق بين العامل الصغير الذي يرفع الأثربة يديه وبين المهندس الذي يخترع آلة للحفر ترفع آلاماً من الأمتار في الساعة الواحدة ، لا شك انه غير محدود ولا نهاية له ، وكذلك الفرق بين التوفي الصغير وربان سفينة من السفن الكبرى ، والفرق بين مديري مصلين من معامل الغزل أو الصناعات المختلفة فان تفاوت المصلين في التقدم وكثرة الأرباح يتعلق بقوة المديرين العقلية وذكائهم .

وهذا التفاوت بين هؤلاء المهال منشؤه العلم الذي عليه الممول في تنفيذ العقل وتقوية الادراك .



٣ - عوامل الثروة :

العوامل الأصلية لايجاد الثروة هي العمل ورأس المال .  
رأس المال بلا عمل لا يفيد شيئاً . والعمل بلا رأس مال  
يكد لا يفيد شيئاً أيضاً

فالعمل هو الوسيلة الأولى لايجاد الثروة ، ولكنه لا يفيد شيئاً  
في السلب وحده . نعم أن الانسان المتوحش قد يحصل على قوته  
بالصيد والقنص من الغابات ، ويعيش على ذلك عيشة البؤس والتعاسة ،  
ولكن في بلاد الحضارة ماذا يصنع الفلاح اذا لم يكن له غنيط يزرعه ،  
أو الصانع اذا لم يكن لديه العدد والمواد الأولية ( انظرات ) . اذا  
فالثروة لا توجد الا بشئين : العمل ورأس المال .

رأس المال على أنواع - أهمها للفلاح الارض ، وللصانع المواد  
الأولية ، وكل منهما يشترك مع الآخر في العدد والآلات التي  
تساعدهما في العمل ، والقود الضرورية لدفع أجور العمال والتعقات  
الأخرى .

أيما كان نوع رأس المال فهو ثروة مستعملة لايجاد ثروة اخرى .  
وعلى هذا يكون رأس المال عبارة عن مادة . والمادة في حد  
ذاتها عقبة لا تنبئ شيئاً ، فالطريقة لا تضرب الحديد وحدها بل يد  
الحداد هي التي تضرب ، وسلاح الخراث لا يشق وجه الأرض الا

بقوة الدابة المرتبطة به ، والآلة البخارية لا تتحرك الا اذا وضع العامل الفحم في بيت النار والماء في المرَبَل .

قرأس المال لا يفيد شيئاً بغير العمل . والعمل بلا رأس مال لا يفيد تقريباً لأن الانسان بلا عدد وآلات أو مواد أولية يرجع الى حاله في القرون الأولى . وانما باجتماع هذه العناصر ، توفرت أسباب الثروة كثيراً .

ففي عمل المنسوجات - تعدّ المائى والآلات البخارية والأموال ، آلات لايجاد الثروة ، والنزل والقراء مواد أولية ، والنسيج هو الكسب ( المحصول ) .

وفي الزراعة تُعدّ الأراضى والمحارث والمناشبة ، آلات لايجاد الثروة ، والبذور والسماد مواد أولية ، والغلال ونتاج المواشى هي المحصول .

#### « ٤ — رأس المال الثابت والوقتى »

رأس المال هو خادم العمل . وبه يستطيع العامل الواحد أن يأتى بكمية عظيمة من القوائد .

الثروة تختلف باختلاف كثرة رأس المال او قلته .

رأس المال الثابت يستهلك شيئاً فشيئاً بمعنى انه يستعمل لايجاد الثروة غير مرة وزمناً طويلاً فى الغالب .

ورأس المال الوتقى . يستهلك في الحال بمعنى أنه يستعمل مرة واحدة .

الأرض تدخل في عداد رؤوس الأموال متى أحيهاها وبهاها الانسان .

في الواقع ان الأرض في حد ذاتها ثروة طبيعية وتصيح رأس مال بالعمل وتختلف عن باقى رؤوس الأموال بأنها ليست نتيجة العمل في الأصل وانما ييجاد فيها الانسان المواد الأولية ليس الآ .

لنبحث الآن عن رؤوس الأموال المختلفة وعن عملها في إيجاد الثروة فنقول :

إذا أصلح الانسان قطعة أرض تبلغ مائة فدان لتكون مسكرة (عزبة) وجعلها صالحة للزراع أمكن القول بأنها رأس مال يختلف في نوعه عن باقى رؤوس الأموال الأخرى فلذا ردم ما بها من القطع المنخفضة بأثره جيدة صالحة للزراعة فالأموال التى أنفقت تمد رأس مال استعمل في زيادة خصبها وصلاحيها اللابات . والمباني التى أقامها المالك في العزبة تمد رأس مال ، وكذلك المركبات والحارث والسياد ، كلها رؤوس أموال لأنها ضرورية لاستغلال العزبة ، وكذا مواشى الحارث ومواشى الألبان وأغنام الصوف ، وكذا الأصناف التى توجد بالمخازن لطف المواشى والأغنام ، كلها رؤوس أموال . أما ما يوجد في المخازن من المحاصيل فإن كان للبذر فهو رأس مال ، وان

كان يبيع فلا بعد رأس مال لانه ليس ممدداً لاستغلال العزبة بل هو  
محصول رؤوس الاموال .

فلما أن بعضها يستعمل دائماً أو زمناً طويلاً وبعضها يستهلك في  
الحال ففي مثال العزبة الذي ضربناه نجد أن الارض رأس مال ثابت  
أما السهاد والبذور وعلف المواشي فكما رأس مال وقفي ، حيث  
تتجدد عند كل زراعة أو تستعمل زمناً طويلاً أو قصيراً مثل  
المحارث أو المركبات ونحوها ، ثم تستهلك ويستعاض بها غيرها .

وسواء كان رأس المال ثابتاً أو مؤقتاً فهو ( خادم العمل )  
أي الذي يمينه على إيجاد الثروة بكثرة عقلية . ويظهر الفرق في ذلك  
بين مصنعين للنسوجات أحدهما يشتغل بالأتوال العادية ، والآخر  
يستخدم الأتوال التي تدار بالمحركات الميكانيكية ، فانك تجد ما يصنعه  
المصنع الأول في سنة ، قد يصنعه الثاني في يوم أو بعض يوم ، والفضل  
في ذلك للفرق بين رأسى مالها طبعاً .

### « ٥ — الآلات الميكانيكية والعلم »

المحترعات العلمية ولا سيما الميكانيكية ، قد أعطت العمل  
قوة غير محدودة

أصبحت المصنوعات بفضلها كثيرة العدد قليلة الثمن

المخترعات العلمية تستلزم علماً راقياً ، ورأس مال وافراً ،  
واسواقاً عظيمة لتتفق فيها مصنوعاتها

قلنا ان العدد والآلات العادية رأس مال ، والآلات الميكانيكية  
هي عبارة عن عدد من آلة تدار بواسطة محرك ميكانيكي ، ولا شك  
ان جهد الانسان محدود ، ولكن قوة الآلات لانهاية لها ، ولذلك  
قلنا ان المخترعات الميكانيكية قد أعطت العمل قوة غير محدودة

فالعامل الواحد ينشر بمشاره مائة لوح من الخشب في اليوم على  
أكثر تقدير ، مع ان المشاير الميكانيكي ينشر منها ألوفاً في اليوم  
الواحد بلا تعب ولا نصب .

اذا كان العامل ينزل بمنزله في اليوم خمسمائة متر من الصوف ،  
فانه ينزل بالمنزل الميكانيكي خمسة ملايين من الاياتر في اليوم الواحد .  
أنظر كيف كان نسخ الوثائق العلمية في القرون الوسطى حينما كان  
الناسخ لا يكتب أكثر من أربعين صفحة في اليوم ، وحالة المطابع  
اليوم وهي تطبع ملايين من الصحف في بضع ساعات

قد وجد لرباب المصانع أنه لو جمع حدادو فرنسا ووضعوا في  
صعيد واحد ، وكنفوا بطرق ككل من الحديد يوماً كاملاً ، لما أنتموا  
أكثر من حشر ما تطرقه المطرقة الميكانيكية المعروفة عندهم باسم  
مارتو بيلون ( Marteau - pilon ) في المدة عينها . على ان هذه

الآلة يدبرها عامل واحد ليس له من عمل الأفتح لولب صغير أو القفلة  
وقد أحصى في فرنسا سنة ١٩٠٤ عدد الآلات البخارية على  
اختلافها (وهي جزء من الآلات الميكانيكية المستعملة) فكانت  
قوتها عشرة ملايين حصان بخاري وربع حصان . وهذه القوة تعادل  
قوة مائتي مليون صانع . على أن تعداد سكان فرنسا لا يتجاوز  
الأربعين مليوناً . ومن ذلك يتضح كيف أن الآلات الميكانيكية  
تضاعف كثيراً القوة المنتجة للإنسان .

عما تقدم نعلم أن مزايا المحترقات العلية هي : —

- (١) تمكن الصناع من العمل بكثرة في الزمن القصير
- (٢) كثرة للمصنوعات وقلة الثمن
- (٣) عمل ما لا يمكن عمله بغير الآلات الميكانيكية
- (٤) تسهيل الأعمال على الصناع والتقليل من متاعبهم

قامت ثورة الرجال وهاج هنجهم عند ظهور الآلات الميكانيكية  
حيث ظنوا أنها معطلة لم مقالة من أهميتهم مذهبة لكاسبهم فالبثوا  
أن عرفوا خطأهم واعترفوا بذنبهم إذ تعدوا على المصانع فهدموا ،  
واستولوا على الآلات فمطلوها ، حتى تداخلت الحكومات لتأييد  
الأمم وحفظ النظام أياماً معدودات . ثم ظهر خطأ القشاورم من  
الآلات بعد قليل حيث تجلت للصناع ولأرباب المصانع وللناس

أجدين منافها بأجل مظاهرها فكانت منها سهولة العمل ووفرة  
المصنوعات وزيادة المكاسب ورخص الاسعار ، ثم تقدر ما كان من  
اعتقاد أنها تقلل عدد العمال لأنها كانت سبباً في زيادتهم وزيادة  
اجورهم أضعافاً مضاعفة لأن رخص المصنوعات زاد في طلبها فظلم  
العمل

أنظر الحركة التي أوجدتها السكك الحديدية والمركبات الكهربائية  
( الترامواي ) . تم اقترحت بيدها طرائق النقل القديمة وكانت  
كثيرة المتاعب قليلة المكاسب ، لكن استبدل بها ما هو خير منها  
سرعة وراحة في النقل وانتظام سير مع أجور مناسبة لجميع الطبقات .  
هذا عدا زيادة الاستعمار ونشر المدنية وتحسين أمان الأراضي والأصقاع  
انشاء المامل ذات الآلات الميكانيكية يحتاج رأس مال عظيم ،  
لأن هذه الآلات قيمتها عظيمة ولكنها تخرج من المصنوعات كيات  
وافرة ، وللحصول على أرباح تناسب رأس المال ، لا بد من وجود  
أسواق عظيمة لتصريف المصنوعات ، والأكثر ، ألا الوفر في  
الافلاس لا محالة .

المخترعات الميكانيكية مؤسسة على نظريات علمية ، ومن أسباب  
رواج التجارة الاقتصاد في المصروف ، لا المكاتب الحصول على  
مصنوعات جيدة رخيصة ، حتى لا تجد في الأسواق موانع من تصريفها .  
مما تقدم عنهم جيداً الارتباط التام بين العلم والآلات ، فكلمنا

تقدم العلم دخل الإصلاح في طرق تركيبها وادائها ومواد وقودها  
ونحو ذلك

فالمركة العلمية من أكبر الضرورات للأمم التي تستعمل في  
معاملة الآلات الميكانيكية ، ولا تنسى فضل التطبيقات التي يهدي  
إليها علم الكيمياء وعلم الطبيعة ، كالكهرباء ، وفن التصوير الشمسي ،  
وقوانين تمدد السوائل ، والمعادن ، والغازات ، إلى غير ذلك ، فأنها  
زادت علم الصناعات قوة فوق قوته المستفادة من علم الميكانيكا .



# الباب الثالث

## توزيع الثروة

« ١ - الأجور والأرباح »

عند توزيع محصول أى عمل كان ، تكون الفائدة لرأس المال ، والأجرة للعامل ، والربح الصافي لمعهد العمل أو المقاول له

العامل الصغير يتجر بذراعيه ، ومالك العمل يتجر بمحصولاته أو مصنوعاته .

عرفنا إيجاد الثروة ونريد الآن معرفة من هي له ؟ أى من الموجد الحقيق لها ؟

الصيد الذى يصطاد السمك أو الطيور بشبكه أو بفتحه ، لا شك أنها له دون سواه .

والفلاح الذى يزرع أرضاً هي ملكه بذراعيه وعمراته لا شك ان المحصول يكون ملكه .

هذا فى الأعمال السهلة ولكن فى الأعمال الكبرى يتعتم وجود

عنصرين متلازمين في اتماها وهما العمل ، ورأس المال وقد يشترك  
جملة اشخاص في اتماها . فكيف تكون نتيجة عملهم ؟

هناك تفصيل

إذا اشترك اثنان من البنائين ، بكفاية واحدة ومع كل منهما  
عدد ، في بناء منزل لآخر يتعلق بين الفريقين فن البديهي ، أن  
ثم المنزل لها معاً ، كلٌّ بحق النصف . فإذا لم يدفع صاحب المنزل  
القيمة ، كانت انطارة على الاثنان مناصفة كذلك .

أما إذا تم الاتفاق بين صاحب المنزل وبنائه واحد ، وهذا  
البناء اشترك معه فاعل لمساعدته ، وقام البناء بعمل الرسم ، وأحضرا  
أدوات البناء ، والنجارة ونحوها ، فلا شك أن الربح لا يكون بينهما  
مناصفة ، بل التاعل المساعد له ، أجر المثل فقط ، لأن المنزل من عمل  
البناء حيث قام بالبناء وبنفقاته . فإذا لم يدفع صاحب المنزل ما تعهد  
بدفعه ، كان الغرم على البناء دون سواء ، أما التاعل فقد أخذ أجرته  
مقدماً ، يوماً أو اسبوعياً .

وبما تقدم يُعلم أن قيمة العمل تقسم الى ثلاثة أنصبة ، رأس المال  
وله قائمته ، والعامل وله أجره ، والمتعهد وله صافي الربح . .

### « ٢ — معدل الأجور »

معدل الأجر يتعلق بقدرة العامل ووفرة رأس المال

وليس العمال هم الاجراء فقط بل كذلك الطدامون ومستخدمو  
المحال التجارية ومستخدمو الحكومة لأن كلاً من هؤلاء يتناول أجراً  
معلوماً متفقاً عليه مقدماً عن عمله ووفه

مدير المصنع الذي يتناول ثلاثين ألف فرنك في السنة أجير  
كالمعامل الصغير الذي يتناول فرنكين في اليوم فالأجور تتفاوت  
بتفاوت الأعمال التي يؤديها الأجير

والأجور تختلف باختلاف الاشخاص والأزمات والأمكنة ، فنجد  
سنوات قلائل كان الفاعل يشتغل بثلاثة قروش في اليوم وهو الآن  
يشتغل بخمسة أو ستة قروش . ثم ان الفاعل في القاعة يتناول أجراً  
أكبر من أجر مثله في القرى . وهكذا تختلف الاجور بحسب  
الصفات الشخصية للعامل كأن يكون ذكراً أو انثى ، والعمر والقوة  
البدنية والمهارة الفية والتمرين على العمل والسلوك والأخلاق ( قيمة  
كل امرئ ما يحسنه )

فالأجرة لا تعطى للعامل لأنه يشتغل فقط بل على نسبة الفائدة  
من عمله .

وهناك أسباب أخرى تختلف باختلافها أجور العمال منها كثرة  
العمال ووفرة رأس المال أو قلته ، فكلما كثر العمال قلت الأجور اتباعاً  
لقاعدة العرض والطلب لأننا نعلم ان الأجور تدفع عادة من رأس  
المال ولو تأملنا في الحقيقة لوجدنا ان رأس المال كله مصروف في أجور  
العمال تقريباً

وفي الواقع فإن بناء المنزل يتوكل من أجور الصفاة وثمن المواد —  
والمواد تتوكل من خشب أو حجار وكلها صُنعت بأيدي عمال دُفعت  
لهم أجورهم .

وفي المدن الكبيرة تكون أجور العمال أكثر منها في بلاد  
الارباب نظراً لوجود رؤوس الأموال بكثرة في المدن الكبيرة

### ٣ - فائدة رأس المال ،

من العدل أن يكون رأس المال أجر .  
أجر رأس المال هو الفائدة .

إذا كان المال ضرورياً ومفيداً لاجتياز الحياة ، فمن العدل أن  
يكون له نصيب من الربح كما يدفع للعامل أجراً على الخدمة التي يؤتيها .  
فائدة رأس المال من الضرورات ، لأنه إذا أمكن الحصول على  
اقتراض مركبة أو محراث أو قنود من صديق ، فإن ذلك لا يتيسر  
لكل شيء ، وفي كل وقت لأن كل انسان إنما يعيش من شغل ودخله  
وليس من الممكن أن يعطى كل الناس رأس مالهم وأوقاتهم مجاناً  
بلا عوض .

إذاً من الضروري ومن العدل أن يكون رأس المال مكافأة .  
وتختلف هذه المكافأة حسب الاتفاق بين صاحب رأس المال  
وصاحب العمل .

مكافأة رأس المال أو نصيبه من الثروة يسمى فائدة . فالفائدة هي أجر رأس المال .

ومعدل الفائدة كمعدل الأجر ، يختلف باختلاف الظروف ، وعلى العموم تكون الفائدة عظيمة كلما كانت رؤوس الأموال قليلة ومطلوبة بكثرة ، أو عرضة للضياع عند تسليفها . وبالعكس تكون الفائدة قليلة متى كانت رؤوس الأموال كثيرة أو غير مطلوبة ، أو مومتاً عليها ب ضمانات قوية عند تسليفها .

#### « ٤ — التوفير وتكوين رأس مال »

العمل الذي هو موجد الثروة ، والتوفير الذي هو الحافظ لها مبدآن من المبادئ ، الضرورية للوصول الى الغنى واليسار سواء كان للأفراد أو الجماع .  
التوفير هو المصدر الأول لايجاد رأس المال .

إذا فرضنا رجلين ، اكل منهما يشتغل بعشرة قروش في اليوم ، أحدهما مقصد لا يصرف في يومه أكثر من سبعة قروش ويبقى ثلاثة لأيام المرض أو البؤس أو الفلا ، ، والآخر يصرف كل مكبه غير حاسب لأيام العمر حساباً ، لا شك أن الأول تبصر والآخر جهول غير بصير .

حل الرجل الاخير هي حل الفلاح في مصر ويا للأسف . نجد  
الفلاح اذا أنتجت زراعته محصولاً وافرآ في سنة من السنين مثل بخرمة  
الفرح وصرف ثمن محصوله فيما لا ينفعه في الغالب ، أعنى في الأمور  
الترف والمهر ، غير حاسب للسنة المقبلة حساباً . وآفات الزراعة كثيرة  
كالشرق والفرق وهدوة القطن والجراد وحريق الأجران وانخفاض  
الأسعار وكساد الأسواق والأمراض التي قد تعثره أو تعثرى أولاده ،  
ونحو ذلك مما يجب على العاقل أن يجعله نصب عينيه .

ولا أعجب من شيء عجبي من ذلك الجاهل الذي يستدين  
بالأرباح على محصول أرضه . على أن الفرق بين التأمين كالفرق بين  
متواتين أحدهما هندسية والاخرى عددية أساسهما واحد ، هيات  
ان تلتحق الثانية الأولى .

وعندى أن التقى من أيسر الأمور في الدنيا وطريقه الوحيد هو  
الاقتصاد قال تعالى : ( ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها  
كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ) .

### « ٥ - صندوق التوفير »

صندوق التوفير هو مصرف لايداع المبالغ الصغيرة التي  
يقصدتها الافراد من مكاسبهم .

أن الرجل الواسع الارزاق لا يحتاج للاقتصاد لأنه لا يصرف

كل أروافه طبعا ومع ذلك فإن لاقتصاده أو زيادة دخله عن مصر وفي  
قائمتين : الأولى لنفسه اذ هما كان غنى الانسان فانه لا يأمن أزمان  
الشدة وأيام الازمات المالية ، والثانية للبيئات الاجتماعية التي تتنوع عادة  
من وفرة رؤوس الاموال على كل حال وهي لا تكون الا من التوفير  
والاقتصاد عند الفنى والتقىير .

أنشئت صناديق التوفير بانكائرا في أوائل القرن الثامن عشر  
وفي فرنسا سنة ١٨١٨ وانتشرت بعد سنة ١٨٣٥ حيث ظهر أول  
قانون وضع لنظامها .

وصندوق التوفير الأهل أسس في سنة ١٨٨١ ويوجد فيه حينذاك  
٣٠ مليونا من الفرنكات بلغت في سنة ١٩٠٢ الى أربعة مليارات ،  
بسعة ملايين دفتر . هذا مقدار لا يستهان به تكون من دفع  
مقادير صغيرة من فرنك واحد الى ( ١٥٠٠ ) فرنك على حسب  
النمط الفرنسي المشهور ( النهرات الصغيرة تكون الاجهار الكبيرة )  
وفي سنة ١٨٧٤ تأسست صناديق توفير مدرسية ( لكل مدرسة )  
وكما تكون للثريد فرنك واحد يرسل لصندوق التوفير العام ويعطى  
الثريد دفترآ قيد حسابه .

« نظام صناديق التوفير في مصر »

أنشئ صندوق التوفير في أول مارس سنة ١٩٠٦

وكلاء البريد مكلفون بأعمال صاديق التوفير في كل بندر تقريباً ، وقد كلف صيارف الاموال المقررة بأعمال صندوق توفير مصلحة البريد الصادر عنه الامر العالي في ١٤ فبراير سنة ١٩١٢ وذلك ابتداء من أول ابريل سنة ١٩١٢

يعطى للمودع دفتر بسى (دفتر التوفير) يثبت به حسابه المدفوع والمسترد .

كيفية الدفع لصاديق التوفير .

(١) تقبل مصلحة البريد فتح حساب لكل شخص من ٥٠ ملياً الى ٥٠ جنيهاً في السنة الواحدة بحيث أن مجموع حسابه بالصندوق في أربع سنوات لا يزيد عن ٢٠٠ جنيه

(٢) تقبل الصيارف فتح حساب لكل شخص من ١٠ مليات الى ٥٠ جنيهاً في السنة الواحدة والى ٢٠٠ جنيه في أربع سنوات .

(٣) يراعى في الدفع عدم قبول كسور القرش . مثلاً اذا دفع شخص جنيهاً انجليزياً أى ٩٧٥ ملياً ازم بتكيله الى ٩٨٠ ملياً أو رد اليه ٥ مليات ليكون المدفوع ٩٧٥ ملياً .

(٤) وضعت تذكرة ( تذكرة توفير للأحداث ) تلتصق بها طوابع بوسطة الى أن تبلغ قيمتها ٥٠ ملياً ، وفي هذه الحالة يستخرج لصاحبها دفتر توفير اذا لم يكن له حساب ، أو تضاف الى حسابه كأنها تفرد مدفوعة .



(٥) تعطى مكافأة عما يدفع الى الصندوق باعتبار ثلاثة في المائة سنوياً

### كيفية الاسترداد

(١) كل صاحب حساب في الصندوق له الحق في استرداد كل ما دفعه أو جزء منه حسب طلبه في أي وقت يريد.

(٢) مصرح لوكلاء البريد والصارف ان يصرفوا ما يطلب أصحاب الدفاتر استرداده في أي ساعة من ساعات النهار والمقدار المصرح باسترداده لاطالب بدون استئذان عموم مصلحة البريد يجب ألا يزيد عن ٥ جنيهات في أقاليم الوجه البحري والأقاليم الواقعة بحري اسبوط وعشرة جنيهات في اسبوط والأقاليم التي تليها جنوباً وما كان اكثر من ذلك وجب أن يتخذ به تصريح من عموم البوستة وفي الأحوال المستعجلة بمكاتب البريد يكون طلب الاستئذان ظرفياً

(٣) أما في الأحوال المستعجلة بالبلاد فيمكن التودع أن يسرد من الصارف مقدار ٣٠ جنيهاً وذلك بتصديق العمدة بدون انتظار التصريح من مصلحة البريد

(٧)

« مزايا صندوق التوفير »

- (١) أن يأمن الانسان على ما يدفعه لأنه بضمانة الحكومة وهي مسؤولة عما يودع به
- (٢) ان أمواله في الصندوق لا يجوز المحرز عليها مطلقاً لا من المحاكم المختصة ولا الأعلى ولا تستطيع الحكومة نفسها أن تأخذها بدل الضرائب الرضائية

# الباب الرابع

## نظام العمل

« ١ - تقسيم العمل والتعاون »

التعاون وتقسيم العمل يضاعفان قوة رجال الأعمال مضاعفة كبرى ولا يكون تقسيم العمل عظيماً إلا بتقدم العلم .  
وفرة رأس المال وغنى البلاد

فاذا أريد بناء منزل ، نزم اشتراك جملة اشخاص في بنائه : وم  
البناء ، والتفاعل والتجار والحجار والجزار والحذاد والبنك والمبسط  
والنقاش وغيرهم ، لأنه لا يفتنى لرجل واحد ، مها كانت قدرته ،  
أن يقوم بذلك منفرداً ، ولو قام به لاستلزم سنوات طويلاً حتى يتم  
بناء المنزل ، هذا ما يسونه بالتعاون ، أمضى تعاون الافراد للقيام  
بشؤون الحياة التي لا تصى .

وقس على ذلك جميع الأعمال صغيرها وكبيرها . فبالتعاون يحصل  
الانسان على ما لا يمكنه الحصول عليه منفرداً .

كيف يعيش الانسان في مدينة لو لم يكن فيها الجزار والحباز

والخياط ، وبقي الصناعات الذين يقضون ما تنوع من حاجات الانسان  
ولتسليم العمل مزايا كبرى فانه فضلاً عن توفير الزمن يمكن  
كل انسان من اتقان صناعة يميل اليها ، وعندئذ استعداد فطري لها  
فالتعاون معناه أن يبيع كل انسان لتغيره الصناعة التي تطمها  
وأتمها ، فيحصل الانسان دائماً على كل ما يشتهي من أجود صناعة  
وبأقل ثمن .

## ٢ - حرية العمل والمنافسة »

حق الشغل من أقدس حقوق الانسان  
ولاستعمال هذا الحق ووضعت نظام حرية العمل  
والمنافسة التي هي إحدى نتائج حرية العمل من أهم  
أسباب رفق الصناعة ووفرتها ورخص البضائع

كانت للصناعات الى سنة ١٧٩١ فرنسا طوائف ، وكل طائفة لها  
نظامات وقبود عاقت تقدمها زمناً طويلاً . ثم أطلقت من تلك  
الاضلال ، وأعلنت ( حرية العمل ) بقرار من الجمعية الدستورية ،  
وأصبح العامل يشتغل أينما شاء ، وكيفما شاء ، لا يربطه الأتفاق  
قانوني عقده طائفةً مختلراً ، ينتقل من صناعة رغب عنها الى أخرى  
يرغب فيها ، بلا أقل عناء أو شروط تقف في طريقه .

ومن مزايا حرية العمل إيجاد المخترعات ، وتشجيع الصناع على الاختراع الذي هو أهم عوامل التقدم والأرتقاء ، لأن حرية العمل تسهل تقسيه ، ومنى كانت الصناعات موزعة اشتغل كل فرد بما استعد وهي له بأصل فطرته وميله الفريزي ، وهذا هو السبيل الوحيد للاختراع

والمنافسة هي تزامم أهل الصناعة الواحدة في تقديم مصنوعاتهم للناس ، فيضطرون الى اتقان صناعتهم ، وتخفيض أثمانها لزيادة الرغبة فيها والاقبال عليها ، فيكون من وراء ذلك منفعة للأفراد ، وهي الحصول على حاجاتهم بأقل ثمن ومن أجود الاصناف

يشكو بعض التجار فعل المنافسة ، ويودون لو تكون التجارة احتكاراً . ولكن الناس يرونها خيراً وبراً بهم . والأبى حق يشكو تاجر الانسجة في بلد اذا زاحمه من وبيع نفس الانسجة بأقل مما يبيع به التاجر الأول ؟ لاشك ان في ذلك منافع للناس كثيرة . والاحتكار ضد المنافسة . ويجب منه تنافاً

وللاحتكار ضرورات أحياناً . مثل احتكار انشاء السكك الحديدية ، لأنه لا يجوز ترك القطارات تسير على الخطوط الحديدية كما تسير المركبات والدواب . وللاحتكار أيضاً ظروف تهرره وان لم تكن ضرورية . مثل احتكار التبغ فان للحكومة منه مورداً عظيماً ولولاه لضربت الضريبة التي تجبي منه على اشياء ضرورية للمعيشة ، مع انه هو ليس من الضروريات

« ٣ - الشركات »

الشركات - هي ان يجتمع جملة اشخاص أو كية من رؤوس الأموال للتعاون على اتمام مشروع من المشاريع اجتماعاً يزيد قوتهم المنتجة ومركزهم الاجتماعى

حرية العمل جعله على اشكال مختلفة ، فاب رجال الأعمال يمكنهم أن يشتغلوا منفردين ، أو مشتركين ، أو يتأجروا وغيرهم ليشغلوا تحت ارادتهم

مبدأ اياحة الشركات يتفق تماماً مع مبدأ حرية العمل ، أما الامياز والاحتكار فانها لا يتفقان معه ، لأن الشركات هي اجتماع جملة أشخاص أو كية من رؤوس الأموال كما قلنا يدفعها جملة أشخاص لقيام بمشروع تجارى . وللشركت أهمية كبرى فى النظام الاجتماعى ، والرق الاقتصادى ، لأن اجتماع ارباب رؤوس الأموال مع ارباب الصناعات المختلفة يسهل كثيراً اخراج المشاريع الجسيمة ، فى أسرع وقت ، وبأقل نفقة . مثال ذلك شركت الكك الحديدية ، وشركت الترامواى ، والمياه ، والنور الكهربائى

أى فرد يمكنه أن يقوم بتفقات انشاء شركة كشركت الترامواى مثلاً ، ولكن جمع رأس مالها بواسطة الاكتاب وبيع الاسهم والسندات التى أصدرتها ادارة الشركة أخرج المشروع فى أقل من

سنة واحدة . حينما شرعت فرنسا في انشاء السكك الحديدية لزمها ثلاثة عشر ملياراً من الفرنكات - فلم يوجد طبعاً غنى في استطاعت تقديم هذا القدار الجسيم . ولو وجد بالمصادفة لما جسرهما كان غناء ، ان يخاطر بجميع أمواله في مشروع واحد . فذلك فكروا في إيجاد الشركات المساهمة . لأن في مثل هذه الشركات ، لا يكون المساهمون مسئولين عن المشروع بضمان أموالهم التخصصية ، وانما يجلس الإدارة ومدير الشركة هما المسئولان بضمان الأموال المكتتب بها فقط .

وفي هذه الشركات يقسم رأس المال الى حصص بعدد عظيم جداً وكلها أجزاء متساوية ذات قيمة واحدة يسمونها ( أسهماً ) .

فلذا أريد جمع مقدار خمسمائة مليون من الفرنكات أخرجوا مليوناً من الأسهم ، كل سهم بخمسمائة فرنك ، وفي نهاية كل عام تقسم الأرباح على أصحاب الأسهم قسمة مناسبة .

وشركات المساهمة من أكبر العوامل لأخراج المشاريع الكبرى كالسكك الحديدية ، والقنوات ( القنات ) البحرية ، والمسال ، والمصارف المالية ( البنوك ) ، ويدخل في ذلك شركات التعاون والثقبات الزراعية وغيرها .

# الباب الخامس

## تداول الثروة

١ - المقايضة ،

المقايضة هي اعطاء صنف من الثروة وأخذ صنف آخر عوضاً عنه باتفاق يتم بين البائع والمشتري .

وقد كانت المقايضة هي أساس التعامل في القرون الاولى قبل اختراع النقود وكانت ترض في الاسواق جميع الأصناف فيتناول الناس حاجاتهم بعضهم من بعض .

لكن في هذه الايام التي فيها الحاجات كثيرة ومتنوعة ومبدأ تقسيم العمل قد جعل الصناعات مشتتة بين أيدي الصناع ، أصبح الانسان لا يتسرع له بل يستحيل عليه قضاء حاجاته بالمقايضة ولذلك اخترعوا النقود ، وأصبحت هي عامل المقايضة الوحيد .

فالعامل الذي يشتمل بخمسة قروش في اليوم ، عمله هذا مقايضة لأنه يعطى عمله ويأخذ أجره ، والمستأجر الذي يدفع أجر المنزل أو الأرض ، عمله هذا مقايضة ، لأنه يدفع نقوده مقابل انتفاعه بالمنزل او



الأرض ، والأُم التي تدفع للطيب الذي عاج ولدها أجره ، عملها هذا مقايضة ، لأنها تدفع نقودها للخدمة التي أداها الطيب .  
والمقايضة غالباً تكون بين شخصين بائع ومشتري ، فهي إذاً عمل تجاري ذو وجهين بيع وشراء ، به تنتقل الثروة من مالك لمالك آخر ، وهذا ما يعبر عنه بتبادل الثروة .

### « ٣ - النقود والتمن »

التمن هو قيمة الشيء مقدراً بالنقود  
والتقود هي العامل المشترك للقيم المختلفة والعيار العام لجميع المقايضات .  
والمادان النفيسة فيها دون غيرها الصفات المطلوبة لتكون نقوداً جيدة .

بعد اختراع النقود ، لم نعد نسمع أن بقرة تساوي حارين ، أو أن أردب قح يساوي أردباً ونصفاً ذره ، أو ثوباً يساوي عشرين دجاجة ، بل المسوع الآن است البقرة تساوي عشرة جنهات ، والأردب القمح يساوي مائة وخمسين قرشاً ، وهكذا .  
فالنقود الآن تقارن البضائع والخدمات أعني يعبر بها عن القيم المختلفة لقيمة الشيء بالتقد نسمى تمناً .

ما تقدم تعلم السهولة التي أوجدتها النقود في التعامل حتى يمكن

القول بأنها ( حياة التجارة ) .

بما ان قيمة النقود ثابتة لا تتغير بتغير السوق ، فهي ذات المزية الكبرى في جعل القيم قابلة للمقارنة بسهولة .

نجد في علم الحساب أن كل كيتين تساويان كمية ثلاثة تكونان متساويتين اي اذا قلنا ان طربوشاً يساوي عشرين قرشاً ، وأربع دجاجات تساوي عشرين قرشاً كان الطربوش يساوي أربع دجاجات النقود سهلت المقارنات بين الاشياء ، حتى التي لا ارتباط بينها .  
مثلاً أية علاقة في القيمة بين ثمن كسوة ( بدلة ) ورحلة بين الاسكندرية ومرسيلا ؟

أن المقارنة في هذه الحالة سهلة جداً باستعمال النقود : فإذا اعتبرنا أن الكسوة تساوي ثلاثة جنيهات ونفقات الرحلة بين هاتين المدينتين تساوي ستة ، فلا حرج علينا اذا قلنا ان قيمة الرحلة بينهما تساوي كسوتين ( بدلتين ) ، ولذلك قلنا ان النقود هي العامل المشترك بين القيم المختلفة .

يقول بعضهم أن الحكومات تضع قاعدة النقود باختيارها كما نشاء وهذا القول خطأ محض لأن النقود لم تخرج عن دائرة القوانين العامة للمقايضة .

فالنقود يجب ان تكون في حد ذاتها ذات قيمة مساوية لقيمة الشيء المشتري بها .

فإذا قيل ان سمكة تساوي عشرة قروش كلن معناه أن عشرة القروش حقيقة ذات قيمة تساوي قيمة السمكة .

مما تقدم ، يعلم أنه لا يمكن ضرب نقود من معادن ليس لها قيمة حقيقية ، أو ان قيمتها لا يتبد بها ، ولذلك بحثوا عن معادن ذات قيمة ، سهلة الحل ، فاتفقت جميع الأمم المتقدمة على اختيار الذهب والفضة وهما من المعادن الثمينة ، والكمية القليلة منها ذات قيمة عالية بخلاف ما لو ضربت النقود من الحديد كما فعل أهل أسبارة في القرون الأولى من تاريخ اليونان ، فإن الرجل اذا اضطرَّ لشراء شيء يساوي حينها ثلثين ليرة (مركبة) لحل النقود ، عوضاً عن كيس جلد لطيف يحفظ بالجب .

والمعادن الثمينة كذلك خواص تجعل الرغبة فيها عظيمة وهي الصلابة وعدم التغيير مع الزمن أو تتغير ولو قليلاً فتصهر وتشكل بالأشكال المرغوبة قطعاً ذات قيم محدودة ، وقاعدة النقود بمصر سهلة فالسكة الذهبية الجنيه المصري وقيمتها  $\frac{1}{10}$  ونصف الجنيه وقيمتها  $\frac{1}{20}$  والسكة الفضية هي الريال وقيمتها  $\frac{1}{100}$  والقطعة ذات عشرة القروش وذات خمسة القروش والقرش الواحد .

والتيكل والبرنز يضرب منها أجزاء القرش الواحد .

والنقود الذهبية لها قيم حقيقية لا تنقص عما اذا كانت سيئاتك الأ قليلاً ، نظراً لضرورة ادخال بعض معادن هكوية صغيرة جداً على

الذهب والنفضة لكي يكونا ذوي صلاية ~~تلك~~ حركة المعاملات بها .  
 أما القود النفضية فلها قيمة أقل من قيمتها الحقيقية ولا ضرر  
 من ضربها كذلك ، لأنها ذات قيمة قليلة في حد ذاتها وضربها على  
 هذا العيار الآن يمنع تداولها خارج القطر فتحتفظ القود النفضية داخل  
 البلاد ولا تخفى أهمية ذلك .

وتقليل المضار التي تلحق الأفراد منها من الوجهة المالية منعت  
 قوانين الحكومة أن يجبر أحد على استلام قود نفضية من إحدى  
 خزائن الحكومة أو صيارفها بأكثر من جنيهين مصريين .

### « ٣ - التسليف والمصارف المالية ( البنوك ) »

تسليف القود أو الأهمال من أهم العوامل المسهلة لتداول  
 الثروة .

والبنوك هي مصارف مالية لتسليف القود . فالسلفة هي  
 مقدار يدفع للكاسب لتسهيل تداول كافة أنواع الكسب  
 ( محصولاً أو مصنوعات ) .

فالمعامل الذي يقبض أجرته كل خمسة عشر يوماً يضطر لأن  
 يشتري من ائلياز آجلاً ما يحتاج إليه من ائلياز كل يوم ويدفع إليه  
 مطلوبه كل خمسة عشر يوماً وذلك لأنه لا يستطيع ان يدفع كل يوم .

يقند بعض الاقتصاديين هذا النوع من التسليف اعتماداً على أن الرجل الذي يأخذ حاجاته آجلاً لا يقتصر على الضروري له بل يتوسع في مطالبه الى أن يهرج نفسه في النهاية ويحز عن ايفاء دينه ، وحقاً انها نظرية مشاهدة باليان ومعلومة بالتجربة .

العامل يسلف كذلك عمله لصاحب العمل انتظاراً ليوم دفع الاجور لأنه لو كلف صاحب العمل أن يدفع كل يوم أجور عمله لكان في ذلك تحميله مشقة تزيد ادارته صعوبة .

الكاسب الماهر اذا لم يسكن لديه رأس مال لا يمكنه تصدين حائه ، فاذا وجد من يفرضه مقداراً من المال أمكنه التوسع في عمله حسب مقدورته فتزيد مكاسبه فيدفع دينه ويرقى بالباقي حائه وعمله فلا اقتراض اذا كان بقصد ايجاد الثروة وليس القرض منه الصرف في الشئون الشخصية كان نافعاً ومفيداً ولا ينال صفار العمال منه ضرر ما فاذا فرضنا ان تاجراً كبيراً لديه بضائع بمقدار مائة ألف فرنك يمكنه تصريفها في ستة واحدة ثم يشتري غيرها بعد ان يكسب منها ١٥٠٠٠ فرنك وأراد أن يستعمل مبدأ السلقة فأعطى ما عنده من البضائع لمعامله سلفاً يستد على ان يدفعوا له ثمنها بعد مضي ثلاثة أشهر من تسليمها فالتسهيل الذي عمله التاجر لمعامله سمح له بتصريف بضائع بمقدار ١٠٠ ألف فرنك اثناء ثلاثة أشهر

والوعد بالدفع الذي يحصل عادة بصيغ مختلفة حسب الأحوال

يسمى ( أوراقاً تجارية ) تكون بالنسبة للمشتري تمهيداً بالدفع والبائع ضماناً لاسترجاع دينه . وهذا التاجر يمكنه بالطريقة عينها أن يطلب من المحال التي يتعامل معها بضائع أخرى اما بتعمده بدفع قيمتها بعد مضي ثلاثة أشهر واما ان يحوّل اليها ما بيده من الأوراق التجارية المأخوذة على معامليه وبهذه الطريقة يمكنه أن يصرف بضائع بتقدير ٤٠٠ ألف فرنك في السنة أي أربعة أضعاف بضاعته الأولى فإذا اكتفى بربح ١٠ في المائة بدلاً من ١٥ رافعة بمعامليه كان مكسبه في العام ٤٠ ألف فرنك عوضاً عن ١٥ ألفاً من الفرنكات . ومما تقدم يعلم ان السلفة عامل مهم في تداول الثروة بسرعة ووفرة .

وأساس نجاح التسليف الأمانة التي يجب أن يتصف بها التجار والامتنع أرباب رؤوس الأموال عن التسليف فتقف حركة الأعمال . والتسليف يحتاج أيضاً لقبضية التبرر لأن التاجر الذي يتسلف لآجال قصيرة ليشتري بضائع ثم يبيعها لآجال طويلة أو بالتأجيل بضعة لاشك أنه يقع في الافلاس المريب .

ولما كانت السلف نافعة ومفيدة كانت المصارف المالية التي من وظيفتها التسليف نافعة ومفيدة أيضاً لايجاد الثروة . فالمصارف المالية تقبل الأمانات والودائع التي تسلم اليها وتدفع عنها أرباحاً سنوية لأربابها . ثم هي تسلف تلك الودائع لآخرين ، وتأخذ منهم أرباحاً سنوية ، وتشتري الأوراق التجارية فتدفع قيمتها مقدماً بعد خصم

مقدار زهيد من قيمتها (الخطيطة) لا تنتظر حلول ميعاد دفعها ، وامثال هذه من الاعمال التي تسهل الحركة الاقتصادية والتجارية .

والبنك الأهلي المصرى هو الوحيد المخوّل له دون أمثاله حق اصدار أوراق مالية تعرف ( بالبنكنوت ) تتداول في أيدي الناس كما تتداول النقود الذهبية . وهذه الأوراق بقم مختلفة : —

جنيه جنيّه جنيّه وجنيه ونصف جنيّه

وطريقة اصدار هذه الأوراق مأخوذة عن طريقة بنك انكلترا

المعروف ( بنك البنوك ) مع بعض تعديلات

يحتفظ البنك في خزائنه نصف قيمتها ذهباً . أما باقي التأمينات

فهي ضامّة الحكومة المصرية بوسائل أقرتها عند تأسيس البنك لاطمئنان الجمهور .

ولفذه الأوراق في ادارة البنك قسم خاص يراقبه مندوبان من قبل الحكومة .

وتبلغ قيمة الأوراق المتداولة اكثر من مليوني جنيه مصرى ويُصدر البنك في كل شهر احصاءً خاصاً بحساب الأوراق المتداولة لتعلم حركتها .

#### « ٤ — طرق المواصلات »

طرق المواصلات المنتظمة من أهم أسباب تقدم التجارة

كانت المواصلات قبل الآن بين القاهرة والاسكندرية أو القاهرة والصعيد كلها بالسفن الشراعية والجمال والدواب ، وكان ذلك من اكبر أسباب كساد التجارة ، وموت الزراعة ، وكل الأهالي فذا أنشئت السكك الحديدية سهلت المواصلات ، فراجت التجارة وأقبل الناس على الزراعة بما اقبل ، ودبت فيهم روح العمل ، وكثر الأخذ والمطاء فكان هذا الرق الاقتصادي الذي نشاهده الآن .

حترقة السويس وفتحها للملاحة كان سبباً في انقلاب اقتصادي كبير ، جعل لمصر أهمية عظيمة ، فنقلت محاصيل الشرق الأقصى الى أوروبا ، ومضوت الى أوروبا الى أسواق الشرق الأقصى .

نعم أن فتحات هذه المشاريع عظيمة ، إلا أنها أفادت الحركة التجارية ، وكان وراء ذلك أرباح عظيمة جداً قامت بفتحات العمل في زمن قليل .

### « ٥ — التجارة »

تداول الثروة بواسطة التجارة ، عليه مدار الحياة الاقتصادية للأمم وبه تزداد رفاهية الأفراد .

تجارة الأمة عبارة عن مجموع المقايضات التي تحصل في بساتنها .

وتستعمل طرق المواصلات لنقل البضائع والنقود



وأوراق البنك والتسليف للمقايسة .

التاجر كذلك كاسب كالمصانع ، وهو كاسب مفيد أيضاً ، لأن عمله هو استجلاب البضائع أو المحاصيل من البلاد التي تنكثر فيها ، الى البلاد التي تحتاج اليها ، أو حفظها الى الوقت الذي يحتاج فيه اليها كثير من المحاصيل قد تكون له قيمة قليلة أو لا تكون له قيمة بالرة في البلاد التي نبت فيها ، ولكنه اذا نقل الى بلاد أخرى كان ذا قيمة ، فارجح الذي يكتبه التاجر في مثل هذه الأحوال ، ربح حلال في مقابلة غفائه ومثابه

والتجارة نوعان : تجارة داخلية ، وتجارة خارجية ، الأولى عبارة عن التجارة المتداولة بين الناس داخل المملكة ، والثانية عبارة عن التجارة المتداولة بين المملكة والمالك الأخرى . والخارجية قسمان : صادرات وواردات ، ويمكن حصرها من احصاء الجمارك . أما الداخلية فلا يمكن حصرها على الدوام . الأمم الكبيرة تكون تجارتها الداخلية أهم بكثير من تجارتها الخارجية . وقد بلغت التجارة الخارجية في فرنسا سنة ١٩٠٥ أحد عشر ملياراً من الفرنكات أما تجارة مصر الخارجية فتعلم من الجدول الآتي

المجموع	الصادرات	الواردات	
٢٣,٢٧١,٠٠٠	١٣,٤٤٢,٠٠٠	٩,٨٢٩,٠٠٠	سنة ١٨٩٦
٣١,٢٣٦,٠٠٠	١٧,١٢٤,٠٠٠	١٤,١١٢,٠٠٠	سنة ١٩٠٠

(٨)

الواردات	الصادرات	المجموع	
٢١,٥٦٤,٠٠٠	٢٠,٣٦٠,٠٠٠	٤٨,٩٢٤,٠٠٠	سنة ١٩٠٥
٢٤,٠١١,٠٠٠	٢٤,٩٧٧,٠٠٠	٤٨,٩٨٨,٠٠٠	» ١٩٠٦
٢٣,٥٥٣,٠٠٠	٢٨,٩٤٤,٠٠٠	٥٢,٤٩٧,٠٠٠	» ١٩١٠
٢٧,٢٢٧,٠٠٠	٢٨,٥٩٩,٠٠٠	٥٥,٨٢٦,٠٠٠	» ١٩١١

### « حركة القنود »

الوارد	الصادر	
١٢,٩٦٤,٠٠٠ ج . م	٧,٠٤٦,٠٠٠ ج . م	سنة ١٩١٠
» ٧,٢٤٢,٠٠٠	» ٧,١٣٢,٠٠٠	» ١٩١١

يشاهد ان وارد القنود في سنة ١٩١٠ كان عظيماً لأن محصول القطن فيها كان عظيماً ايضاً فقد قدر ثمنه بمبلغ ٣٥,٨٤٠,٠٠٠ ج . م وهو ثمن أعظم محصول في السنين الماضية ولأجل معرفة فضل التجارة في رفعة الافراد ، يمكن النظر الى حاجات الانسان الصغيرة ، فيرى أنها من واردات القارات الخمس في المصدرة .

### « حرية التجارة »

حرية التجارة: هي ترك موانئ المملكة مفتوحة لخروج الصناعات

الوطنية ، ودخول الصناعات الأجنبية ، بلا قيد ولا شرط سوى دفع الرسوم الجمركية العادية .

أتى على رجال الاقتصاد حين من الدهر ، كانوا يرون أفضلية حماية الصناعات الوطنية لأحيائها أو ترويجها بضرب ضرائب على الصناعات الأجنبية ، أو منح الأولى امتيازات خاصة . ثم بان لهم وجه الخطأ ، وعرفوا ان حماية المصنوعات الوطنية ، ومنع الصادرات التي تخرج ، وكل احتياط يقصد به محاربة حرية التجارة أفضى الى اضرار يئس ، وأخطار محققة . وفي الحقيقة ان أهم اسباب رواج البضاعة اقلها تعرف أمامها تيار كل منافسة .

مبدأ حماية التجارة لا يتفق مع المصلحة العامة ولا الخاصة للأفراد وقد يكون له بعض الفائدة ولكن ضرره أكبر من نفعه  
لحرية التجارة مزايا منها :

- (١) أنها تزيد في رؤوس أموال الأفراد لأنه بزوال القيود التي توضع عادة لحماية التجارة ، يكون كل فرد حراً في ابتاع ما يريد بالثمن الأقل ، سواء كان ذلك من الصناعات الوطنية أو الأجنبية
- (٢) كل بلاد خصت بثروة طبيعية كما قدمنا ومن مصلحتها اشتغال أفرادها باستغلال ثروتها ، والانتفاع بكنوزها . فإن مصر خير لها أن يشتغل أهلها باستغلال أرضها ، وإحياء مواتها ، والانتجار بحاصلها ، من اشتغال بالصناعات الأجنبية مثل عمل الآلات البخارية

مثلاً، وترك متسع عظيم من الأراضي غير صالح للزراعة وهو لا يحتاج الأ لعناية أهل البلاد، بينما صناعة الآلات تكافهم استجلاب الحديد والقمح بأثمان عالية وثققات طائلة، ثم تهجد الآلات المصنوعة خارجاً تباع بأقل منها ثمناً .

(٣) كل رسوم تضرها الحكومة على الواردات الأجنبية يضفيها التاجر الى ثمنها طبعاً — ومن ذلك يتضح أن الغرم يقع على رؤوس الأفراد لا على التاجر، ويكون الضرر أشد إذا كانت البضائع من الحاجيات، لأنها تمس العنى والتقدير .

(٤) مبدأ حماية التجارة يخصص فئة من الأمة، بمنحها امتيازاً خاصاً يساعدها على زيادة مكاسبها من خسارة الآخرين، وهذا ليس من العدل . والأفصحى حكمة الحجر على الأفراد حتى لا يشتروا الا بضائع وطنية بثمن غالى وفي الامكان الحصول عليها بثمن أقلّ وصناعة أجود .

وبالحيلة فإن حرية التجارة تؤدي دائماً الى انخفاض الاسعار، وعليه مدار رغد المعيشة كما لا يخفى .

# الباب السادس

## استهلاك الثروة

« ١ - الاستهلاك »

كل ثروة قابلة للاستهلاك .

والاستهلاك ان كان يقصد الاستغلال ( ايجاد الثروة )  
واستعمل بعقل وذكاء ، كان طريق الغنى والبسار . وان كان  
لشئون المعيشة وجب ان يكون في الغاية من الاقتصاد . وان  
كان القصد منه الكمال وزاد عن الحاجة كان هاروة الدمار  
والافلاس .

كل ثروة معدة للاستهلاك اما في الطال ، واما بالتدريج شيئاً  
فشيئاً . فاكل الخبز استهلاكاً ، والمعنى الاقتصادي للاستهلاك  
( انتهاء المنفعة ) أعنى انخاصية التي للدقيق الخبز مع الماء والملح في  
ايجاد المادة الغذائية ، فخبز ينعدم ولو أن المواد التي هو مكون منها  
تحوّلت الى شكل آخر بفعل الأكل والمضغ .

المادة على السوم لا تعتمد أصلاً وكل ما يحصل هو تعبير في

شكل المادة ، فاشتعال عيدان الكبريت هو انقلاؤها أو كما يقول علماء الاقتصاد استهلاك منفعتها أعني خاصية توليد النار ، ولكن بفضل من يظن ان المادة انعدمت مع التفتة ، لأن المادة الكبريتية وانحسب انها تحمولا بالاحتراق الى غازات تنتشر في الجو وتبقى بؤ مدة ، حتى تتحول بفعل الانبات ، وتعود الى خشب مرة أخرى . سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

والآلة البخارية التي تشتغل منذ خمس عشرة سنة ، وأصلحت غير مرة ، لا شك أنها تستهلك شيئاً فشيئاً ، الى أن يطل عملها ويستبدل بها غيرها . هذا معنى قولهم ان الاستهلاك اما قووي ، واما تدريجي .

فإننا ان الاستهلاك يختلف باختلاف الغرض المقصود . ومنه ما يعرف (بالاستهلاك المنتج) .

مثلاً صانع الانسجة الذي يشتري مائة قطار من القطن لنسجها لا شك انه استهلك القطن ، ولكنه استهلاك منتج بقصد إيجاد ثروة أخرى . وقيمة القطن أضيفت الى مصروفات العمل ، وستؤخذ مع الثمن عند تصريف الانسجة فكان الاستهلاك المنتج ، عبارة عن سلعة مقدمة لإيجاد الثروة ، ومتى استعملت بعقل وذكاء ، حصل الفنى والىبار منها .

والاستهلاك ( لشؤون المعيشة ) ضرورى وضرعى بلا نزاع ، لأن النرض من العمل وإيجاد الثروة ، هو القيام بضرورات الحياة . وإنما استهلاك الثروة فى شؤون المعيشة ، يختلف باختلاف مائة الأشخاص ، وعلى كل حل يجب ان يكون بنظام واقتصاد ، لأن الاسراف يذهب بالثروة بنير جدوى .

واستهلاك الثروة للترف ( الكماليات ) كشراء الخلى والجواهر ، واقتناء الثعائس الأثرية ، والاتفاق على الملاذ النفسية ، ان لم يكن باعتدال تم ووفق ثروة الشخص ، فانه يؤدى الى الخراب والافلاس . واعتبر ذلك فيما جرى ويجرى تحت نظرك كل يوم ، لبعض ابناء السراة الذين ترك لهم آباؤهم مالا جمًا ، وأرضًا واسعة ، تضى عشرات من الناس فيعيشون فى أرغد عيش ، وأتم سعادة . أتقوا بأنفسهم فى مهاوى الملاذ ، بمصاحبتهم قوى الاخلاق الفاسدة وأهل اللهو ، فأضاعوا ثروتهم ، فى لمح البصر ، وأصبحوا فى ضلك وعيش مر ، يترددون الآن على منازل ذويهم وأصحابهم ، سائلين المظف عليهم والبر بهم ، ولم يخطر يال أحدهم حين سائلة الهيال ، أن يتكر فى مستقبل أيامه ، فكان كاللحر الذى أضر بنفسه وأسرته

٢ - الاستهلاك للوقاية من الأخطار ،

هذا النوع من الاستهلاك من أهم الأمور التى يجب

بعض  
الاشخاص  
الذين  
يتركون  
الثروة  
لبنائهم  
دون  
اعتدال  
يترددون  
على  
منازل  
ذويهم  
وأصحابهم  
سائلين  
المظف  
عليهم  
والبر  
بهم  
ولم  
يخطر  
يال  
أحدهم  
حين  
سائلة  
الهيال  
أن  
يتكر  
فى  
مستقبل  
أيامه  
فكان  
كاللحر  
الذى  
أضر  
بفسه  
وأسرته

ان تكون في ( مبرانية ) الأسرات ( العائلات ) .

البصر شعور شريف في الانسان وهو احدى الفضائل النافعة لوجوده في هذه الحياة الدنيا . فهذه القضية يوجد الانسان النظام في حياته ، وفي المجموع ، لأن البصر كما يُعلم الانسان التمسك بقضية الاقتصاد لمستقبل الأيام بجزء شيء من مكاسبه ، فانه يحضه كذلك على استهلاك شيء منها ، لوقاية شخصه وأمواله من كلوات المهر .

فالرجل البصير يدفع لاحدى شركات التأمين كل سنة مقداراً زهداً من المال ، اما للتأمين على حياته ، واما للتأمين على منزل له ، خشية الحريق أو الزلازل أو العرق ، فاذا ما وقع حادث قضى فيه على حياته دفعت الشركة لورثته المال المتفق عليه فيعيشون في رغد وهناك بيتا غيرهم ممن أهمل هذا الاحتياط ، ولم ينظر في العواقب ، يصبح ورثته بلا مال يدفعون به غوائل الفقر .

وكذلك الرجل الذي يؤمن على منزله خشية الحريق فانه اذا شبت النار في المدينة ، فأحرقت جملة منازل ، وأصبح أهلها بلا أوى ولا ملجأ ، لا يهمة من الأمور شيء ، الآ العمل لتجاة نفسه وأهله وجيرانه فقط ، لعله ان شركة التأمين ملزمة بدفع التعويض المتفق عليه ، ولا يلبث متى تسلمة ان يبنى خيراً من منزله الأول .

ولذلك فلما نجد عند الافرنج شخصاً بصيراً غير مؤمن على حياته وأملاكه ، فكثير من الأفسس والمنازل والمعامل والمخازن والمحال



التجارية والسفن موثمن عليها ، مقابل دفع مقادير زهيدة من المال لشركات التأمين .

اتفق ذات يوم ان شخصاً تعرض عليه أمر التأمين على حياته ، منذ خمس عشرة سنة ، ثم فكر فيه أخيراً ، حينما مرض مرضاً أظفروه بقرب منته ، فطلب من الشركة نفسها التأمين على مقدار ٤٠ ألف فرنك ، وطلبت منه أن يدفع سنوياً ١٣١٢ فرنكاً فعارض بحجة ان الشركة طلبت منه منذ خمس عشرة سنة ٨٨٣ فرنكاً لا غير ، فأجابته الشركة بأن القسط السنوي يزداد بتقدم السن ، فكيف كان الطالب شاباً كان القسط قليلاً ، وكما طلعن في السن زاد ، لأن موته أصبح قريب الاحتمال ، فلم يسهه إلا ان عقد الاتفاق وبعد ثلاث سنوات توفي ، فدفعت الشركة لورثته ٤٠ ألف فرنك ، فخدمت زوجته وأولاده المولى جل شأنه على تبصر زوجها ، وقد كان خلواً من المال وكانت هي ضعيفة الثقة بفكرة التأمين .

لجميع العمال وأهل المصانع ومن في حكمهم ، اذا لم يتبصروا ويحفظوا مستقبلهم بالتوفير والتأمين ، فلن مستقبلهم مظلم حالك . وكثيراً ما شوهد ان عدم التبصر بتك بطيقات المال كما يتك الوباء والجفدى ، فاذا رغب المال في التبصر فلت ويلانهم ، ولم يبقَ فيهم لبؤس محل يعتد به .

ومما تقدم يعلم ان الهيئة الاجتماعية من مصلحتها انتشار روح

التبصر ، وتشجيع العمال على النظر في مستقبل الأيام ، كما يدفع مرض الجدري بالتطعيم ، وذلك بواسطة انشاء صناديق التوفير ، وشركات التأمين . ولكن المدلل على القوة الأدبية عند الأفراد ( كالارادة والتبصر وسائر الفضائل ) ، لأن كل فرد يجب أن ينظر لمن هو أقل منه مالاً ، فهنا عيشه ونطيب حياته ، وما عليه إلا الاقتصاد من ملاذء التي ليست من الضرورات للحياة .

في فرنسا يمدون الأطفال الاقتصاد منذ نشأتهم . وقد أسوا لهم صناديق التوفير المدرسية ، والتعاون المدرسي ، لكي يضمنوا لهم وسائل المعيشة في الشيخوخة . فالتلميذ الذي يريد أن يحفظ لنفسه الحق في الاستيلاء على معاش قدره فرنك كل يوم ، أعني ٣٦٥ فرنكاً سنوياً بعد انقضاء الستين من عمره يدفع اسبوعياً كالاتي :

« قانون سنة ١٨٩٩ »

البلغ المطلوب دفعه اسبوعياً ورأس المال محفوظ	البلغ المطلوب دفعه اسبوعياً ورأس المال غير محفوظ	عمر التلميذ
من ٢٣ سنتياً	من ١٦ سنتياً	من ٣ سنوات
• ٣٢ •	• ٢٢ •	• ١٠ •
• ٤٥ •	• ٣٠ •	• ١٥ •

رأس المال المحفوظ يدفع للأسرة صاحب التأمين عند وفاته ، أما غير المحفوظ فلا يرثها .

والطفل الذي يدفع عنه مائة فرنك بحساب رأس المال غير المحفوظ يكون له الحق في معاش طول حياته قدره ١٩٠ فرنكاً (بنسبة ٣,٥ ٪ في المائة) عند بلوغه الخامسة والستين من عمره ، إذا كان سنه وقت الدفع ثلاث سنوات .

والاطفال الذين عمرهم فوق ذلك ، يدفعون مقادير أزيد من ذلك بقليل . وكذلك الاشخاص الذين في الثلاثين من عمرهم يمكنهم الحصول على معاش طول حياتهم قدره ١١٩ فرنكاً عند بلوغهم الخامسة والستين ، إذا دفعوا ١٠ فرنكات سنوياً (لصندوق معاشات الشيوخ الأهلي) المؤسس بواسطة الحكومة .

أما جمعيات التعاون المؤسّسة بواسطة الافراد فهي عديدة في فرنسا ، وجميعها تحت مراقبة الحكومة ورعايتها ، وهي تضمن للمشتركين فيها العناية بهم إذا مرضوا ، كدفع أجر الأطباء ، وثمان الأدوية ، ودفع تعويض لا يتجاوز عادةً رزق ثلاثة أشهر . ويختلف من فرنك واحد الى فرنكين في اليوم .

وكذلك تقوم بنفقات دفن الموتى منهم ، وتدفع أحياناً مكافآت لزوجاتهم . وبعض هذه الجمعيات تدفع (لصندوق معاشات الشيوخ) مقادير بقصد الحصول على مرتبات لأعضائها في شيخوختهم والحكومة تمد يد المساعدة لهذه الجمعيات بدفع اعانة سنوية لصندوقها والاشترك في مثل هذه الجمعيات ، يكون بدفع مقادير زهيدة من فرنك الى فرنكين شهرياً .

والحكومة الفرنسية تبحث الآن في تعميم ( المعاشات ) للعساة ،  
عند بين الشيخوخة ، بواسطة تكاليف العمال أنفسهم ، وأرباب العمال  
والحكومة ، يدفع مقادير لصندوق معاشات الشيخوخة .

### « الضرائب وميزانية الحكومة »

الضرائب هي أموال تدفع باسم القانون ، بنسبة السكان ،  
وتخصص لتفقات الحكومة ، لكي تقوم بالشؤون العامة الموكولة لهدتها  
ودفع الضرائب واجب على كل وطني ، كما ان حسن التصرف فيها  
واجب على الحكومة .

تكاليف الجزء الثالث من هذا الكتاب ، عن وظيفة الحكومة  
واجبها ، ونظامها . ولا شك ان القيام بمثل هذه الشؤون يستدعي  
نفقات كبيرة ينسب توطيد الأمن ، وتأييد النظام ، واقامة العدل ،  
وتنظيم الجيش لحماية البلاد ، ونشر التعليم ، ومساعدة البائسين ، وحفر  
الترع ، وانشاء الجسور والقناطر والسدود ، وغير ذلك . هذا ما يعرف  
في علم الاقتصاد ( بالاستهلاك العام ) ، وهو من نوع الاستهلاك المنتج  
للثروة ، لأن وظيفة الحكومة من الضرورات لحياة الافراد والمجايح  
ولولاها لاختل النظام واعتدى القوى على الضعيف ، وعندها لا يوجد  
عمل ولا رأس مال ولا ثروة .

ودفع الضرائب واجب على الوطني الصادق في وطنيته ، لا يتخلل

عنة أو يسى فى التخلص منه الآ الملقى الذى يريد أن يلقى على  
عائق غيره ما يجب عليه .

والضرائب إما مقررة وهى ما يفرض على الأموال الثابتة . وإما  
غير مقررة وهى ما يفرض على مواد الاستهلاك الواردة والصادرة  
أما واجب الحكومة نحو هذه الضرائب فهو .

أولاً - الآ تجميع منها الآ الضرورى

ثانياً - الآ تنقها الآ فيما يورد بالصفة على المجموع

« ملخص ( ميزانية ) الحكومة المصرية لسنة ١٩١٩ »

بلغ دخل الحكومة ١٦,٧٩٢,٧٥٠ جنيهاً مصرياً منها

	جنيهاً
أموال أطميان وعشور التخييل	٥,٢٠٥,٢٦٢
عوائد الاملاك	٣٢٢,٩١٢
الجمارك	٢,١٦٨,٧٧٩
الدخان والتبناك والسجائر	١,٦٦٨,٥٦٨
السكك الحديدية	٣,٧٢٨,٨٩٤
الطفرات	١٢٦,٩٦٦
البوستة	٣١٢,٣٣٣
والباقي ( ايرادات ) متنوعة	

وبلغت مصروفاتها ١٤,٨٧٢,٠٥٥ جنباً مصرياً منها

	جنيه
مخصصات ومراتب الأسرة الخديوية	٢٨١,٧٢٠
مصروفات الإدارة العمومية للحكومة	٤,٩٦٣,٠٠٨
المصالح ذات الإيرادات (السكك الحديدية والتلفرات والبوطة)	٢,٤٦٠,٦٨٨
الدين العمومي	٣,٩٢٣,٦٤٦
ويركز الأمانة	٦٦٥,٠٤٩

والباقى مصروفات متنوعة

فتكون زيادة الدخل على الخرج ١,٩٢٠,٦٩١ جنباً  
أما إيرادات الحكومة في الماضي فتعلم من البيان الآتي

١٨٥٢	جنيه في سنة	٢,١٤٣,٠٠٠
١٨٦٠	»	٢,١٥٤,٠٠٠
١٨٧٠	»	٥,٣٨٩,٠٠٠
١٨٨٠	»	٨,٥٦١,٦٢٢
١٨٩٠	»	٩,٥٠٠,٠٠٠
١٩٠٠	»	١٠,١٦٤,٠٠٠
١٩١٠	»	١٥,٩٦٥,٠٠٠

# الباب السابع

## المشاريع الاقتصادية في مصر

« ١ تكاثر سكان القطر المصري »

ولى محمد على باشا ملك مصر وأهلها يزيدون عن مليونين من النفوس قليلاً والمصور من الأراضي الزراعية ١,٩٥٦,٦٤٠ فدانا يدفع عنها من الأموال ٦٥٩,٧٠٧ جنيهات مصرية . وذلك من اختلال الأمن وسوء ادارة حكومة المالك وترك الأوبية ولا سيما الطاعون فتك بأهل القطر بلا مساعدة من الحكومة على مقاومتها أو تخفيف وطأتها مما يجرى اليوم في جميع الحكومات المتقدمة ولا استتب الأمن وتأييد النظام، زادت الأنفس واتسع المصور شيئاً فشيئاً، وزاد التبعية دخل الحكومة وتيسر لها الشروع في الاعمال ذات المافع العمومية كما يعلم من البيان الآتى :

المصور بالفدات		السكان	
١,٩٥٦,٦٤٠	سنة ١٨١٣	٢,٥٣٦,٤٠٠	سنة ١٨٢١
٣,٧٩١,٢٢٦	١٨٤٠	٤,٤٧٦,٤٤٠	١٨٤٦
٤,٦٢١,٨١٦	١٨٧٤	٦,٨٣٣,١٠١	١٨٨٢
٧,١٣٥,٠٧٢	١٩٠٣	٩,٧٧٤,٤٠٥	١٨٩٧
		١١,٢٨٧,٣٥٩	١٩٠٧

قال ( نابوليون بوناپرت ) اذا حكمت هذه البلاد ( بلاد القطر المصري ) بحكومة منتظمة مثل حكومات فرنسا واطاليا والنمسا وانكافرا زاد سكانها واتسع المعمور فيها اضاعف ما هما عليه اليوم وسحقاً ان الحكومة الخديوية لم تألُ جهداً ولم تدخر وسعاً عن العمل لاستئباب الأمن وتمكين الراحة وهما أساس العمران ، وتحسين الأحوال الصحية كاصلاح مياه الشرب بالمدن بواسطة المشاريع البلدية ، وبلقرى بتعميم استعمال الطلعات الخيشية .

وليس اصلاح مياه الشرب هو الاصلاح الصحي الوحيد بل ودم البرك والمستنقعات بالقرى والمدن من أهم الاسباب التي تذهب بخاطر نقى الامراض الو بائية والحيات ، وكذلك جميع الوسائل التي تتخذها عند ظهور أى مرض وبلى ، وانشاء المستشفيات في حواضر المديرية وغير ذلك .

وناهيك بعملية تطعيم الجدري بالقاح المستحضر بالعامل الكيلوية وقد ظهرت قائده للبيان ونجحت تجاربه نهائياً تماماً في ٩٥ بلاتة .

ومن احصاء مصلحة الصحة الصومية ان وفيات الاطفال كانت في القاهرة وحدها سنة ١٩٠٦ - ١٤٠٩٣٧ . أما الآن فقد نقصت نقصاناً ينياً بفضل التدابير الصحية .

والأمل عظيم في اطراد التحسين كلما انتشرت مستوصفات رعاية الاطفال بجميع أنحاء القطر .



وقد روى بعضهم ان الطوائع لم تظهر في التطر المصري الا بعد القرن الخامس من الميلاد. وهو الزمن الذي أبطل فيه المصريون عادة الدفن في الحواجر ودفنوا موتاهم في أراضي المزراع.

## « ٢ - الأطيان والضرائب »

كانت أرض مصر من عهد الفتح الاسلامي على نوعين خراجي وعشوري . فالأطيان الخراجية هي ما كان لمالكها حق المنفعة فقط وأما حق الرقبة فللإمام . وعليها من الخراج ما يقدره لها ديوان الخراج والأطيان العشورية يكون لمالكها حق المنفعة والرقبة معاً وخراجها محشر محصولها .

والا ولّى محمد علي باشا ملك مصر وجد جميع أطيانها غير مملوكة لأحد ما بل تطرح أطيان كل بلد سنوياً للزاد بين أهلها قبل الفيضان . فيزرع كل الأرض التي يرسو مزادها عليه . فرأى بصائب فكره ان هذه الحال لا تتفق مع مصلحة العمران فأمر بوضع ضرائب ثابتة على جمع الأطيان بعد مساحتها وقيدها باسماء وانصى اليه عليها . وهذا ما يُعرف في دفتار الحكومة بتاريخ سنة ١٨١٣ واعتبرت به جميع الأراضي المقدرة خراجية الا مقادير استكثرت لاسباب مخصوصة أتم بها الوال على رجال دولته ( عينا ومنفعة ) وسميت بالأراضي العشورية أو الأبعد . وكان يقتضى هذا النظام لكل واضع يد حق ( ٩ )

الانتفاع بما تحت يده من الأراضي مدة حياته بدون ان يكون له حق رهنه أو بيعه . واستمر الحال على ذلك الى سنة ١٨٤٩ حيث أصدر الولى رحمه الله اللائحة الأولى للأراضي وخوّل واضي اليد حق رهنها بخرقة أو التنازل عنها لفيره بمقد شرعى .

وفي سنة ١٨٥٨ ظهرت اللائحة السعيدية التى منحت واضي اليد جميع حقوق المالك بما فى ذلك انتقال وضع اليد الى ورثته من بعده ما عدا امتلاك ذات العين ( أى حق الرقبة )

وفي سنة ١٨٦١ رأت الحكومة ان تقتضى من واضي اليد مالاً مقابل اعطائهم حق ملكية الأراضي التى فى حيازتهم فجمعت سبعة عشر مليوناً من الجنيهات وهى المعروفة ( بال المقابلة ) غير ان هذه الضريبة لم يقرأها قانون التصفية بل اعتبرها غير شرعية وألزم الحكومة بردها لمن أخذت منهم شيئاً فثبتنا فى كل علم .

وفي سنة ١٨٩١ صدر أمر عال يجعل أصحاب الأراضي انطراجية كأصحاب الأراضي العشورية فى حقوق الملكية التامة

وقد ظلت الضرائب على هذين النوعين من الأهلين متباينة تبايناً كلياً وعلى غير أساس مقبول حتى فكرت الحكومة فى تعديل الضرائب بطريقة عادلة فشرعت أولاً فى فك زمام القطار وكان ذلك سنة ١٨٩٢ بواسطة مصلحة المساحة على قاعدة تقسيم أراضي البلدة الواحدة الى حياض بشرط ان تكون أطيان كل حوض متماثلة فى اعتباراتها الزراعية والطبيعية

وفي سنة ١٨٩٦ تم تقدير الأبخارات بواسطة بلان عينت لكل مديرية من مديريات القطر وعندها وصلت الحكومة الى تقرير ان خربة الغدان عبارة عن ١٨,٦٤ من قبة ابخاره .

ولما كان مجموع الضرائب التي تجبي من القطر خمسة ملايين من الجنيهات تقريباً ، وزعت على أطيانه على تلك النسبة وتحملت الاطيان العشورية جانباً عظيماً من أموال الاطيان الخراجية ، وزال الفارق بين النوعين وأصبح في خير كان

أما تحصيل هذه الضرائب فيختلف باختلاف المديريات حيث قسمت الى أربعة وعشرين قيراطاً . يحصل في كل شهر عدد من القرايط متناسب مع موسم الزراعة والمحصولات .

### « أعمال الري »

وادي النيل : هو كل ما يرويه النيل أي القطران المصري والسوداني ، من منابعه الى مصباته . قال هيرودوت ( ان مصر هدية النيل ) ولولاه لأصبحت وادياً غير ذي زرع . حيث لا نهر غيره يجري ولا غيث يهسي كما هو الشأن في كثير من البلدان .

ينحدر وادي النيل من أعاليه الى الشمال بمعدل متر واحد كل عشرة كيلومترات ولذلك كان أفق مدينة أسوان فوق أفق القاهرة بمقدار مائة متر تقريباً لأن المسافة بينهما ألف كيلومتر .

مما تقدم يعلم السرّ في ان طريقة رىّ الأراضى بوادينا الحيد من قديم الزمان واحدة لا تتغير . يوتى بأفام الترع والجداول من الجهة القبلىة لرىّ أراضى الجهة البحرية بمعدل أربعين كيلومتراً على التفریب

قترعتا الرمادى أو الابراهيمية مثلاً ، يأخذ من الأولى من جبل السلسلة والأخرى من مدينة أسيوط . على ان الأولى تروى مديرية قنا ولا تتفنع منها مديرية أسوان إلا باجزاء الموازئات على القناطر والثانية تروى القسم البحرى من مديرية أسيوط ومديريات المنيا وبنى سويف والقيوم والجيزة . وأما الأراضى المجاورة لقم الى ديروط فلا تروى منها بغير الآلات الرافعة أو النيل العالى

انحدار الوادى يزيد فى سرعة جريات المياه لا سيما زمن الفيضان فيغير النيل مجراه على الدوام حتى كلن فى الأزمان السابقة يجور على أحد الشاطئين فيكون تلة أقرب الى الجبل الغربى وتلة أقرب الى الجبل الشرقى وطوراً يتوسط بينهما .

أما فى هذه الأيام فمصلحة الرىّ غاية كبرى بتنظيم مجرى النيل بوسائط مخصوصة كوضع رموس من الأحجار على شاطئ النهر أو بالكتيبات لتحويل قوة التيار الى الاتجاه المرسوم وبهذه الوسطة وغيرها حفظ النيل مجراه وسلم كثير من أراضى الجزائر الصالحة للزراعة .

( فيضان النيل ) - يتبدى نزول الأمطار التي تكون الفيضان  
ببلاد السودان من شهر مارس لغاية سبتمبر  
والزمن المعروف عند أهل الزراعة ( بنزول النخلة ) هو الوقت  
الذي يظهر فيه أول زيادة محسوسة في القاهرة وتكون غالباً في  
متصف شهر بوثة ويستمر في الزيادة الى ان يبلغ نهايته العظمى في  
يوم ٢٦ سبتمبر ( ١٧ توت ) ويُعرف ( يوم الصليب لتيل ) .  
ويتبدى الفيضان بمصر في شهر اغسطس وينتهي في أوائل  
نوفمبر ويكون الفيضان عالياً اذا بلغ في مقياس أصوان ١٨ ذراعاً فما  
فوق ومتوسطاً اذا لم يزد عن ١٧ ذراعاً .

## الأعمال الصناعية

« الغرض من السدود والفتاخر »

لما رأى المنفور له محمد علي باشا ضرورة التوسع في الزراعة  
الصيفية باوجه البحرى لزيادة ثروة القطر ، شرع المهندسون في حفر  
الترع الصيفية على أعماق كبيرة لدخول مياه التحريك فيها ، ولكن  
شوهد بالتجارب صعوبات حجة كصعوبة تطهير هذه الترع العميقة ومشفة  
رفع المياه منها بالآلات لرى الزراعة حيث كانت ترفع من حق ستة  
أمتار تقريباً .

وكان معظم الترع الصيفية آخذاً من فرع دمياط وقليل منها يأخذ من فرع رشيد على ان هذا الأخير لانخفاض مجراه يتحدو فيه نحو ثلثي ماء الفيضان .

وفي ذلك الوقت كان الفلاح المسكين يشتغل في حفر جسر النيل والترع من أول اغسطس لغاية نوفمبر ثم يشتغل في أعمال التطهيرت من ديسمبر لغاية آخر مارس أي ثمانية شهور كل سنة ولا يتفرغ لزراعته إلا من ابريل لغاية يوليو فقط . هذه المشقات وغيرها حركت المهتم نحو تقليل متاعب الفلاح فشرع في بناء القناطر الخيرية .

ولما كانت مياه النيل من بداية الفيضان الى نهايته تستمر تتدفق في البحر الأبيض المتوسط وتذهب سدى حيث يكفي لامتلاء الفيضان نصف مياه الفيضان فقط فإذا جاء فصل الصيف واشتدت الحاجة الى المياه لرى الزراعات الصيفية لم يوجد الكافي منها ، نبتت هذه الحال أولى الرأى من قديم الى وجوب عمل سدود على النيل لحجز الماء الى زمن الحاجة كما سيجهي تفصيله .

### « ١ — قناطر الدنيا »

وكانت تسمى قديماً القناطر الخيرية وهي عبارة عن سدين عظيمين من البناء بلجة المعروفة بقم البحر على بُعد عشرين كيلومتراً

شمالى القاهرة : أحدهما على فم فرع رشيد وطوله ٤٦٠ متراً وبه ٦١  
عباً وهويسان لمرور المراكب ، وأما الثاني على فم فرع دمياط وطوله  
٥٤٥ متراً وبه ٧١ عباً وهويسان .

وشرع في بنائهما في شهر يونيو سنة ١٨٤٧ تحت ملاحظة  
المهندس الفرنسى ( بوجل ) بسبب الصعوبات التى اعترضت  
المهندسين في وضع أساساتها الى ان فرغ منها في سنة ١٨٦١ وحصر  
عليها أكثر من مليون جنيه خلاف أنظار الدولة .

ولم يتيسر لمصلحة الرى الانتفاع التام بهذه القناطر حتى  
سنة ١٨٨٤ بسبب ظهور خلل في مبانيها وفرشها . وفي سنة ١٨٨٧  
شرعت الحكومة في ترميمها وحفر الرياح التوفيقى تحت ملاحظة  
( الكولونيل وسترن ) وبلغت النفقات مليون جنيه ونسب لمصلحة  
الرى أن تحافظ مياه النيل أمام هذه القناطر على منسوب ١٣,٦٠ في  
زمن التخريف .

ولكن ظهر بعد ذلك خلل في فرش القناطر فاستقرّ الرأى على  
عمل سدود من الخلف لتقويتها عملاً بمشورة ( الميجر براون ) وذلك  
سنة ١٩٠٠ وبهذه الطريقة أمكن رفع منسوب التخريف أمام القناطر  
لغاية خمسة أمتار عن مولزته الأصلية فتدخل المياه في الرياحات الثلاثة  
وهي رياح البحيرة وبرى مديرة البحيرة ورياح المنوفية وبرى  
مديرتى المنوفية والغرية والرياح التوفيقى وبرى مديرات القلوبية  
والشرقية والدقهلية .

وتقتل عادة في شهر مارس وتبقى لغاية الأسبوع الأول من شهر يونيو حيث تكون مياه النيل أخذت في التناقص وبدأت مياه الخزان في تغذية النيل في أوائل مايو فيحفظ منسوب المياه أمام القناطر على ١٥,٥٠ وهو أعظم منسوب يوافق الري بالوجه البحري ويبقى كذلك لغاية منتصف شهر أغسطس حتى تصل زيادة النيل إليها ويكون المنسوب الامامي ١٦ متراً وهي الدرجة التي تروى عليها الرياحات الثلاثة بالراحة وما زاد يصرف خلف القناطر الخيرية حتى يتم فتحها كلها تدريجياً .

### « ٢ - الخزان أو سد اصوان »

خزان اصوان هو عبارة عن سد من بناء في النيل بطول ١٩٥٠ متراً فوق الشلال الأول بـ ١٢٠ عيناً وهو يسر لمرور المراكب وكان ارتفاعه ١٢ متراً من فرش النيل ثم صار تطيته بمقدار ستة أمتار وكان يحجز الماء على منسوب ١٠٦ فصار يحجز الآن على منسوب ١١٣ متراً فوق سطح البحر الملح .

بدئ في بنائه سنة ١٨٩٨ وانتهى العمل منه في سنة ١٩٠٢ ويقفل عادة من نوفمبر عقب انتهاء الفيضان مباشرة لغاية شهر ابريل، وعند ذلك يكون النيل في حاجة الى الماء فيمطل له الامداد الكافي تدريجياً في مايو ويونيو ويوليو وكان الخزان يحجز من الماء مقدار مليار



وكسور من الأمطار المكبية وتكفي لامداد النيل مدة مائة يوم في كل يوم عشرة مليون متر مكعب

ونظراً لانتهاه ثقله بمقدار ستة أمتار فوق البناء الأصل أصبح يحجز الآن ضعف هذا المقدار .

(٣) قناطر أسبوط -- هي عبارة عن سد من بناء في النيل بطول ٨٣٣ متراً و١١٠٥٥ عيون عرض كل عين خمسة أمتار ، وهو يس شمال مدينة أسبوط . وارتفاع الماء أمامه عن التسوية الخلفية ( أي فرق التوازن ) ٢,٥ متر وتقل عادة في شهر فبراير ويصل أعلى منسوب المياه أمامها وتفتح فتحاً كاملاً في أوائل أغسطس .

وقد بلغت نفقائه مع خزان اصوان الذي شرع في بنائهما معاً ٣.٤٣٠.٨٦٤ جنيهاً مصرية

والغرض من بناء خزان اصوان وقناطر اسبوط : هي أولاً امداد اقليم الوجه البحري بالماء الصفي ، ثانياً تحويل الري في المديرية الوسطى وهي القسم الشمالي من مديرية اسبوط ومديرية المنيا وبنى سويف والجيزة بواسطة الترععة اليراهيمية من رى الخيضان الى الري الصفي ، والثسوب الكافي لري منطقة هذه الترععة هو ٤٧ زمن التحريق ومع كل فقد أدوات المياه مديرية الفيوم أيضاً ، وقد رت الاعمال الجديدة بهذا الاقليم فقط بنحو مليونين من الجنيهات .

وكلوا فيها مضي يفضلون النيل العالي أما اليوم فيقول رجال الري

بأن النيل الواصل<sup>١</sup> قليلاً تفوق فوائده مضاره كثيراً بعد أن وجدت وسائل التحكم بماء الفيضان ولا سيما وأن الفيضان الواصل قليلاً ينحدر من الخطر ويقلل من النشع وتسلم منه المحصولات التي تزرع بالسواحل (٤) قناطر اسنا — عبارة عن سد من بناء في النيل شمال مدينة اسنا، شرع في بنائه سنة ١٩٠٦ بطول ٩٠٠ متراً وبعرض ١٢٠ عيناً عرض كل عين خمسة أمتار وهو ليس للملاحة. ويحجز من الماء أمامه، متراً ونصفاً عن التسوية الطفلية.

والغرض منه مساعدة ماء الفيضان في الوقت الحاضر برفع منسوب المياه في النهر لتمكن رى أراضي الفيض الشمالية حتى في سنى الفيضان الواصل.

والمسبب الكافي لمنع الشراق بمديرية قنا وجرجا هو منسوب ٨١ أمام هذه القناطر. وبلغت نفقاه مليون جنيه وفي المستقبل ربما كان لهذه القناطر وظيفة قناطر أسبوط. وتروى الآن ٣٥٠ ألف فدان.

(٥) قناطر زفتى — سد من البناء بالفرع الشرقى، بحرى مدينة زفتى بنحو ثلاثة كيلومترات، طوله ٣٢٥ متراً وبعرض ٥٠ عيناً كل عين عرضها خمسة أمتار. ويمكن أن يتحمل حجز الماء لخاية أربعة أمتار. وقد حفرت ترعة مهية أمام هذا السد سميت بالرياح العباسي وهي ثمانية بحر شبين خلف قناطر السطة. وعمل كذلك ثم آخر لترعة

التصورية أمام هذا المد أيضاً لامتداد الرياح التوفيقى لمنطقة أراضي  
الدقهلية .

والغرض منها هو اعطاء رياح المتوقفة والرياح التوفيقى الماء الكافي  
من شهر أغسطس لزراعة القمح المبكراً لأن طول الرياحين  
وكثرة الزمام الموجود عليهما يؤخر تلك الزراعة .

(٦) وينتظر عمل سدين آخرين أحدهما على فرع النيل الغربى  
أمام محلة الأمير لتغذية ترعة المحمودية بمديرية البحيرة والبحر  
الصعيدى وفرعه بمديرية الغربية . والآخر على فرع النيل الشرقى  
أمام فارسكور لتغذية الشرقوية بالدقهلية وترعة الساحل ( ترعة  
شربين ) بالغربية .

والغرض من هذين السدين هو اعطاء هذه المقترع ابراداً كافية  
في زمن التحريق وامتدادها بالطس الكثير الذى تكتسبه أراضي  
البرارى لمدة الفيضان .

### « ٤ — حياة القطر المصرى »

حظ الانسان فى هذه الحياة مرتبط تمام الارتباط بالأرض التى  
يعيش عليها .

فالصبرى فلاح لأن أرضه زراعية وليس فيها معادن الآثقل .  
والانجليزى ملاح أو صانع لأن بلاده جزيرة وسط الأوقيانوس

وأرضه غنية بمعادنها. نشاهد ذلك حتى من الوجهين الأدبية والأخلاقية  
أنظر الى أقدم بلاد الأرض حضارة وهما مصر وبلاد اليونان  
فمن خصب أرض مصر والحاجة الى أحداث طرق الري الصناعية  
فيها وضرورة تنظيم جريان النيل والمحافظة على جسوره أيام الفيضان ،  
نشأت فكرة ( السخرة ) وكان منها أن وجد المصري من العهد  
الأول مسخراً فكانت أبله كلها حفرأ وردماً وبناءً وهدماً فأثرت تلك  
الحال في طبيعته وأخلاقه ولم يثق للحرية طبعاً إلا من زمن قريب .  
وعلى العكس أخوه اليوناني طبع على الحرية ، لأن الزراعة في  
بلادهم على الأمطار اذا جدها الغيث اخضرت وان هو أمسك عنها  
أجدبت . وقللة موارد الرزق عندهم بلأوا الى الهجرة للاستزراق  
واستباق الخير من الآفاق فاعتادوا الاغتراب واحتكام الأسفار .  
هذه الأرض الجدياء وهذه السماء الماطلة أعنتت أهلها من غير  
الاسترقاق والاستعباد فقتأوا أحراراً كما ولدتهم أمهاتهم أحراراً .  
قلنا ان القطر المصري زراعي . اذاً فالطريقة الوحيدة للرفق  
والسعادة في طريق الزراعة بلا شك .

وليس الغرض من الزراعة الاقتصار على زراعة القطن كما هو  
الميل السائد اليوم ، لأن التوسع أو الاقتصار على زراعة بصرف جمهور  
الزراعيين عن زراعة الأصناف الأخرى مثل القمح والقول والشعير  
وسائر أنواع الحبوب وهي ضرورية لحياة البلاد . والقطن الجيد لا يبت

في كل جهات القطر وعلى الخصوص جنوبي اسبوط ، فان الأحوال الجوية غير موافقة لزراعة القطن كما يقول الخبيرون والآ كانت النتيجة الأكار من أصفاته غير الجيدة فتسقط أسعاره في الأسواق العمومية ولا تتوخى أثمانه ما يدفعه الفلاح ثمناً للذلال متى قلت أو استجلبت من الخارج لارتفاع أسعارها وقلة وهي من الحاجيات .  
هذا وجعل ثروة البلاد معلقة على محصول واحد لا يخلو من خطر وقوعها في الأزمات المأبة الشديدة كما لا يخفى .

القطر المصري مصادر عديدة للثروة غير القطن - كزراعة قصب السكر التي تقدمت تقدماً عظيماً في مديرية المنيا ونجحت فيها نجاحاً تاماً لا سببا قصب ( جهايك ) . ويوجد بالصعيد جهة معامل لعصير السكر وتكريره أشهرها الحوامديه والشيخ فضل ونجع حمادى ومعمل الدائرة السفية . هذه الزراعة من أكبر موارد الثروة للبلاد .

كذلك زراعة أشجار التوت وتنجح كثيراً في غالب بلاد القطر وعلى الخصوص بلاد الصعيد وهي مفيدة لثروة دودة القز أو دودة الحرير التي تبيض وتكثار في الأقاليم القليلة المصرية لقلة الأمطار والمواسف المتلفة لها في أمريكا . لا سيما وان زراعة الأشجار العالية بالصعيد تفي وخامة الأهوية الجنوبية وتلطف أرياح السموم .

ثم صناعة الحرير : وهي من أكبر موارد الثروة واذا وجهت إليها

العناية أفادت البلاد بثل ما تعيدها زراعة القطن وان المحروم عهد على باشا يبدأ سابقاً في زراعة التوت وتربية حودة الغز يوادى الطيليات بالشرقية ثم أهملت تلك الزراعة من بعده .

ثم زراعة الكرم والزيتون والورد بأقليم الفيوم ، لمواقفة تلك الزراعة النافعة لاستخراج الزيوت والأعطار ، وكزراعة الأرز بالجهات الشمالية لمديريات البحيرة والغربية ، فإن محصول تلك الجهات يفوق أوزا إيطاليا وأمريكا وبلاد الهند اذا رقيت زراعتها .

ومثل تربية الاغنام واستجلاب أنواعها من الهند الشرقية أو من بلاد اسبانيا لاسيا المعروفة باسم ( المارينوس ) كما فضل أمدوارد الرابع ملك انكلترا وأهل هولاندا وكان لبلادهم من وراء ذلك أكبر الخيرات بتقدم صناعة الصوف .

ومثل انشاء معامل الغزل ، فانها لوجود المواد الأولية وهي القطن والصوف والحرير تتيج نجاحاً تاماً بخلاف صناعة الآلات البخارية مثلاً فان المادة الأولية وهي الحديد غير موجودة ببلادنا واذا استجلبت تحمّلت الصناعة نفقات كثيرة وكانت المصنوعات الأجنبية خيراً منها جودةً ورخصاً .

هذا عدا تربية الخيول والنحل والدجاج الى غير ذلك .

حياة القطر المصري بهذه الأنواع من الزراعات كلها لا تفضيل لنوع منها على آخر ، كما لا تقدم الآ اذا الشغل بالزراعة كجز المزارعين

والآن قد أصبحت جميع الأقطاب بين أيدي صغار الفلاحين كل  
البحث في طرق ترقية الزراعة، والاستغلال بعلم الزراعة، وتأسيس  
الجمعيات الزراعية، عملاً بخير جدوى، إذ كيف يتيسر للفلاح الصغير  
أن يأتي بأجود أصناف البذور، وأحسن أنواع السماد، ويقضي الماشية  
الجيدة، ويحسني بنوعيتها ويحسن نوعها، أو كيف يمكن ادخال الآلات  
الزراعية الحديثة ما دام الأغنياء وأرباب الأقطاب بعيدين عن  
الزراعة وأهلها.

نرى كل يوم الفنى الأوروبى أو الأمريكى الذى تفوق أرباح  
أمواله في اليوم الواحد رأس مال أغني أغنيانا، يأتي مصر أو السودان  
لأرض موات يشرها، أو لشركة يقددها، أو لمدن يستخرجه. لم  
ذلك، لأنه لا يوجد أن يكون عضواً أشل بل يعني أن يكون عضواً  
عاملاً وأن يشتغل حياً بالشغل وحياً بتقدم العلم الصناعي أو الزراعى  
لعله أنه بما رزقه الله من سعة المال يستطيع اخراج اعمال يميز  
عنها غيره.

• تم الكتاب •





# فهرست

## الجزء الثالث

	صفحة
	٣
مقدمة	
الباب الاول	
أصول القانون العام	٥
اعلان حقوق الانسان - الحقوق المدنية - الحقوق السياسية - سلطة الأمة .	٦
الباب الثاني	
الخدوية المصرية - السلطة الخديوية - سيادة الباب العالي	١٤
الباب الثالث	
السلطة التشريعية - مجالس المديرية - مجلس شورى القوانين - الجمعية العمومية - الانتخابات	١٨
الباب الرابع	
السلطة التنفيذية - مجلس النظار - المديرين والمحافظون - مأمورو المراكز - العد - مشايخ العربان .	٢٨

صفحة	الباب الخامس
٣٣	السلطة القضائية — المحاكم الاعلية — النيابة العمومية — المحاكم المختلطة — المحاكم القنصلية — محاكم الاحوال الشخصية
	الباب السادس

٤١ المجالس الحسبية

٤٦ المحاكم الادارية

### الباب السابع

٤٨	معنى الملكية في القانون الدولي — حقوق المالك — العلاقات الدولية — المارك — امتيازاتهم — الوكلاء السياسيون — وظائفهم — امتيازاتهم — القنصل — امتيازاتهم .
----	--

### الباب الثامن

٦٤	الدين العمومي — الدين الموحد — الدين الممتاز — الدين المضمون .
----	---

## الجزء الرابع

### مبادئ الاقتصاد السياسي

#### الباب الاول

٦٩ الاقتصاد السياسي وتاريخه

الباب الثاني	صفحة
أيجاد الثروة	٧٨
الباب الثالث	
توزيع الثروة	٨٩
الباب الرابع	
نظام العمل	٩٩
الباب الخامس	
تداول الثروة	١٠٤
الباب السادس	
استهلاك الثروة	١١٧
الباب السابع	
المشاريع الاقتصادية في مصر - تكاثر السكان -	١٢٧
الاطيان والضرائب - أعمال الري - حياة القطر المصري	